و

مالكه محمد العمري

المجلد التاسع من احياء العلوم

عدد ١٧

التاسع من كتاب احياء علوم الدين

تأليف الشيخ الإمام
العالم العامل الحبر الكامل
العلامة حجة الإسلام أبي حامد
محمد بن محمد بن محمد الغزالي
رحمه الله تعالى

كتاب النية والإخلاص وهو الكتاب السابع

من ربع المنجيات من كتب احيا علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم ، نحمد الله تعالى
حمد الشاكرين ، ونومن به ايمان الموقنين ، ونقر بوحدانيته
اقرار الصادقين ، ونشهد ان لا اله الا الله رب العالمين ، وخالق
السموات والارضين ، ومكلف الجن والانس والملائكه المقربين ،
ان يعبدوه عبادة المخلصين ، فقال تعالى وما امروا الا ليعبدوا
الله مخلصين له الدين ، فالا لله الدين الخالص المتين ، فانه
اغنى الاغنيا عن شركة المشاركين ، والصلاة على نبيه محمد
سيد المرسلين ، وعلى جميع النبيين ، وعلى اله واصحابه الطيبين
الطاهرين ، اما بعد فقد انكشف لارباب القلوب ببصيرة
الايمان وانوار القران ، ان لا وصول الى السعادة ، الا بالعلم
والعبادة ، والناس كلهم هلكى الا العالمون ، والعالمون
كلهم هلكى الا العاملون ، والعاملون كلهم هلكى الا
المخلصون ، والمخلصون على خطر عظيم ، فالعمل بغير نية عنا ،
والنية بغير اخلاص ريا ، وهو للنفاق كفا ، ومع العصيان سوا ،
والاخلاص من غير صدق وتحقيق هبا ، وقد قال الله تعالى

2 في كل عمل كان باراده الريا غير الله مشوبا مغمورا وقدمنا
الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ، وليت شعري كيف
تصح نيه من لا يعرف حقيقه النيه او يخلص من صح النيه اذا
لم يعرف حقيقه الاخلاص او يطالب المخلص نفسه بالصدق
اذا لم يتحقق معناه ، فالوظيفه الاولى على كل عبد اراد طاعه
الله تعالى ان يتعلم النيه لتحصيل المعرفه ثم يصححها بالعمل بعد فهم
حقيقه الصدق والاخلاص اللذان هما وسيله العبد الى
النجاة والخلاص ، ونحن نذكر معاني النيه والصدق
والاخلاص في ثلاثه ابواب ، الباب الاول
في حقيقه النيه ومعناها ، الباب الثاني
في الاخلاص وحقايقه ، الباب الثالث
في الصدق وحقيقته ،

الباب الاول

في النيه ، وفيه بيان فضيله النيه ، وبيان حقيقه النيه
وبيان كون النية خيرا من العمل ، وبيان تفضيل الاعمال
المتعلقه بالنيه ، وبيان خروج النيه عن الاختيار ،

بيان فضيله النيه قال الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه والمراد بتلك الاراده

النيه، وقال النبي عليه السلام انما الاعمال بالنيات ولكل
امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله
ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها
فهجرته الى ما هاجر اليه، وقال عيسى عليه السلام اكثر شهداء
امتي اصحاب ورب قتيل بين الصفين الله اعلم بنيته، وقال الله
تعالى ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فجعل النيه سبب التوفيق
وقال عليه السلام ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم وانما ينظر
الى قلوبكم واعمالكم وانما نظر الى القلوب لانها مظنة النية،
وقال عليه السلام ان العبد ليعمل اعمالا حسنة فيصعد بها
الملائكه في صحف مختمه فتلقى بين يدي الله تعالى فيقول القوا
هذه الصحيفه فانه لم يرد بما فيها وجهي ثم ينادي الملائكه
اكتبوا له كذا فيقولون ربنا انه لم يعمل شيئا من ذلك فيقول الله
تعالى انه نواه انه نواه، وقال عليه السلام الناس اربعه
رجل اتاه الله علما ومالا فهو يعمل بعلمه في ماله فيقول رجل
لو اتاني الله مثل ما اتاه لعملت كما يعمل فهما في الاجر سواء، ورجل
اتاه الله مالا ولم يوته علما فهو يتخبط بجهله في ماله فيقول
رجل لو اتاني الله مثل ما اتاه عملت كما يعمل فهما في الوزر سواء،

3 الا ترى كيف شرك بالنيه في محاسن عمله ومساويه، ولذلك
في حديث انس بن مالك لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك فقال ان بالمدينة اقواما ما قطعنا واديا ولا
وطينا موطيا يغيظ الكفار ولا انفقنا نفقه ولا اصابتنا
مجاعة الا شركونا في ذلك وهم بالمدينة قالوا وكيف ذلك
يا رسول الله وليسوا معنا قال حبسهم العذر فشركوا بحسن
النيه، وفي حديث ابن مسعود من هاجر يبتغي شيئا فهو له هاجر
رجل منا فتزوج امراه فكان يسمى مهاجر ام قيس، وكذلك
جاء في الخبر ان رجلا قتل في سبيل الله وكان يدعا قتيل الحمار
لانه قاتل رجلا لياخذ سلبه وحماره فقتل على ذلك فاضيف
الى نيته، وفي حديث عبادة بن الصامت عن النبي عليه السلام
من غزا وهو لا ينوي الا عقالا فله ما نوى، وقال ابي استعنت
رجلا يغزو معي فقال لا حتى تجعل لي جعلا فجعلت له فذكرت
ذلك للنبي عليه السلام فقال له من دنياه واخرته الا ما جعلت
له، وروي في الاسرائيليات ان رجلا مر بكثبان من رمل في
مجاعة فقال في نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين
الناس فاوحى الله تعالى الى نبيهم ان قل له ان الله قد قبل صدقتك

وقد شكر حسن نيتك واعطاك ثوابك مالو كان طعاما فتصدقت
به وقد ورد في اخبار كثيرة من هم بحسنة ولم يعملها كتب
له حسنة وفي حديث عبد الله من كانت نيته الدنيا جعل
الله فقره بين عينيه وفارقها ارغب ما يكون فيها وفي حديث ام
سلمة ان النبي عليه السلام ذكر حديثا يخسف بهم بالبيداء
فقلت يا رسول الله يكون فيهم المكره والاجير فقال يحشرون
على نياتهم وقال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول انما يقتتل المقتتلون على النيات وقال عليه
السلام اذا التقى الصفان نزلت الملائكة تكتب الخلق على
مراتبهم فلان يقاتل للدنيا فلان يقاتل حمية فلان يقاتل
عصبية الا فلا تقولوا فلان قتل في سبيل الله فمن قاتل
لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وعن جابر عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يبعث كل عبد على ما مات
عليه وفي حديث الاحنف بن ابي بكرة اذا التقى المسلمان بسيفيهما
فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال
المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه وفي حديث ابي هريرة من
تزوج امراة على صداق وهو لا ينوي اداءه فهو زان ومن ادان

دينا وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق وقال عليه السلام من
تطيب لله جاء يوم القيمة وريحه اطيب من المسك ومن تطيب
لغير الله جاء يوم القيامة وريحه انتن من الجيفة

واما الآثار فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه افضل الاعمال
اداء ما افترض الله تعالى والورع عما حرم الله وصدق النية فيما
عند الله وكتب سالم بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز اعلم ان
عون الله للعبد على قدر النية من تمت نيته تم عون الله له وان
نقصت نقص بقدره وقال بعض السلف رب عمل صغير تعظمه
النية ورب عمل كبير تصغره النية وقال داود الطائي اكبر
همته التقوى فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوما
الى نية صالحة ولذلك الجاهل بعكس ذلك وقال الثوري
كانوا يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون العمل وقال بعض
العلماء اطلب النية قبل العمل وما دمت تنوي الخير فانت بخير
وكان بعض المريدين يطوف على العلماء يقول من يدلني على عمل
لا ازال فيه عاملا لله تعالى فاني لا احب ان ياتي علي ساعة من
ليل ونهار الا وانا عامل من عمال الله فقيل له قد وجدت
حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فاذا فترت او تركته فهم

بعمله فان الهام بعمل الخير كعامله وكذلك قال بعض السلف
ان نعم الله عليكم اكثر من ان تحصوها وان ذنوبكم اخفى من
ان تعلموها ولكن اصبحوا توابين وامسوا توابين يغفر لكم ما
بين ذلك وقال عيسى عليه السلام طوبى لعين نامت و لا
تهم بمعصية وانتبهت على غير اثم وقال ابو هريرة يبعثون
يوم القيمه على قدر نياتهم وكان الفضيل اذا قرا ولنبلونكم
حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم بكى ويرددها
يقول انك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا وقال الحسن
انما خلد اهل الجنه في الجنه واهل النار في النار وقال ابو هريرة
مكتوب في التوراة ما اريد به وجهي فقليله كثير وما اريد به
غيري فكثيره قليل وقال بلال بن سعد ان العبد ليقول قول
مومن فلا يدعه الله تعالى حتى ينظر في عمله فاذا عمل لم يدعه
حتى ينظر في ورعه فاذا تورع لم يدعه حتى ينظر في نيته فاذا
نوى فان صلحت النيه فبالحري ان يصلح ما دون ذلك فاذا
عماد الاعمال النيات فالعمل مفتقر الى النيه ليصير بها خيرا
والنيه في نفسها خير وان تعذر العمل بعايق **بيان حقيقه
النيه** اعلم ان النيه والاراده والقصد عبارات متواردة على

معنى واحد وهو حاله وصفه للقلب يكتنفها امران علم وعمل
العلم يقدمه لانه اصله وشرطه والعمل يتبعه لانه ثمرته
وفرعه وذلك لان كل عمل اعني كل حركه وسكون
اختياري فانه لا يتم الا بثلاثه علم واراده وقدره ومعنى
الاراده انبعاث القلب الى ما يراه موافقا للغرض اما في
الحال او في المال فقد خلق الانسان بحيث توافقه بعض الامور
وتلايم غرضه وتخالفه بعض الامور فاحتاج الى جلب الملايم
الموافق الى نفسه ودفع الضار المنافي عن نفسه فافتقر
بالضروره الى معرفه وادراك الشي المضر والنافع حتى يجلب
هذا ويهرب من هذا فان من لا يبصر الغذا ولا يعرفه لا يمكنه
ان يتناوله ومن لا يبصر النار لا يمكنه الهرب منها فخلق الله تعالى
الهدايه والمعرفه وجعل لها اسبابا وهي الحواس الظاهره والباطنه
وليس ذلك من غرضنا ثم لو ابصر الغذا وعرف انه موافق فلا
يكفيه ذلك للتناول ما لم يكن فيه ميل اليه ورغبه فيه
وشهوه له باعثه عليه اذ المريض يرى الغذا ويعلم انه موافق
فلا يكفيه ذلك للتناول ما لم يكن فيه ميل اليه ورغبه فيه
وشهوه له ولا يمكنه التناول لعدم الرغبه والميل وللقدر الداعية

المحركة اليه فخلق الله تعالى له الميل والرغبة والارادة واعني
به نزوعا في نفسه اليه وتوجها في قلبه اليه ثم ذلك لا يكفيه فكم
من مشاهد طعاما راغب فيه مريد تناوله عاجز عنه لكونه زمنا
فخلقت له القدرة والاعضاء المتحركة حتى يتم بها التناول والعضو
لا يتحرك الا بالقدرة والقدرة تنتظر الداعية الباعثة والداعية
تنتظر العلم والمعرفة او الظن والاعتقاد وهو ان يقوى في نفسه
كون الشيء موافقا له فاذا جزمت المعرفة بان الشيء موافق ولا
بد ان يفعل وسلمت عن معارض باعث آخر صارف عنه انبعثت
الارادة وتحقق الميل فاذا انبعثت الارادة انتهضت القدرة لتحريك
الاعضاء والقدرة خادمة الارادة والارادة تابعة لحكم الاعتقاد
والمعرفة والنية عن الصفة المتوسطة وهي الارادة وانبعاث النفس
بحكم الرغبة والميل الى ما هو موافق للغرض اما في الحال واما
في المآل فالمحرك الاول هو الغرض المطلوب وهو الباعث والغرض
الباعث هو المقصد المنوي والانبعاث هو القصد والنية وانتهاض
القدرة بخدمة الارادة بتحريك الاعضاء هو العمل الا ان القدرة
للعمل قد يكون بباعث واحد وقد تكون بباعثين اجتمعا في فعل
واحد واذا كانا باعثين فقد يكون كل واحد بحيث لو انفرد

كان مليا بانهاض القدرة وقد يكون كل واحد قاصرا عنه
الا بالاجتماع وقد يكون احدهما كافيا لولا الآخر لكن
الآخر انتهض عاضدا له ومعاونا فيخرج من هذا التقسيم اربعة
اقسام فلنذكر لكل واحد مثالا واسما، اما الاول فهو ان
ينفرد الباعث الواحد ويتجرد كما اذا هجم على الانسان سبع
فكما رآه قام من موضعه فلا مزعج له الا غرض الهرب من السبع
فانه رأى السبع وعرفه ضارا فانبعثت نفسه الى الهرب ورغبت
فيه وانتهضت القدرة عاملة بمقتضى الانبعاث فيقال قام
بنية الفرار من السبع لا نية له في القيام غيره، وهذه النية
تسمى خالصة ويسمى العمل بموجبها اخلاصا بالاضافة الى الغرض
الباعث ومعناه انه خلص عن مشاركة غيره وممازجته، واما
الثاني وهو ان يجتمع باعثان كل واحد مستقل بالانهاض لو
انفرد، ومثاله من المحسوس ان يتعاون رجلان على حمل شيء
بمقدار من القوة كانت كافية في الحمل لو انفردت، ومثاله
في غرضنا ان يسأله قريبه الفقير حاجة فيقضيها لفقره وقرابته
وعلم انه لولا فقره لكان يقضيها بمجرد القرابة وانه لولا
القرابة لكان يقضيها بمجرد الفقر وعلم ذلك من نفسه

بان يحضره قريب غني فيرغب في قضاء حاجته وفقير اجنبي فيرغب
ايضا في قضاء حاجته، وكذلك من امره الطبيب بترك الطعام
ودخل عليه يوم عرفه وهو يعلم لولا يوم عرفه لكان يترك الطعام فصام
حمية ولولا الحمية لكان يتركه لاجل انه يوم عرفه وقد اجتمعا
جميعا فاقدم على الفعل فالباعث الثاني رفيق الاول فلنسم هذا
مرافقة الباعث، الثالث ان لا يستقل كل واحد لو انفرد
ولكن قوي بمجموعهما على انهاض القدرة ومثاله في المحسوس
ان يتعاون ضعيفان على حمل لا ينفرد احدهما به ومثاله من
غرضنا ان يقصده القريب الغني فيطلب درهما فلا يعطيه ويقصده
الاجنبي الفقير فيطلب درهما فلا يعطيه ثم يقصده القريب الفقير
فيعطيه فيكون انبعاث داعيته بمجموع الباعثين وهو القرابة
والفقر، وكذلك الرجل يتصدق بين يدي الناس لغرض
الثواب ولغرض الثنا ويكون بحيث لو كان منفردا لكان لا
يبعثه مجرد قصد الثواب على العطا ولو كان الطالب فاسقا لا
ثواب في التصدق عليه لكان لا يبعثه مجرد الريا على العطا ولما
اجتمعا اورثا بمجموعهما تحريك القلب ولنسم هذا الجنس مشاركة،
والرابع ان يكون احد الباعثين مستقلا لو انفرد والثاني لا

يستقل ولكن لما انضاف اليه لم ينفك عن تاثير بالاعانة
والتسهيل، ومثاله في المحسوس ان يعاون الضعيف الرجل القوي
على الحمل ولو انفرد القوي لاستقل ولو انفرد الضعيف لم
يستقل فان ذلك بالجملة يسهل العمل ويؤثر في تخفيفه ٥
ومثاله في غرضنا ان يكون للانسان ورد في الصلوات وعادة
في الصدقات فاتفق ان حضر في وقتها جماعة من الناس فصار
الفعل اخف عليه بسبب مشاهدتهم وعلم من نفسه انه لو كان
منفردا خاليا لم يفتر عن عمله وعلم ان عمله لو لم يكن طاعة
لم يكن مجرد الباعث يحمله عليه فهو شوب تطرق الى النية،
ولنسم هذا الجنس المعاونة فالباعث الثاني اما ان يكون
رفيقا او شريكا او معينا وسنذكر حكمها في باب الاخلاص
والغرض الان بيان اقسام النيات فان العمل تابع للباعث عليه
فيكتسب الحكم منه ولذلك قيل الاعمال بالنيات لانها تابعة
لا حكم لها في نفسها وانما الحكم للمتبوع ٥

بيان سر قول النبي عليه السلام نية المومن خير من عمله ٥

اعلم انه قد يظن ان سبب الترجيح ان النية سر لا يطلع عليه
الا الله تعالى والعمل ظاهر ولعمل السر فضل وهذا صحيح لكن

ليس هو المراد لانه لو نوى ان يذكر الله بقلبه او يتفكر في صالح
المسلمين فيقتضي عموم الحديث ان تكون نيه التفكر خيرا من التفكر
وقد يظن ان سبب الترجيح ان النيه تدوم الى آخر العمل والاعمال
لا تدوم وهو ضعيف لان ذلك يرجع معناه الى ان العمل الكثير
خير من القليل بل ليس كذلك فان نيه اعمال الصلاة قد لا
تدوم الا في لحظات معدودة والاعمال تدوم والعموم يقتضي ان
تكون نيته خيرا من عمله، وقد يقال ان النيه بمجردها خير من
العمل بمجرده دون النيه وهو كذلك ولكنه بعيد ان يكون هو
المراد اذ العمل بلا نيه او على الغفلة لا خير فيه اصلا والنيه
بمجردها خير، وظاهر الترجيح للمشتركين في اصل الخير بل المعني به
ان كل طاعة تنتظم بنية وعمل كانت النيه من جملة الخيرات
وكان العمل من جملة الخيرات ولكن النيه من جملة الطاعة
خير من عمله الذي هو من جملة طاعته والغرض ان للعبد
اختيارا في النيه وفي العمل فهما عملان والنيه من الجملة خيرهما
فهذا معناه، واما سبب كونها خيرا ومترجحة على العمل فلا يفهمه
الا من فهم مقصد الدين وطريقه ومبلغ اثر الطريق في الايصال
الى المقصد وقاس بعض الآثار بالبعض حتى يظهر بعد ذلك

ما الارجح بالاضافة الى المقصود فمن قال الخبز خير من الفاكهة
فانما يعني به انه خير بالاضافة الى مقصود القوت والاغتذاء
ولا يفهم ذلك الا من فهم ان للغذاء مقصدا وهو الصحة
والبقاء وان للاغذية مختلفة الآثار فيها وفهم اثر كل واحد
وقاس بعضها بالبعض فالطاعات غذاء القلوب والمقصود شفاؤ ها
وبقاؤها وسلامتها في الآخرة وسعادتها وتنعمها بلقاء الله تعالى
فالمقصد لذة السعادة بلقاء الله فقط ولن يتنعم بلقاء الله تعالى
الا من مات محبا لله تعالى عارفا بالله تعالى ولن يحبه الا من
عرفه ولا يانس به الا من طال ذكره له فالانس يحصل بدوام
الذكر والمعرفة بدوام الفكر والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة ولن
يتفرغ القلب لدوام الذكر والفكر الا اذا فرغ من شواغل الدنيا
ولن يتفرغ من شواغلها الا اذا انقطع عنه شهواتها حتى يصير
مائلا الى الخير مريدا له نافرا عن الشر مبغضا له وانما يميل
الى الخيرات والطاعات اذا علم ان سعادته في الآخرة منوطة
بها كما يميل العاقل الى الفصد والحجامة لعلمه ان سلامته فيها
فاذا حصل اصل الميل بالمعرفة فانما يقوى بالعمل بمقتضى الميل
والمواظبة فان المواظبة على الخير بمقتضى صفات القلب وارادته

بالعمل يجري مجري الغذا والقوت لذلك الصفه حتى تترشح
تلك الصفه وتتقوي بسببها فالمايل الي طلب العلم او طلب
الرياسه لا يكون ميله في الابتداء الا ضعيفا فان اتبع مقتضى
الميل اشتغل بالعلم وتربيه الرياسه والاعمال المطلوبه لذلك
تاكد ميله ورسخ وعسر عليه النزوع وان خالف مقتضي ميله
وانكسر وربما زال وانمحى كالذي ينظر الي وجه حسن مثلا
فيميل اليه طبعه ميلا ضعيفا ولو اتبعه وعمل بمقتضاه فداوم
على النظر والمجالسه والمجاوره تاكد ميله حتى يخرج امره عن
اختياره فلا يقدر على النزوع عنه ولو فطم نفسه ابتداء او
خالف مقتضى ميله لكان ذلك كقطع القوت والغذا عن
صفة الميل زبرا ودفعا في وجهه حتى يضعف وينكسر بسببه
او ينقمع او ينمحي وهكذا جميع الصفات والخيرات والطاعات
كلها يراد بها الاخره والشرور كلها هي التي يراد بها الدنيا
للدنيا لا للاخره وميل النفس الي الخيرات الاخرويه وانصرافها
عن الدنيا وتيه هو الذي يفرغها للذكر والفكر ولن يتاكد
ذلك الا بالمواظبة على اعمال الطاعات وترك المعاصي بالجوارح
لان بين الجوارح وبين القلب علاقه حتى انه يتاثر كل واحد منهما

بالاخر

بالاخر فترى العضو اذا اصابته جراحه يالم بها القلب وترى
القلب اذا يالم بعلمه بموت عزيز من اعزته او بهجوم امر مخوف
تاثرت به الاعضا وارتعدت الفرايص وتغير اللون الا ان
القلب هو الاصل المتبوع وكانه الامير والراعي والجوارح
كالخدم والرعايا والاتباع فالجوارح خادمة للقلب بتاكيد
صفاتها فيه فالقلب هو المقصود والاعضاء آلات موصله
الي المقصود ولذلك قال النبي عليه السلام ان في الجسد مضغه
اذا صلحت صلح لها ساير الجسد وقال عليه السلام اللهم اصلح
الراعي والرعيه واراد بالراعي القلب وقال تعالى لن ينال
الله لحومها ولا دماوها ولكن يناله التقوى منكم وهو صفة
القلب فمن هذا الوجه لا محاله يجب ان تكون اعمال القلب على
الجمله افضل من حركات الجوارح ثم يجب ان تكون النيه من
جملتها افضل لانها عباره عن ميل القلب الي الخير وارادته له
وغرضنا من الاعمال بالجوارح ان يعود القلب ارادة الخير
ويوكد فيه الميل اليه ليتفرغ من شهوات الدنيا ويكب على الذكر
والفكر فبالضروره يكون خيرا بالاضافه الي الغرض لانه
متمكن من نفس المقصود وهذا كما ان المعده اذا تالمت

فقد تداوي بان يوضع الطلا على الصدر ويداوي بالشرب
والدواء الواصل الى المعدة بالشرب خير من طلاء الصدر لان
طلاء الصدر ايضا انما اريد به ان يسري منه الاثر الى المعدة
فما يلاقي عين المعدة فهو خير وانفع فكذا ينبغي ان يقصد تاثير
الطاعات كلها اذ المطلوب منها تغيير القلوب وتبديل صفاتها
فقط دون الجوارح فلا تظن ان في وضع الجبهة على الارض
غرضا من حيث انه جمع بين الجبهة والارض بل من حيث انه
بحكم العادة يوكد صفة التواضع في القلب فان من يجد في
نفسه تواضعا فاذا استعان باعضايه وصورها بصورة السجدة
تاكد تواضعه ومن وجد في قلبه رقة على يتيم فاذا مسح راسه
وقبله تاكدت في قلبه ولهذا لم يكن العمل بغير نية مفيدا اصلا
لان من مسح راس يتيم وهو غافل بقلبه او ظان انه يمسح ثوبا
لم ينتشر من اعضايه اثر الى قلبه لتاكيد الرقة وكذلك من
يسجد غافلا وهو مشغول الهم باعراض الدنيا لم ينتشر من جبهته
ووضعها على الارض اثر الى قلبه يتاكد به التواضع فكان
وجود ذاك كعدمه وما ساوي وجوده عدمه بالاضافة
الى الغرض المطلوب يسمى باطلا فيقال العبادة بغير نيته

باطلة وهذا معناه وهذا اذا فعل عن غفلة فان قصد به
ريا او تعظيما لشخص آخر لم يكن وجوده كعدمه بل زاده شرا
فانه لم يوكد الصفة المطلوب تاكيدها حتى اكد الصفة المطلوب
قمعها وهي صفة الريا التي هي من الميل الى الدنيا فهذا وجه
كون النية خيرا من العمل وبهذا ايضا يعرف معنى قوله عليه
السلام من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة لان
هم القلب هو ميله الى الخير وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا
هي غاية الحسنات وانما الاتمام بالعمل يزيدها تاكيدا فليس
المقصود من اراقة دم القربان الدم واللحم بل ميل القلب عن
حب الدنيا وبذلها ايثارا لوجه الله تعالى وهذه الصفة قد وجدت
عند جزم النية والعمل وان عاق عن العمل عايق فلن ينال الله
لحومها ولا دماوها ولكن يناله التقوى منكم والتقوى هاهنا
اعني القلب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
قوما بالمدينة قد شركونا في جهادنا كما تقدم ذكره لان
قلوبهم في صدق ارادة الخير وبذل المال والنفس والرغبة في
طلب الشهادة واعلاء كلمة الله تعالى كقلوب الخارجين في
الجهاد وانما فارقتهم بالابدان لعوايق تخص الاسباب الخارجة

عن القلب وذاك غير مطلوب الا لتاكيد هذه الصفات
وبهذه المعاني تفهم جميع الاحاديث التي اوردناها في فضل
النيه فاعرضها عليه لتنكشف اسرارها فلا نطول بالاعادة،

بيان تفصيل الاعمال المتعلقه بالنية

اعلم ان الاعمال
وان انقسمت اقساما كثيرة من فعل وقول وحركة وسكون
وجلب نفع ودفع ضر وفكر وذكر وغير ذلك مما لا يتصور
احصاؤه واستقصاؤه فهي ثلاثة اقسام طاعات ومعاصي
ومباحات **القسم الاول المعاصي** وهي لا تتغير عن موضوعها
بالنية فلا ينبغي ان يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله عليه السلام
انما الاعمال بالنيات فيظن ان المعصية تنقلب طاعة بالنية
كالذي يغتاب انسانا مراعاة لقلب غيره او يطعم فقيرا من
مال غيره او يبني مدرسة او رباطا او مسجدا بمال حرام وقصده
الخير فهذا كله جهل والنية لا تؤثر في اخراجه عن كونه ظلما
وعدوانا ومعصية بل قصده الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع
شر آخر فان عرفه فهو معاند للشرع وان جهله فهو عاص بجهله
اذ طلب العلم فريضة على كل مسلم والخيرات انما تعرف كونها خيرات
بالشرع فكيف يمكن ان يكون الشر خيرا هيهات بل المروج لذلك

على القلب خفي الشهوة وباطن الهوى فان القلب اذا كان مايلا
الى طلب الجاه واستمالة قلوب الناس وساير حظوظ الدنيا توسل
الشيطان به الى التلبيس على الجاهل، ولذلك قال سهل ما عصي
الله بمعصية اعظم من الجهل قيل يا ابا محمد هل تعرف شيا اشد من
الجهل قال نعم الجهل بالجهل، وهو كما قال لان الجهل بالجهل يسد
بالكلية باب التعلم فمن ظن بنفسه انه عالم فكيف يتعلم
وكذلك افضل ما اطيع الله به العلم وراس العلم العلم بالعلم
كما ان راس الجهل الجهل بالجهل فان من لا يعلم العلم النافع
من العلم الضار اشتغل بما اكب الناس عليه من العلوم المزخرفة
التي هي وسايلهم الى الدنيا وذلك هو مادة الجهل ومنبع فساد
العالم والمقصود ان من قصد الخير بمعصية عن جهل فهو معذور
الا اذا كان قريب العهد بالاسلام ولم يجد بعد مهلة العلم، وقد
قال الله تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون، وقال
النبي عليه السلام لا يعذر الجاهل على الجهل ولا يحل للجاهل ان
يسكت عن جهله ولا للعالم ان يسكت عن علمه، وتقرب من تقرب
من السلاطين ببناء المساجد والمدارس بالمال الحرام، وتقرب العلماء
السوء بتعليم العلم للسفهاء والاشرار المشغولين بالفسق والفجور

القاصرين همتهم على مماراة العلماء ومباراة السفهاء واستمالة
وجوه الناس وجمع حطام الدنيا واخذ اموال السلاطين واليتامى
والمساكين فان هولاء اذا تعلموا كانوا قطاع طريق الله تعالى
وانتهض كل واحد في بلدته نايبا عن الدجال يتكالب على
الدنيا ويتبع الهوى ويتباعد عن التقوى وتستجري الناس بسبب
مشاهدته على معاصي الله تعالى ثم قد ينتشر ذلك العلم الى مثله
وامثاله ويتخذونه آلة ووسيلة في الشر واتباع الهوى ويتسلسل
ذلك ووبال جميعه يرجع الى المعلم الذي علمه العلم مع علمه بفساد
نيته وقصده ومشاهدته انواع المعاصي من افعاله واقواله
وفي مطعمه ومشربه وملبسه ومسكنه فيموت هذا العاصي وتبقى
آثار شره منتشرة في العالم الف سنة فطوبى لمن مات وماتت
معه ذنوبه ثم العجب من جهله حيث يقول انما الاعمال بالنيات
وقد قصدت بذلك نشر علم الدين فان استعمله هو في الفساد
فالمعصية منه لا مني وما قصدت به الا ان يستعين به على
الخير وانما حب الرياسة والاستتباع والتفاخر بعلو العلم يحسن
ذلك في قلبه والشيطان بواسطة حب الرياسة يلبس عليه وليت
شعري ما جوابه عمن وهب سيفا لقاطع طريق واعد له خيلا

واسبابا يستعين بها على مقصوده ويقول انما اردت البذل
والسخا والتخلق بالاخلاق الجميلة وقصدت ان يغزو بهذا
السيف والفرس في سبيل الله فان اعداد الخيل والقوة للغزاة
من افضل القربات فان هو صرفه الى قطع الطريق فهو العاصي
وقد اجمع الفقهاء ان ذلك حرام مع ان السخا هو احب الاخلاق
الى الله تعالى حتى قال عليه السلام ان لله تعالى ثلثمائة خلق
من تقرب اليه بواحد منها دخل الجنة واحبها اليه السخاء
فليت شعري لم حرم هذا السخا ولم وجب عليه ان ينظر الى قرينة
الحال من هذا الظالم فاذا لاح له من عادته انه يستعين بالسلاح
على الشر فينبغي ان يسعى في سلب سلاحه لا في ان يمده بغيره والعلم
سلاح يقاتل به الشيطان واعداء الله تعالى وقد يعاون به اعداء
الله تعالى وهو الهوى فمن لا يزال مؤثرا لدنياه على دينه ولهواه
على آخرته وهو عاجز عنها لقلة فضله فكيف يجوز امداده بنوع
علم يتمكن به من الوصول الى شهواته بل لم تزل علماء السلف يتفقدون
احوال من يتردد اليهم فلو راوا منه فجورا واستحلال حرام
هجروه ونفوه عن مجالسهم وتركوا اكرامه وتركوا تكليمه فضلا
عن تعليمه لعلمهم بان من تعلم مسئلة ولم يعمل بها وجاوزها الى غيرها

فليس يطلب الا اله الشر وقد تعوذ جميع السلف بالله من
الفاجر العليم بالسنة وما تعوذوا من الفاجر الجاهل، حكي عن
بعض اصحاب احمد ابن حنبل انه كان يتردد اليه سنين ثم اتفق
ان اعرض عنه احمد وهجره وصار لا يكلمه فلم يزل يساله عن
تغيره وهو لا يذكره حتى قال بلغني انك طينت حايط دارك
من الشارع وقد اخذت قدر سمك الطين وهو انمله من شارع
المسلمين فلا تصلح لنقل العلم فهكذا كانت مراقبة السلف
لاحوال طلاب العلم، وهذا وامثاله مما يلتبس على الاغبياء
واتباع الشيطان وان كانوا ارباب الطيالسة والاكمام الواسعه
واصحاب الالسنه الطويله والفضل الكبير اعني الفضل من
العلوم التي لا تشتمل على التحذير من الدنيا والزجر عنها والترغيب
في الاخره والدعا اليها بل هي العلوم التي تتعلق بالخلق ويتوصل
بها الي جميع الحطام واستتباع الناس والتقدم على الاقران
فاذن قوله عليه السلام الاعمال بالنيات تختص من الاقسام
الثلاثه بالطاعات والمباحات دون المعاصي اذ الطاعه
تنقلب معصيه بالقصد والمباح ينقلب معصيه بالقصد وطاعه
بالقصد واما المعصيه فلا تنقلب طاعه بالقصد اصلا نعم

١٥ للنيه دخل فيها وهو انه اذا انضاف اليها ذي قصود خبيثه
تضاعف وزرها وعظم وبالها كما ذكرنا في كتاب التوبه،
القسم الثاني الطاعات وهي مرتبطه بالنيات
في اصل صحتها وفي تضاعف فضلها اما الاصل فهو ان ينوي
بها عبادة الله تعالى لا غير فان نوى الريا صارت معصيه واما
تضاعف الفضل فبكثرة النيات الحسنه فان الطاعه الواحده
يمكن ان ينوي بها خيرات كثيره فيكون له بكل نيه ثواب
اذ كل واحده منها حسنه ثم تضاعف كل حسنه عشر امثالها
كما ورد به الخبر، ومثاله القعود في المسجد فانه طاعه ويمكن
ان ينوي فيه نيات كثيره حتى يصير من فضايل اعمال المتقين ويبلغ
به درجات المقربين اولها ان يعتقد انه بيت الله وان داخله
زاير الله فيقصد به زيارة مولاه رجاء لما وعده به رسول الله صلى
الله عليه وسلم حيث قال من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى
وحق على المزور اكرام الزاير، وثانيها ان ينتظر الصلاة بعد
الصلاة فيكون في جملة المرابطين كما قال عليه السلام
وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط
فذلكم الرباط وهو معنى قوله تعالى ورابطوا، وثالثها الترهب

بكف السمع والبصر والاعضاء عن الحركات والترددات
فان الاعتكاف كف وهو في معنى الصوم وهو نوع ترهب ٥
ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رهبانيه امتي القعود
في المساجد، ورابعها عكوف الهم على الله تعالى ولزوم السر
للفكر في الاخرة ودفع الشواغل الصارفه عنه بالاعتزال
الى المسجد، وخامسها التجرد لذكر الله تعالى او لاستماع ذكره
او للتذكر به كما روي في الخبر من غدا الى المسجد يذكر الله او
يذكر به كان كالمجاهد في سبيل الله تعالى، وسادسها ان يقصد
افادة علم بامر بمعروف ونهي عن منكر اذ المسجد لا يخلو عمن يسي
صلاته او يتعاطى ما لا يحل له فيامره بالمعروف ويرشده الى
الدين فيكون شريكا معه في خيره الذي يعلم منه فتتضاعف
خيراته، وسابعها ان يستفيد اخا في الله تعالى فان ذلك غنيمة
وذخيرة للدار الاخرة والمسجد عش اهل الدين المحبين لله وفي الله
وثامنها ان يترك الذنوب حياء من الله تعالى وتجنب ان يتعاطى
في بيت الله ما يقتضي هتك الحرمه، قال ابن علي من ادمن
الاختلاف الى المسجد رزقه الله تعالى سبع خصال اخا مستفادا
في الله او رحمة منتظره او علما مستطرفا او كلمه تدله على هدى

او تصرفه عن ردى او يترك الذنوب خشيه او حيا فهذا طريق
تكثير النيات وقس به ساير الطاعات والمباحات اذ ما من
طاعة الا وتحتمل نيات كثيره وانما تخطر في قلب العبد بقدر جده
في طلب الخير وتشمره له وتفكره له فبهذا تزكو الاعمال وتضاعف
الحسنات ٥

القسم الثالث المباحات ٥

وما من شي من المباحات الا ويحتمل نيه او نيات يصير بها من
محاسن القربات وينال بها معالي الدرجات فما اعظم خسران
من تغافل عنها ويتعاطى ما يتعاطى البهايم المهمله عن سهو وغفله
ولا ينبغي ان يستحقر العبد الخطرات والخطوات واللحظات
فكل ذلك يسال عنه يوم القيمه انه لم فعله وما الذي قصد
هذا في مباح محض لا يشوبه كراهه ولذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم حلالها حساب وحرامها عذاب، وفي
حديث معاذ بن جبل قال ان العبد ليسال يوم القيمه عن كل
شي حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطينه باصبعيه وعن
لمسه ثوب اخيه، وفي خبر اخر من تطيب لله جاء يوم القيمه
وريحه اطيب من ريح المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم
القيمه وريحه انتن من الجيفه فاستعمال الطيب مباح ولكن

لابد فيه من نية فان قلت فما الذي يمكن ان ينوي بالطيب
وهو حظ من حظوظ النفس وكيف يتطيب لله تعالى فاعلم
ان تطيب مثلا يوم الجمعة وفي ساير الاوقات يتصور ان يقصد
التنعم بلذات الدنيا او يقصد به اظهار التفاخر بكثرة المال
ليحسده الاقران او يقصد ريا الخلق ليقوم له الجاه في قلوبهم
ويذكر بطيب الرايحه او ليتودد به الي قلوب النساء ۞
الاجنبيات اذا كان مستحلا للنظر اليهن ولامور اخر لا تحصى
وكل هذا يجعل التطيب معصية فلذلك يكون انتن من الجيفه
في القيمة الا القصد الاول وهو التلذذ والتنعم فان ذلك ليس
الا انه يسال عنه ومن نوقش في الحساب عذب ومن
اوتي شيا من مباح الدنيا لم يعذب عليه في الاخرة ولكن نقص
من نعيم الاخرة له بقدره وناهيك خسرانا بان يستعمل ما يفنى
ويخسر زيادة نعيم لا يفنى، واما النيات الحسنه فان ينوي
به اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنوي الجمعة
وينوي بذلك ايضا تعظيم المسجد واحترام بيت الله تعالى
فلا يرى ان يدخله زاير الله الا طيب الرايحه وان يقصد به
ترويح جيرانه ليستريحوا في المسجد عند مجاورته بروايحه وان

يقصد به دفع الروايح الكريهة عن نفسه التي تودي الى ايذا
مخالطيه وان يقصد حسم باب الغيبة على المغتابين اذا اغتابوه
بالروايح الكريهة فيعصون الله بسببه فمن تعرض للغيبة وهو
قادر على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المعصية كما قيل
، مهما ترحلت عن قوم وقد قدروا الا تفارقهم فالراحلون هم ،
وقال الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله
عدوا بغير علم اشار به الى ان التسبب الى الشر شر، وان يقصد
به معالجة دماغه ليزيد به فطنته وذكاوه ويسهل عليه درك
مهمات دينه بالفكر فقد قال الشافعي رضي الله عنه من
طاب ريحه زاد عقله وهذا وامثاله من النيات لا يعجز الفقيه
عنها اذا كان تجارة الاخرة وطلب الخير غالبا على قلبه واذا لم يغلب
الا نعيم الاخرة على قلبه لم تحضره هذه النيات وان ذكرت
له لم ينبعث لها قلبه فلا يكون معه الا حديث النفس وليس
ذلك من النيات في شي والمباحات كثيرة ولا يمكن احصاء
النيات فيها فقس بهذا الواحد ما عداه، ولهذا قال بعض السلف
اني لاستحب ان يكون لي في كل شي نية في اكلي وشربي ونومي
ودخول الخلا وكل ذلك مما يمكن ان يقصد به التقرب الى الله

تعالى لان كل ما هو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب من مهمات
البدن فهو معين على الدين فمن كان قصده من الاكل التقوي
على العباده ومن الوقاع تحصين دينه وتطييب قلب اهله والتوصل
به الى ولد يعبد الله بعده فيكثر به امة محمد صلى الله عليه وسلم كان
مطيعا باكله ونكاحه واغلب حظوظ النفس الاكل والوقاع
وقصد الخير بهما غير ممتنع لمن غلب على قلبه هم الاخره فلذلك
ينبغي ان يحسن نيته مهما ضاع له مال ويقول هو في سبيل الله واذا
بلغه اغتياب غيره له فليطيب قلبه بانه سيحمل سياته وسينقل
الى ديوانه حسناته وليتوبذلك سكوته عن الجواب ففي الخبر
ان العبد ليحاسب فتبطل اعماله لدخول الافه فيها حتى يستوجب النار
ثم ينشر له من الاعمال الحسنه ما يستوجب به الجنه فيتعجب ويقول
يا رب هذه اعمال ما عملتها فيقال اعمال الذين اغتابوك وآذوك
وظلموك، وفي الخبر ان العبد ليوافي يوم القيمه بحسنات امثال
الجبال لو خلصت له لدخل الجنه ويأتي قد ظلم هذا وشتم هذا
وضرب هذا فيقتص لهم من حسناته حتى لا يبقى له حسنه فتقول
الملايكه قد فنيت حسناته وبقي الطالبون فيقول الله تعالى
القوا عليه من سياتهم ثم صكوا له صكا الى النار، وبالجمله

فاياك ثم اياك ان تستحقر شيا من حركاتك فلا تحترز من غرورها
وشرورها ولا تعد يوم السوال والحساب فان الله تعالى مطلع
عليك وشهيد وما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد، وقال
بعض السلف كتبت كتابا واردت ان اتربه من منزل جار
لي فتحرجت ثم قلت تراب وما تراب فاتربته فهتف بي هاتف سيعلم
من استخف بتراب ما يلقى غدا من سوء الحساب، وصلى رجل مع
الثوري فراه مقلوب الثوب فعرفه فمد يده ليصلحه ثم قبضها فلم
يسوه فساله عن ذلك فقال اني لبسته لله ولا اريد ان اسويه
لغيره، وقد قال الحسن ان الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيمه فيقول
بيني وبينك الله فيقول والله ما اعرفك فيقول بلى انت اخذت
من حايطي تبنه واخذت خيطا من ثوبي فهذا وامثاله من
الاخبار قطع قلوب الخايفين فان كنت من اولي العزم والنهى
ولم تكن من المغترين فانظر لنفسك الان ودقق الحساب على
نفسك قبل ان يدقق عليك وراقب احوالك ولا تسكن ولا تتحرك
ما لم تتامل اولا انك لم تتحرك وماذا تقصد وما الذي تنال به
من الدنيا وما الذي يفوتك به من الاخره وبماذا ترجح الدنيا على
الاخره فاذا علمت انه لا باعث الا الدين فامض عزمك وما خطر

بمالك والا فامسك ثم راقب ايضا قلبك في امساكك وامتناعك
فان ترك الفعل فعل ولا بد له من نية صحيحة فلا ينبغي ان يكون
الداعي هوى خفيا لا تطلع عليه ولا يغرنك ظواهر الامور
ومشهورات الخيرات وافطن للاغوار والاسرار تخرج من خير
اهل الاغترار، فقد روي عن زكريا عليه السلام انه كان
يعمل في حائط بالطين وكان اجير القوم فقدموا اليه رغيفه
اذ كان لا ياكل الا من كسبه فدخل عليه قوم فلم يدعهم الى
الطعام حتى فرغ فتعجبوا منه لما علموا من سخائه وزهده وظنوا
ان الخير في طلب السعادة في الطعام فقال اني لاعمل لقوم باجرة
وقدموا الي الرغيفين لاتقوى بهما على عملهم فلو اكلتم معي لم يكفكم
ولم يكفني وضعفت عن عملهم فالبصير هكذا ينظر الى البواطن بنور
الله تعالى فان ضعفه عن العمل نقص في فرض وترك الدعوة الى
الطعام نقص في فضل ولا حكم للفضائل مع الفرائض، وقال
بعضهم دخلت على سفين وهو ياكل وما كلمني حتى لعق اصابعه
ثم قال لولا اني اخذته بدين لاحببت ان تاكل منه، وقال سفين
من دعا رجلا الى طعام وليس له رغبة في ان ياكل فان اجابه فله
وزران وان لم ياكل فعليه وزر واحد واراد باحد الوزرين النفاق

والثاني تعريضه اخاه لما يكره لو علمه فهكذا ينبغي ان يتفقد العبد
نيته في سائر الاعمال فلا يقدم ولا يحجم الا بنية فان لم تحضره النية
توقف فان النية لا تدخل تحت الاختيار ه

بيان ان النية غير داخلة تحت الاختيار

اعلم ان الجاهل يسمع
ما ذكرناه من الوصية بتحسين النية وتكثيرها مع قوله عليه السلام
انما الاعمال بالنيات فيقول في نفسه عند تدريسه او تجارته
او اكله نويت ان ادرس لله او اتجر او اكل لله ويظن ان ذلك
نية وهيهات فذلك حديث نفس او حديث لسان او فكر
وانتقال من خاطر الى خاطر والنية بمعزل من جميع ذلك
وانما النية انبعاث القلب وتوجهه وميله الى ما ظهر له ان
فيه غرضه اما عاجلا او اجلا والميل اذا لم يمكن اختراعه
واكتسابه بمجرد الارادة بل ذلك كقول الشبعان نويت ان
اشتهي الطعام واميل اليه وكقول الفارغ نويت ان اعشق
فلانا واحبه واعظمه بقلبي وذلك محال بل لا طريق الى اكتساب
صرف القلب الى الشيء وميله اليه وتوجهه نحوه الا باكتساب
اسبابه وذلك مما قد يقدر عليه وقد لا يقدر عليه وانما تنبعث
النفس الى الفعل اجابة الى الغرض الباعث الموافق للنفس الملائم

لها وما لم يعتقد الانسان ان غرضه منوط بفعل من الافعال
فلا يتوجه نحوه قصده وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل
حين واذا اعتقد فانما يتوجه القلب اذا كان فارغا غير مصروف
عنه لغرض شاغل اقوى منه وذلك لا يمكن في كل وقت والدواعي
والصوارف لها اسباب كثيرة بها تجتمع وتختلف ذلك بالاشخاص
والاحوال والاعمال فاذا غلبت شهوة النكاح ولم يعتقد غرضا
صحيحا في الولد دينا ودنيا لا يمكنه ان يواقع على نية الولد بل لا
يمكن الا على نية قضاء الشهوة اذ النية هي اجابة الباعث ولا
باعث الا الشهوة فكيف ينوي الولد واذا لم يغلب على قلبه ان
اقامة النكاح اتباعا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم امر
يعظم فضله لا يمكنه ان ينوي بالنكاح اتباع السنة الا ان
يقول ذلك بلسانه وقلبه وهو حديث محض وليس بنية نعم
طريق اكتساب هذه النية مثلا ان يقوي اولا ايمانه بالشرع
ويقوي ايمانه بعظم ثواب من يسعى في تكثير امة محمد عليه السلام
ويدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولد من ثقل المؤنة وطول
التعب وغيره فاذا فعل ذلك ربما انبعث من قلبه رغبة الى
تحصيل الولد للثواب فتحركه تلك الرغبة وتحرك اعضاءه

للمباشرة فاذا انتهضت القدرة المحركة للسان لقبول العقد
طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان ناويا وان لم يكن
كذلك فما يقدره في نفسه ويردده في قلبه من قصد الولد
وسواس وهذيان ولهذا امتنع جماعة من السلف من جملة
من الطاعات اذا لم تحضرهم النية وكانوا يقولون ليس تحضرنا
النية حتى ان ابن سيرين لم يحضر على جنازة الحسن البصري وقال
ليس تحضرني نية ونادى بعضهم امراته وكان يسرح شعره ان
هاتي المدرى فقالت بالمراة فسكت ساعة ثم قال نعم فقيل له في
ذلك فقال لي في المدرى نية ولم تحضرني في المراة نية فتوقفت
حتى هياها الله ومات حماد بن ابي سليمن وكان احد علماء
اهل الكوفه فقيل للثوري الا تشهد جنازته فقال لو كان لي نية
لفعلت وكان احدهم اذا سئل عن عمل من اعمال البر فقال ان
رزقني الله نية فعلت وكان طاوس لا يحدث الا بنية وكان
يسال ان يحدث فلا يحدث ولا يسال فيبتدي فقيل له في ذلك
فقال اتحبون ان احدث بغير نية اذا حضرتني النية فعلت
وحكي ان داود عليه بن المحبر لما صنف كتاب العقل جاء احمد
ابن حنبل وطلبه منه فنظر فيه صفحا فرده فقال ما لك فقال فيه اسانيد

ضعاف فقال له داود انا لم اخرجه على الاسانيد فانظر بعين
الخبر انما نظرت فيه بعين العمل فانتفعت فقال احمد فرده على
حتى انظر فيه بالعين الذي نظرت فاخذه ومكث عنده طويلا
ثم قال جزاك الله خيرا فقد انتفعت به، وقيل لطاوس ادع لنا
فقال حتى اجد له نية، وقال بعضهم اني في طلب نية لعيادة
رجل منذ شهر فما صحت لي بعد، وقال عيسى بن كثير مشيت مع
ميمون بن مهران فلما انتهى الى باب داره انصرفت فقال ابنه
الا تعرض عليه العشاء قال لم اجد من شي، وهذا لان النية
تتبع النظر فاذا تغير النظر تغيرت النية، وكانوا لا يعملون عملا
الا بالنية لعلمهم ان النية روح العمل وان العمل بغير نية صادقة
رياء وتكلف وهو سبب مقت لا سبب قرب وعلموا ان النية
ليس هي قول القايل بقلبه نويت بل هي انبعاث للقلب يجري
مجرى الفتوح من الله تعالى وقد يتيسر في بعض الاوقات وقد
يتعذر في بعضها، نعم من كان الغالب على قلبه امر الدين تيسر
في اكثر الاحوال احضار النية للخيرات فان قلبه بالجملة
مايل الى اصل الخيرات فينبعث الى التفاصيل غالبا، ومن
مال قلبه الى الدنيا وغلبت عليه لم تتيسر له ذلك بل لا يتيسر له

في الفرايض

في الفرايض الا بجهد جهيد وغايته ان يتذكر النار ويحذر نفسه
عقابها او نعيم الجنة ويرغب نفسه فيها فربما تنبعث له داعية
ضعيفة فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيته، واما الطاعة
على نية اجلال الله تعالى لاستحقاقه الطاعة والعبودية فلا
تتيسر للراغب في الدنيا وهذه اعز النيات واعلاها ويعز
من يفهمها فضلا عمن يتعاطاها، ونيات الناس في الطاعات
اقسام منهم من يكون عمله اجابة لباعث الخوف فانه يتقي
النار، ومنهم من يعمل اجابة لباعث الرجا وهي الرغبة في الجنة
وهذا وان كان نازلا بالاضافة الى قصد طاعة الله تعالى
وتعظيمه لذاته ولجلاله لا لامر سواه فهو من جملة النيات
الصحيحة لانه ميل الى الموعود في الاخرة وان كان من جنس
المالوفات في الدنيا واغلب البواعث باعث الفرج والبطن
وموضع قضا وطرهما الجنة فالعامل لاجل الجنة وفرجه كالاجير
السو ودرجته درجة البله وانه لينالها بعمله اذ اكثر
اهل الجنة البله، واما عبادة ذوي الالباب لا تجاوز ذكر
الله تعالى والفكر حبا لجماله ولجلاله وساير الاعمال موكدات
وروادف وهذا ارفع درجة من الالتفات الى المنكوح والمطعوم

في الجنة فانهم لم يقصدوها بل هم الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي يريدون وجهه فقط وثواب الناس بقدر
نياتهم فلا جرم يتنعمون بالنظر الى وجه الكريم ويسخرون
ممن يلتفت الى وجه الحور العين كما يسخر المتنعم بالنظر
الى الحور العين ممن تنعم بالنظر الى وجه الصور المصنوعه
من الطين بل اشد فان التفاوت من جمال حضرة الربوبيه
وجمال الحور العين اشد واعظم كثيرا من التفاوت بين
جمال الحور العين والصور المصنوعه من الطين بل استعظام
النفوس البهيميه الشهوانيه لقضاء الوطر من مخالطة الحسان
واعراضها عن جمال وجه الله تعالى الكريم يضاهي استعظام
الخنفسا لصاحبها والفه لها واعراضه عن النظر الى جمال
وجوه النساء فعمى اكثر القلوب عن ابصار جمال الله وجلاله
يضاهي عمى الخنفسا عن ادراك جمال النساء فانه لا يشعر به
اصلا ولا يلتفت اليه ولو كان له عقل وذكرت له لاستخف
عقل من يلتفت اليهن ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك
وكل حزب بما لديهم فرحون • حكى ان احمد بن حضرويه
راي ربه في المنام فقال له كل الناس يطلبون مني الا ابا يزيد

فانه يطلبني • وراي ابو يزيد ربه في المنام فقال له كل
الناس يا رب كيف الطريق اليك فقال اترك نفسك ٥ •
ويقال راي الشبلي في المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك
فقال لم يطالبني على الدعاوي بالبرهان الا على قول واحد
قلت يوما اي خسار اعظم من خسران الجنه فقال اي خسار
اعظم من خسران لقاي • والغرض ان هذه النيات متفاوته
الدرجات ومن غلب على قلبه واحد منها ربما لم يتيسر له
العدول الى غيرها ومعرفة هذه تورث اعمالا وافعالا لا
يستنكرها الظاهريون من الفقهاء فانا نقول من حضرت
له نية في مباح ولم تحضر في فضيلة فالمباح اولى وانتقلت
الفضيله اليه وصارت الفضيله في حقه نقيصة لان الاعما ل
بالنيات وذلك مثل العفو فانه افضل من الانتصار في
الظلم وربما تحضره نية الانتصار دون العفو فيكون ذلك
افضل ومثل ان يكون له نية في الاكل والشرب والنوم ليريح
نفسه ويتقوى على العبادة في المستقبل وليس تنبعث نيته
في الحال للصوم والصلاة فالاكل والنوم هو الافضل بل لو
مل العبادة لمواظبته عليها وسكن نشاطه وضعفت رغبته

وعلم انه لو تروّحه ساعة بلهو وحديث عاد نشاطه فاللهو افضل له من الصلاة، قال ابو الدردا اني لاستجم نفسي بشي من اللهو فيكون ذلك عونا على الحق، وقال علي رضي الله عنه روحوا القلوب فانها اذا اكرهت عميت، وهذه دقايق لا يدركها الا سماسرة العلماء دون الحشوية منهم بل الحاذق بالطب قد يعالج المحرور باللحم مع حرارته ويستبعده القاصر في الطب وانما يبغي ان يعيد اولا قوته ليحتمل المعالجة بالطب والحاذق في لعب الشطرنج مثلا قد ينزل عن الرخ والفرس مجانا ليتوصل بذلك الى الغلبة والضعيف البصيرة قد يضحك به ويتعجب منه، وكذلك الخبير بالقتال قد يفر من بين يدي قرنه ويوليه دبره حيلة منه ليستجره الى مضيق فيكر عليه فيغلبه، فكذلك سلوك طريق الله تعالى كله قتال مع الشيطان ومعالجة للقلب والبصير الموفق يقف فيها على لطايف من الحيل يستبعدها الضعفاء فلا ينبغي للمريد ان يضمر انكارا على ما يراه من شيخه ولا للمتعلم ان يعترض على استاذه بل ينبغي ان يقف عند حد بصيرته وما لا يفهمه من احوالهما يسلمه لهما الى ان ينكشف له اسرار ذلك بان يبلغ رتبتهما وينال درجتهما ٥

الباب الثاني في الاخلاص

وفضيلته وحقيقته ودرجاته ٥

بيان فضيلة الاخلاص قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين، وقال الله الا لله الدين الخالص وقال تعالى الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزلت الايه فيمن يعمل لله ويحب ان يحمد عليه، وقال النبي عليه السلام ثلث لا يغل عليهن قلب مسلم اخلاص العمل لله، وعن مصعب بن سعد عن ابيه قال ظن ابي ان له فضلا على من دونه من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام انما نصر الله تعالى هذه الامه بضعفايها ودعوتهم واخلاصهم وصلاتهم، وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الاخلاص سر من سري استودعته قلب من احببت من عبادي، وقال علي ابن ابي طالب لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ اخلص العمل يجزك منه القليل، وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما من عبد يخلص لله

تعالى العمل اربعين يومًا الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه
على لسانه، وقال عليه السلام اول من يسال يوم القيمة
ثلاث رجل آتاه الله تعالى العلم فيقول الله تعالى ما صنعت
فيما علمت فيقول يا رب كنت اقوم به آناء الليل واطراف
النهار فيقول الله عز وجل كذبت وتقول الملايكة كذبت
بل اردت ان يقال فلان عالم الا فقد قيل ذلك، ورجل آتاه
الله تعالى مالًا فيقول الله تعالى لقد انعمت عليك فماذا صنعت
فيقول يا رب كنت اتصدق به آناء الليل والنهار فيقول
الله تعالى كذبت وتقول الملايكة كذبت بل اردت ان يقال
فلان جواد الا فقد قيل ذلك، ورجل قتل في سبيل الله فيقول
الله تعالى ماذا صنعت فيقول يا رب امرت بالجهاد فقاتلت
حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملايكة كذبت
بل اردت ان يقال فلان شجاع الا فقد قيل ذلك قال ابو هريرة
ثم حط رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على فخذي وقال يا ابا
هريرة اوليك اول خلق تسعر بهم نار جهنم يوم القيمة فدخل
راوي هذا الحديث على معاويه وروى ذلك فبكى حتى كادت
تزهق نفسه ثم قال صدق الله اذ قال من كان يريد الحياة الدنيا

وزينتها نوف اليهم اعمالهم الاية، وفي الاسرائيليات ان عابدًا كان
يعبد الله تعالى دهرًا طويلًا فجاءه قوم فقالوا ان هاهنا قومًا
يعبدون شجرة من دون الله فغضب لذلك فاخذ فاسه على
عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله ابليس عليه اللعنة
في صورة شيخ فقال اين تريد رحمك الله فقال اريد ان اقطع هذه
الشجرة فقال وما انت وذاك تركت عبادتك واشتغالك
بنفسك وتفرغت لغير ذلك فقال ان هذا من عبادتي قال
فاني لا اتركك ان تقطعها فقاتله فاخذه العابد فطرحه
الى الارض وقعد على صدره فقال له ابليس اطلقني حتى اكلمك
فقام عنه فقال له ابليس يا هذا ان الله تعالى قد اسقط عنك
هذا ولم يفرضه عليك ولا تعبدها انت وما عليك من غيرك
ولله تعالى انبياء في الارض ولو شاء الله تعالى لبعثهم الى اهلها
وامرهم بقطعها قال العابد لا بد لي من قطعها فنابذه القتال
فغلبه العابد وصرعه وقعد على صدره وعجز ابليس فقال
له هل لك في امر فصل بيني وبينك وهو خير لك وانفع قال
ما هو قال اطلقني حتى اقوله لك فاطلقه فقال ابليس انت
رجل فقير لا شيء لك انما انت كل على الناس والنعم قال فارجع

عن هذا الامر ولك علي ان اجعل عند راسك في كل ليلة
دينارين اذا اصبحت اخذتهما وانفقت على نفسك وعلى عيالك
وتصدقت على اخوانك فيكون ذلك انفع لك وللمسلمين من
قطع هذه الشجرة التي يغرس مكانها ولا يضرهم قطعها شيا ولا
ينفع اخوانك قطعك اياها فتفكر العابد فيما قال وقال صدق
الشيخ لست نبي فيلزمني قطع هذه الشجرة ولا امرني الله ان
اقطعها فاكون عاصيا بتركها وما ذكره اكثر منفعة فعاهده
على الوفا بذلك وحلف له فرجع العابد الى متعبده فبات
فلما اصبح راى دينارين عند راسه فاخذهما وكذلك الغد
ثم اصبح اليوم الثالث وما بعده فلم ير شيا فغضب واخذ
فاسه على عاتقه واستقبله ابليس في صورة شيخ فقال الى
اين قال اقطع تلك الشجرة فقال كذبت والله ما انت بقادر
عليها ولا سبيل لك اليها فتناوله العابد ليفعل به كما فعل
اول مرة فقال هيهات واخذه ابليس وصرعه فاذا هو
كالعصفور بين رجليه وقام ابليس على صدره وقال لتنتهين
عن هذا الامر او لاذبحنك فنظر العابد فاذا لا طاقة له به
قال يا هذا غلبتني فخل عني واخبرني كيف غلبتك اولا وغلبتني

الان فقال لانك غضبت اولا لله تعالى وكانت نيتك الاخرة
فسخرني الله لك وهذه المرة غضبت لنفسك وللدنيا
فصرعتك، وهذه الحكاية تصديق قول الله تعالى الا عبادك
منهم المخلصين اذ لا يتخلص العبد عن الشيطان الا بالاخلاص
ولذلك كان معروف الكرخي يضرب نفسه ويقول يا نفسي
اخلصي تخلصي، وقال يعقوب المكفوف من يكتم حسناته
كما يكتم سياته، وقال ابو سليمان طوبى لمن صحت له خطوة
واحدة لا يريد بها الا الله، وكتب ابي موسى الاشعري من
خلصت نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس، وكتب
بعض الاوليا الى اخ له اخلص النية في اعمالك يكفك القليل
من العمل، وقال ايوب السختياني تخليص النيات على العمال
اشد عليهم من جميع الاعمال، وكان مطرف يقول من صفي
له ومن خلط خلط عليه، وروي بعضهم في المنام فقيل له كيف
وجدت اعمالك فقال كل شي عملته لله وجدته حتى حبة رمان
التقطتها من طريق، وحتى هرة ماتت لنا رايتها في كفة الحسنات
وكان في قلنسوتي خيطة من حرير فرايته في كفة السيات ٥،
وكان قد نفق حمار لي قيمته مايه دينار فما رايت له ثوابا فقلت

موت سنور في الحسنات وموت حمار ليس فيها فقيل لي انه قد
وجه حيث بعثت به فانه لما قيل لك قد مات قلت في لعنة الله
فبطل اجرك ولو قلت في سبيل الله لوجدته في حسناتك، وفي
روايه قال وكنت قد تصدقت بصدقه من الناس فاعجبني
نظرهم الي فوجدت ذلك لا علي ولا لي، قال سفين لما سمع هذا
قال ما احسن حاله اذا لم يكن عليه فقد احسن اليه، وقال
يحيى بن معاذ الاخلاص يميز العمل من العيوب كتمييز اللبن
من الفرث والدم، وقيل كان رجل يخرج في زي النساء ويحضر
في كل موضع يجتمع فيه النساء من عرس او مأتم فاتفق ان
حضر يوما موضعا يجتمع فيه النساء فسرقت درة فصاحوا ان
اغلقوا الباب حتى نفتش فكانوا يفتشون واحدة واحدة
حتى بلغت النوبة الى الرجل والى امراة معه فدعا الله تعالى
بالاخلاص وقال ان نجوت من هذه الفضيحة لا اعود الى مثل
هذا فوجدت الدرة مع تلك المراة فصاحوا ان اطلقوا الحرة
فقد وجدنا الدرة، وقال بعض الصوفيه كنت قايما مع ابي عبيد
التستري وهو يحرث ارضه بعد العصر من يوم عرفه فمر به بعض
اخوانه من الابدال فساره بشيء فقال ابو عبيد لا فمر كالسحاب

يمسح على الارض حتى غاب عن عيني فقلت لابي عبيد ما قال
لك قال سالني ان احج معه فقلت لا فقلت فهل لا فعلت
قال ليس لي في الحج نيه وقد نويت ان اتم هذه الارض العشيه
فاخاف ان حججت معه لاجله اتعرض لمقت الله لاني ادخل في
عمل الله تعالى شيئا غيره فيكون ما انا فيه اعظم عندي من
سبعين حجه، ويروى عن بعضهم قال غزوت في البحر فعرض
بعضنا مخلاه فقلت اشتريها فانتفع بها في غزوتي فاذا دخلت
مدينه كذا بعتها فربحت فيها فاشتريتها فرايت تلك الليله في
المنام كان شخصين نزلا من السماء فقال احدهما لصاحبه
اكتب الغزاه فاملى عليه اكتب خرج فلان متنزها وفلان
مرائيا وفلان تاجرا وفلان في سبيل الله ثم نظر الي وقال
اكتب خرج فلان تاجرا فقلت الله الله في امري ما خرجت اتجر
وما معي تجارة اتجر فيها ما خرجت الا للغزو فقال لي يا شيخ قد
اشتريت امس مخلاه تريد ان تربح فيها فبكيت وقلت لا تكتبوني
تاجرا فنظر الى صاحبه فقال له ما ترى فقال اكتب فلان خرج
غازيا الا انه اشترى في طريقه مخلاه ليربح فيها حتى يحكم الله
عز وجل فيه ما يرى، وقال السري السقطي تصلي ركعتين في خلوه

تخلصها خير لك من ان تكتب سبعين حديثا تعلوا اسناده
وقال بعضهم في اخلاص ساعة نجاة الابد ولكن الاخلاص عزيز
ويقال العلم بذر والعمل زرع وماؤه الاخلاص، وقال بعضهم
اذا ابغض الله عبدا اعطاه ثلاثا ومنعه ثلاثا اعطاه صحبة
الصالحين ومنعه القبول منهم واعطاه الاعمال الصالحة ومنعه
الاخلاص فيها واعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها، وقال
السوسي مراد الله تعالى من الخلق الاخلاص فقط، وقال
الجنيد ان لله تعالى عبادا عقلوا فلما عقلوا عملوا فلما عملوا
اخلصوا فدعاهم الاخلاص الى ابواب البر اجمع، وقال
محمد بن سعيد المروزي الامر كله يرجع الى اصلين فعل منه بك
وفعل منك له فترضى بما فعل وتخلص فيما تعمل فاذا انت
قد سعدت بهذين وفزت في الدارين ٥ **بيان**
حقيقة الاخلاص اعلم ان كل شيء يتصور ان يشوبه
غيره فاذا صفي عن شوبه وخلص عنه سمي خالصا ويسمى
الفعل المصفى المخلص اخلاصا قال الله تعالى من بين فرث
ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين فانما خلوص اللبن ان
لا يكون فيه شوب من الدم والفرث ومن كل ما يمكن

ان يمتزج به والاخلاص يضاده الاشراك فمن ليس مخلصا
فهو مشرك الا ان الشرك درجات فالاخلاص في التوحيد
يضاده الشرك في الالهية والشرك منه خفي ومنه جلي
وكذا الاخلاص والاخلاص وضده يتواردان على القلب
فمحله القلب وانما يكون ذلك في القصود والنيات وقد
ذكرنا حقيقة النية وانها ترجع الى اجابة البواعث فمهما
كان الباعث واحدا على التجرد سمي الفعل الصادر عنه اخلاصا
بالاضافة الى المنوي فمن تصدق وغرضه محض الريا فهو مخلص
ومن كان غرضه محض التقرب الى الله تعالى فهو مخلص ولكن
العادة جارية بتخصيص اسم الاخلاص بتجريد قصد التقرب
الى الله تعالى عن جميع الشوائب كما ان الالحاد عبارة عن الميل
ولكن خصصه العادة بالميل عن الحق ومن كان باعثه مجرد
الريا فهو معرض للهلاك ولسنا نتكلم فيه اذ قد ذكرنا ما
يتعلق به في كتاب الريا من ربع المهلكات واقل
امور ما ورد في الخبر ان المرائي يدعى في القيمة باربعة
اسما يا مرائي يا مخادع يا مشرك يا كافر وانما نتكلم الان
فيمن انبعث لقصد التقرب ولكن امتزج بهذا الباعث باعث

آخر اما من الريا او غيره من حظوظ النفس ومثال ذلك
ان يصوم لينتفع بالحمية الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب
او يعتق عبدا ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه او يحج ليصح مزاجه
بحركة السفر او ليتخلص من شر يعرض له في بلده او ليهرب
عن عدو له في منزله او تبرم باهله وولده او لشغل هو فيه
فاراد ان يستريح عنه اياما او يغزو ليمارس الحرب ويتعلم
اسبابه ويقدر به على تهيئة العساكر وجرها او يصلي بالليل
وله غرض في دفع النعاس عن نفسه ليراقب رحله او اهله
او يتعلم العلم ليسهل عليه طلب ما يكفيه من المال او يكون
عزيزا بين العشيرة او ليكون عقاره وامواله محروسا بعز
العلم عن الاطماع او اشتغل بالدرس والوعظ ليتخلص عن كرب
الصمت ويتفرج بلذة الحديث او يكفل بخدمة العلماء والصوفية
لتكون حرمته وافرة عندهم وعند الناس او لينال به رفقا
في الدنيا او كتب مصحفا ليجود بالمواظبة على الكتبة خطه
او حج ماشيا ليخفف عن نفسه الكرا او توضأ ليتنظف او يتبرد
او اغتسل لتطيب رايحته او روى الحديث ليعرف بعلو
الاسناد او اعتكف في المسجد ليخف عليه كرا المسكن او صام
ليخف عن نفسه التردد في طبخ الطعام او ليتفرغ لاشغاله
فلا يشغله الاكل عنها او تصدق على السايل ليقطع ابرامه في
السوال عن نفسه او يعود مريضا ليعاد اذا مرض ويشيع
جنازة ليشيع جنايز اهله او يفعل شيا من ذلك ليعرف بالخير
ويذكر به وينظر اليه بعين الصلاح والوقار فمهما كان
باعثه التقرب الى الله تعالى ولكن انضاف اليه خطرة من
هذه الخطرات حتى صار العمل اخف عليه بسبب هذه الامور
فقد خرج عمله عن حد الاخلاص وخرج عن ان يكون خالصا
لله تعالى وتطرق الشرك اليه فقد قال تعالى انا اغنى الشركاء
عن الشرك وبالجملة كل حظ من حظوظ الدنيا مما تستريح
اليه النفس وتميل اليه القلب قل ام كثر اذا تطرق الى العمل
تكدر به صفوه وزال به اخلاصه والانسان مرتبك في
حظوظه منغمس في شهواته قل ما ينفك فعل من افعاله وعبادة
من عباداته عن حظوظ واغراض عاجلة من هذه الاجناس
فلذلك قيل من سلم له في عمره لحظة واحدة لله تعالى نجا وذلك
لعزة الاخلاص وعسر تنقية النفس عن هذه الشوايب بل
الخالص الذي لا باعث عليه الا طلب القرب من الله تعالى وهذه

الحظوظ ان كانت هي الباعثة وجدها فلا تخفى شدة الأمر
على صاحبها وانما نظرنا فيما اذا كان القصد الاصلي هو التقرب
وانضاف اليه هذه الامور ثم هذه الشوائب اما ان يكون في
رتبة الموافقة او في رتبة المشاركة او في رتبة المعاونة كما
سبق في بيان النية وبالجملة اما ان يكون الباعث النفسي
مثل الباعث الديني او اقوى منه او اضعف ولكل واحد حكم
آخر كما سنذكره وانما الاخلاص تخليص العمل عن هذه الشوائب
كلها قليلها وكثيرها حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون
فيه باعث آخر سواه وهذا لا يتصور الا من محب لله تعالى مستهتر
به مستغرق الهم بالآخرة بحيث لم يبق لحب الدنيا في قلبه مقدار
حتى لا يحب الاكل والشرب ايضا بل تكون رغبته فيه كرغبته
في قضاء الحاجة من حيث انه ضرورة الجبلة فلا يشتهي الطعام
لانه طعام بل لانه تقويه على العبادة ويتمنى ان لو كفي شر الجوع
حتى لا يحتاج الى الاكل فلا يبقى في قلبه حظ من الفضول الزائدة
على الضرورة ويكون قدر الضرورة مطلوبا عنده لانه ضرورة
دينه فلا يكون همه الا الله تعالى فمثل هذا الشخص لو اكل او
شرب او قضى حاجته كان خالص العمل لله تعالى صحيح النية في

جميع حركاته وسكناته ولو نام مثلا ليريح نفسه فيتقوى على
العبادة بعده كان نومه عبادة وكان له درجة المخلصين فيه
ومن ليس كذلك فباب الاخلاص في الاعمال مسدود عليه الا
على الندور وكما ان من غلب عليه حب الله وحب الآخرة
فاكتسبت حركاته الاختيارية صفة همه وصارت اخلاصا
فالذي يغلب على نفسه الدنيا والعلو والرياسة وبالجملة غير
الله تعالى فقد اكتسبت جميع حركاته تلك الصفة فلا تسلم له
عباداته من صوم وصلاة وغير ذلك الا نادرا فاذا اصل
الاخلاص كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد
للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب فاذ ذاك يتيسر الاخلاص
وكم من من اعمال باعثه يتعب الانسان فيها ويظن انها خالصة
لله تعالى ويكون فيها مغرورا لانه لا يدري وجه الآفة فيها
كما حكي عن بعضهم انه قال قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت
صليتها في المسجد في الصف الاول لاني تأخرت يوما لعذر فصليت
في الصف الثاني فاعترتني خجلة من الناس حيث رآوني في الصف
الثاني فعرفت ان نظر الناس الي في الصف الاول كان مسرتي
وسبب استراحة قلبي من حيث لا اشعر وهذا دقيق غامض فلما

تسلم الاعمال عن امثاله وقل من تنبه له الامن وفقه الله تعالى
والغافلون عنه يرون حسناتهم كلها في الاخرة سيات وهم
المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
وبدا لهم سيات ما عملوا وبقوله تعالى قل نبيكم بالاخسرين اعمالا
الذين ضل سعيهم الايه واشد الخلق تعرضا لهذه الفتنه العلماء
فان الباعث للاكثرين على نشر العلم لذه الاستيلا والفرح
والاستتباع والاستبشار بالحمد والثنا والشيطان يلبس
عليهم ذلك ويقول غرضكم نشر دين الله تعالى والنضال عن الشرع
الذي شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وترى الواعظ يمن
على الله تعالى بنصيحه للخلق ووعظه للسلاطين ويفرح بقبول
الناس قوله واقبالهم عليه وهو يدعي انه يفرح بما يسر له من
نصره الدين ولو ظهر من اقرانه من هو احسن منه وعظا وانصرف
الناس اليه واقبلوا عليه ساه ذلك وغمه ولو كان باعثه الدين
لشكر الله تعالى اذ كفاه الله تعالى هذا المهم بغيره ثم الشيطان
مع ذلك لا يخليه ويقول انما غمك لانقطاع الثواب عنك لا لانصراف
وجوه الناس الى غيرك اذ لو اتعظوا بقولك لكنت انت المثاب
واغتمامك لفوات الثواب محمود ولا يدري المسكين ان انقياده

للحق وتسليمه للامر الافضل اجزل ثوابا واعود عليه في الاخره
من انفراده ، وليت شعري لو اغتم عمر بتصدي ابي بكر للامامه
لكان غمه محمودا او مذموما ولا يستريب ذو دين ان لو كان
ذلك لكان مذموما لان انقياده للحق وتسليمه الامر الى من
هو اصلح اعود عليه في الدين من تكلفه بمصالح الخلق مع ما
فيه من الثواب الجزيل بل فرح عمر رضي الله عنه باستقلال من
هو اولى منه بالامر فما بال العلما لا يفرحون بمثل ذلك ، وقد
ينخدع بعض اهل العلم بغرور الشيطان فيحدث نفسه بانه لو
ظهر من هو اولى منه لفرح به واخباره بذلك قبل التجربه والامتحان
محض الجهل والغرور فان النفس سهله القياد في الوعد بامثال
ذلك قبل نزول الامر ثم اذا دهاه الامر تغير ورجع ولم يف
بالوعد وذلك لا يعرفه الا من عرف مكايد النفس وطال
اشتغاله بامتحانها ، فمعرفه الاخلاص والعمل به بحر عميق يغرق
فيه الجميع الا الشاذ النادر والفرد الفذ هو المستثنى في قوله
الا عبادك منهم المخلصين ، فليكن العبد شديد التفقد والمراقبه
لهذه الدقايق والا التحق باتباع الشيطان وهو لا يشعر والعياذ
بالله تعالى

بيان اقاويل الشيوخ في الاخلاص

قال السوسي الاخلاص فقد رؤيه الاخلاص لان من شاهد
في اخلاصه الاخلاص فقد احتاج اخلاصه الى اخلاص، وما
ذكره اشارة الى تصفيه الفعل عن العجب بالفعل فان الالتفات
والنظر اليه عجب وهو من جملة الافات والخالص ما صفي عن
جميع الافات فهذا تعرض لافه واحده، وقال سهل الاخلاص
ان يكون العبد وحركاته لله تعالى خاصه وهذه كلمه جامعه محيطه
بالغرض، وفي معناه قول ابرهيم بن ادهم الاخلاص صدق النيه مع
الله سبحانه وتعالى، وقيل لسهل اي شي اشد على النفس فقال
الاخلاص اذ ليس لها فيه نصيب، وقال رويم الاخلاص في العمل
هو ان لا يريد صاحبه عليه عوضا في الدارين وهذا اشارة الى
ان حظوظ النفس افه عاجلا واجلا، والعابد لاجل تنعم النفس
بالشهوات في الجنه معلول، بل الحقيقه ان لا يراد بالعمل الا وجه
الله تعالى وهو اشارة الى اخلاص الصديقين وهو الاخلاص
المطلق فاما من يعمل لرغبه الجنه وخوف النار فهو مخلص بالاضافه
الى الحظوظ العاجله والا فهو في طلب حظ البطن والفرج، وانما
المطلوب الحق لذوي الالباب وجه الله تعالى فقط، وقول القايل
لا يتحرك الانسان الا لحظ فالبراه عن الحظوظ صفه الالهيه، ومن

ادعى ذلك

ادعى ذلك فهو كافر، وقد قضى القاضي ابو بكر الباقلاني بتكفير
من يدعي البراه عن الحظوظ وقال هذا صفه الالهيه وما ذكره
حق ولكن القوم انما ارادوا به البراه عما تسميه الناس
حظوظا وهو الشهوات الموصوفه في الجنه فقط، واما التلذذ
بمجرد المعرفه والمناجاه والنظر الى وجه الله تعالى وهذا حظ
هولاء وهذا لا تعده الناس حظا بل يتعجبون منه وهولاء لو
عوضوا عما هم فيه من لذة طاعة الله تعالى والمناجاة وملازمه
الشهود للحضرة الالهيه سرا وجهرا جميع نعيم اهل الجنه لاستحقروه
ولم يلتفتوا اليه فحركتهم لحظ وطاعتهم لحظ ولكن حظهم معبودهم
فقط دون غيره، وقال ابو عثمن الاخلاص نسيان رؤية الخلق
بدوام النظر الى الخالق وهذه اشارة الى افة الريا فقط، واذلك
قول بعضهم الاخلاص في العمل ان لا يطلع عليه شيطان فيفسده
ولا ملك فيكتبه فانه اشارة الى مجرد الاخفاء، وقد قيل
الاخلاص ما استتر عن الخلايق وصفا عن العلايق وهذا
اجمع المقاصد، وقال المحاسبي الاخلاص هو اخراج الخلق
من معاملة الرب وهذه اشارة الى مجرد نفي الريا، وكذلك
قول الخواص من شرب من كاس الرياسه فقد خرج عن اخلاص

العبوديه قال الحواريون لعيسى بن مريم ما الخالص من الاعمال
فقال الذي يعمل العمل لله تعالى لا يحب ان يحمد عليه احد وهذا
ايضا كالتعرض لترك الريا وانما خصه بالذكر لانه اقوى الاسباب
المشوبه للاخلاص وقال الجنيد الاخلاص تصفية الاعمال
عن الكدورات وقال الفضيل ترك العمل من اجل الناس
ريا والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله
عنهما وقيل الاخلاص دوام المراقبه ونسيان الحظوظ كلها
وهذا هو البيان الكامل والاقاويل في هذا كثيره ولا فايدة في
تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقه واما البيان الشافي بيان
سيد الاولين والاخرين عليه السلام اذ سيل عن الاخلاص
فقال ان تقول ربي الله ثم تستقيم كما امرت اي لا تعبد
هواك ونفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم في عبادتك كما
امرت وهذا اشارة الي قطع كل ما سوى الله عن مجرى النظر
وهو الاخلاص حقا ه بيان درجات الشوايب والافات
المكدره للاخلاص ه اعلم ان الافات المشوشه للاخلاص
بعضها جلي وبعضها خفي وبعضها ضعيف مع الجلا وبعضها قوي
مع الخفا ولا نفهم اختلاف درجاتها في الخفا والجلا الا بمثال

واظهر مشوشات الاخلاص الريا فلنذكر منه مثالا فنقول
الشيطان يدخل الافه علي المصلي مهما كان مخلصا في صلاته ثم
نظر اليه جماعه او دخل عليه داخل فيقول له حسن صلاتك حتى
ينظر اليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح ولا يزدريك ولا
يغتابك فتخشع جوارحه وتسكن اطرافه وتحسن صلاته
وهذا هو الريا الظاهر ولا يخفى ذلك علي المبتدي من
المريدين ه الدرجه الثانيه ان يكون المريد قد فهم هذه
الافه واخذ منها حذره وصار لا يطيع الشيطان فيها ولا يلتفت
اليه ويستمر في صلاته كما كان فياتيه في معرض الخير ويقول
انت متبوع ومقتدى بك ومنظور اليك وما تفعله يوثر
عنك ويتاسى بك غيرك فيكون لك ثواب اعمالهم ان احسنت
وعليك الوزر ان اسات فاحسن عملك بين يديه فعساه يقتدى
بك في الخشوع وتحسين العباده وهذا اغمض من الاول وقد
ينخدع به من لا ينخدع بالقول الاول وهو ايضا عين الريا ومبطل
للاخلاص ايضا فانه اذا كان يرى الخشوع وحسن العباده خيرا
لا يرتضي لغيره تركه فلم يرتضي ذلك لنفسه في الخلوه ولا يمكن
ان يكون نفس غيره اعز عليه من نفسه فهذا محض التلبيس

بل المقتدي به هو الذي استقام في نفسه واستنار قلبه
فانتشر نوره الى غيره فيكون له ثواب عليه فاما هذا فمحض
النفاق والتلبيس فمن اقتدى به اثيب عليه واما هو فيطالب
بتلبيسه ويعاقب على اظهاره من نفسه متصفا به ٥

الدرجة الثالثة وهي ادق مما قبلها ان يجرب العبد
نفسه في ذلك ويتنبه لكيد الشيطان ويعلم ان مخالفته
بين الخلوة والمشاهدة للغير محض الريا ويعلم ان الاخلاص
في ان تكون صلاته في الخلوة مثل صلاته في الملا ويستحيي
من نفسه ومن ربه ان يتخشع لمشاهدة خلقه تخشعا زايدا
على عادته فيقبل على نفسه في الخلوة ويحسن صلاته على
الوجه الذي يرضاها في الملا ويصلي ايضا في الملا كذلك
فهذا ايضا من الريا الغامض لانه حسن صلاته في الخلوة
ليحسن صلاته في الملا فلا يكون قد فرق بينهما فالتفاته في
الخلوة والملا الى الخلق بل الاخلاص ان يكون مشاهدة
البهايم لصلاته ومشاهدة الخلق على وتيرة واحدة فكانت
نفس هذا ليست تسمح باساءة الصلاة بين اظهر الناس ثم
يستحيي من نفسه ان يكون في صورة المرائين ويظن ان ذلك
يزول بان تستوي صلاته في الخلا والملا وهيهات بل زوال
ذلك بان لا يلتفت الى الخلق كما لا يلتفت الى الجمادات
والملا والخلا جميعا وهذا شخص مشغول الهم بالخلق في
الملا والخلا جميعا وهذا من المكايد الخفية للشيطان ٥

الدرجة الرابعة وهي ادق واخفى ان ينظر اليه
الناس وهو في صلاته فيعجز الشيطان عن ان يقول له
اخشع لاجلهم فانه قد عرف انه يفطن لذلك فيقول له
الشيطان تفكر في عظمة الله وجلاله ومن انت واقف
بين يديه واستحي من ان ينظر الله الى قلبك وانت غافل
عنه فيحضر بذلك قلبه وتخشع جوارحه ويظن ان ذلك
عين الاخلاص وهو عين المكر والخداع فان خشوعه لو كان
لنظره الى جلاله لكانت هذه الخطرة ملازمة في الخلوة
وكان لا يختص حضورها بحالة حضور غيره وعلامة الامن
من هذه الافة ان يكون هذا الخاطر مما يالفه في الخلوة كما
يالفه في الملا ولا يكون حضور الغير هو السبب في حضور
الخاطر كما لا يكون حضور البهيمة سببا فما دام يفرق في
احواله بين مشاهدة الانسان ومشاهدة بهيمة فهو بعد خارج

عن صفو الاخلاص مونس الباطن بالشرك الخفي من الرياء
وهذا الشرك اخفى في قلب ابن ادم من دبيب النملة السودا
في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء كما ورد به الخبر ولا
يسلم من الشيطان الا من دق نظره وسعد بعصمة الله تعالى
وتوفيقه وهدايته والا فالشيطان ملازم للمتشمرين لعبادة
الله ولا يغفل عنهم ساعة بل يحملهم على الرياء في كل حركة
من الحركات حتى في كحل العين وقص الشارب وطيب يوم
الجمعة ولبس الثياب فان هذه سنن في اوقات مخصوصة
وللنفس فيها حظ خفي لارتباط نظر الخلق بها ولاستيناس
الطبع فيدعوا الشيطان الى فعل ذلك وهو يقول هذه سنة
لا ينبغي ان تتركها ويكون انبعاث القلب باطنا لاجل تلك
الشهوات الخفيه او مشوبة بها شوبا يخرج عن حد الاخلاص
بسببها وما لا يسلم عن هذه الافات كلها فليس بخالص بل
من يعتكف في مسجد معمور لطيف حسن العمارة يانس الطبع
به فالشيطان يرغبه فيه ويكثر عليه من فضايل الاعتكاف
وقد يكون المحرك الخفي في سره هو الانس بحسن صورة المسجد
واستراحة الطبع به ويبين ذلك في ميله الى احد المسجدين

او احد الموضعين اذا كان احسن من الاخر وكل ذلك
امتزاج بشوايب الطباع وكدورات النفس ومبطل حقيقة
الاخلاص لعمري الغش الذي يمزج بخالص الذهب له درجات
متفاوتة فمنها ما يغلب ومنها ما يقل ولكن يسهل دركه ومنها
ما يدق بحيث لا يدركه الا الناقد البصير ودغل الشيطان
وخبث النفس اغمض من ذلك وادق كثيرا ولهذا قيل ركعتان
من عالم افضل من عبادة سنة من جاهل واريد به العالم البصير
بدقايق افات الاعمال حتى يخلص عنها فان الجاهل نظره الى ظاهر
العبادة واغتراره بها كنظر السوادي الى حمرة الدينار المموه ○
واستدارته وهو مغشوش زايف في نفسه وقيراط من الخالص الذي
يرتضيه الناقد خير من دينار يرتضيه الغر الغبي وهكذا يتفاوت
امر العبادات بل اشد واعظم ومداخل الافات المتطرقة الى
فنون الاعمال لا يمكن حصرها واحصاؤها فلنقنع بما ذكرناه
مثالا والفطن يغنيه القليل عن الكثير والبليد لا يغنيه التطويل
ايضا فلا فايدة في التطويل ○ **بيان حكم العمل المشوب**
واستحقاق الثواب به اعلم ان العمل اذا لم يكن خالصا لوجه
الله تعالى بل امتزج به شوب من الرياء او حظوظ النفس فقد

اختلف فيه ان ذلك هل يقتضي ثوابا ام يقتضي عقابا ام لا
يقتضي شيئا اصلا فلا يكون له ولا عليه اما الذي لم يرد به الا
الرياء فهو عليه قطعا وهو سبب المقت والعقاب واما الخالص
لوجه الله تعالى فهو سبب للثواب واما النظر في المشوب فظاهر
الاخبار تدل على انه لا ثواب له وليس تخلو الاخبار عن تعارض
فيه والذي ينقدح لنا فيه والعلم عند الله ان ننظر الى قدر قوة
البواعث فان كان الباعث الديني مساويا للباعث النفسي
تقاوما وتساقطا وصار العمل لا له ولا عليه وان كان باعث
الرياء اغلب واقوى فهو ليس بنافع بل هو مع ذلك مضر ومقتضي
للعقاب نعم العقاب الذي فيه اخف من عقاب العمل الذي تجرد
للرياء ولم يمتزج به شائبة التقرب وان كان قصد التقرب اغلب
بالاضافة الى الباعث الاخر فله ثواب بقدر ما حصل من قوة الباعث
الديني وهذا لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن
يعمل مثقال ذرة شرا يره ولقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة
ولا ينبغي ان يضيع قصد الخير بل ان كان غالبا على قصد الرياء
حبط منه القدر الذي يساويه وبقيت زيادة وان كان
مغلوبا اسقط بسببه شيء من عقوبة القصد الفاسد وكشف

الغطاء عن هذا ان الاعمال تاثيرها في القلوب بتاكيد القلب في
صفاتها فداعية الرياء من المهلكات وانما غذاء هذا المهلك وقوته
العمل على وفقه وداعية الخير من المنجيات وانما قوتها بالعمل
على وفقها فاذا اجتمعت الصفتان في القلب فهما متضادتان فاذا
عمل على وفق مقتضى الرياء فقد قوي تلك الصفة وان كان ذلك
العمل على وفق مقتضى التقرب فقد قوي ايضا تلك الصفة واحدهما
مهلك والاخر منج وان كان تقوية هذا بقدر تقوية الاخر
فقد تقاوما فكان كالمستضر بالحرارة اذا تناول ما يضره ثم
تناول من المبردات ما يقاوم قدر قوته فيكون بعد تناولهما كانه
كانه لم يتناولهما وان كان احدهما غالبا لم يخل الغالب عن اثر
فكما لا يضيع مثقال ذرة من الطعام والشراب والادوية ولا
ينفك عن اثر في الجسد بحكم سنة الله تعالى فكذلك لا يضيع
مثقال ذرة من الخير والشر ولا ينفك عن تاثير في انارة القلب
او تسويده وفي تقريبه من الله او ابعاده فاذا جاء بما يقربه شبرا
مع ما يبعده شبرا فقد عاد الى ما كان فلم يكن لا له ولا عليه واذا
كان الفعل مما يقربه شبرين والاخر يبعده شبرا واحدا فضل لا
محالة شبر وقد قال عليه السلام اتبع السيئة الحسنة تمحها فاذا

كان الرياء المحض يحبط الاخلاص المحض عقيبه فاذا اجتمعا جميعا
فلا بد ان يتدافعا بالضرورة ويشهد لهذا اجماع الامة على ان من
خرج حاجا ومعه تجارة صح حجه واثيب عليه وقد امتزج به حظ
من حظوظ النفس نعم يمكن ان يقال انما يثاب على اعمال الحج عند
انتهائه الى مكة وتجارته غير موقوفة عليه وهو خالص وانما المشترك
طول المسافة ولا ثواب فيه مهما قصد التجارة ولكن الصواب ان
يقال مهما كان الحج هو المحرك الاصلي وكان غرض التجارة كالمعين
والتابع فلا تنفك نفس السفر عن ثواب وما عندي ان الغزاة
لا يدركون في انفسهم تفرقة بين غزو الكفار في جهة تكثر فيها الغنائم
وبين جهة لا غنيمة فيها ويبعد ان يقال ادراك هذه التفرقة
يحبط بالكلية ثواب جهادهم بل العدل ان يقال اذا كان الباعث
الاصلي والمزعج القوي هو اعلاء كلمة الله تعالى وانما الرغبة في
الغنيمة على سبيل التبعية فلا يحبط به الثواب نعم لا يساوي
ثوابه ثواب من لا يلتفت قلبه الى الغنيمة اصلا فان هذا الالتفات
نقصان لا محالة فان قلت فالآيات والاخبار تدل على ان
شوب الريا يحبط الثواب وفي معناه شوب طلب الغنيمة والتجارة
وساير الحظوظ فقد روى طاوس وغيره من التابعين ان رجلا

سال النبي صلى الله عليه وسلم عن من يصطنع المعروف او قال
يتصدق فيحب ان يحمد ويوجر فلم يدر ما يقول له حتى نزلت فمن
كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه
احدا وقد قصد الحمد والاجر جميعا وروى معاذ عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال ادنى الريا شرك وقال ابو هريرة قال
النبي صلى الله عليه وسلم يقال لمن اشرك في عمله خذ اجرك
ممن عملت له وعن عبادة ان الله تعالى يقول انا اغنى الاغنياء عن
الشرك من عمل عملا اشرك معي غيري ودعت نصيبي لشريكي
وروى ابو موسى ان اعرابيا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل
ليرى مكانه فمن في سبيل الله فقال عليه السلام من قاتل لتكون
كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال عمر يقولون فلان
شهيد ولعله ان يكون قد ملا دفتي ناقته ورقا وقال ابن
مسعود من هاجر يبتغي شيا من الدنيا فهو له فنقول هذه الاحاديث
لا تناقض ما ذكرناه بل المراد بها من لم يرد بذلك الا الدنيا
لقوله من هاجر يبتغي شيا من الدنيا اي كان ذلك هو الاغلب على همه
وقد ذكرنا ان ذلك عصيان وعدوان لا لان طلب الدنيا حرام

ولكن طلبها باعمال الدين حرام لما فيه من الريا وتعتبر
العباده عن وضعها، واما الشركه حيث وردت فمطلقه
بالتساوي وقد بينا انه اذا تساوي القصدان تقاوما ولم
يكن له ولا عليه ولا ينبغي ان يرجى عليه ثوابه ثم الانسان
عند الشركه ابدا في خطر فانه لا يدري اي الامرين اغلب على
قصده فربما يكون عليه وبالا وكذلك قال الله تعالى
فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا اي لا يرجى
اللقا مع الشركه التي احسن احوالها التساقط ويجوز ان
يقال ايضا منصب الشهاده لا ينال الا بالاخلاص في الغزو
وبعيد ان يقال من كانت داعيته الدينيه بحيث يزعجه
الي مجرد الغزو وان لم يكن غنيمه وقدر على غزو طايفتين
من الكفار احديهما اغنيا والاخرى فقرا فمال الي جهة
الاغنياء لاعلا كلمة الله تعالى وللغنيمه انه لا ثواب له
على غزوه البته ونعوذ بالله ان يكون الامر كذلك فان
هذا حرج في الدين ومدخل الياس على المسلمين لان امال
هذه الشوايب المانعه قد لا ينفك الانسان عنها الا على الندور
فيكون تاثير هذا في نقصان الثواب فاما ان يكون في الاحباط

فلا نعم الانسان فيه على خطر عظيم لانه ربما يظن ان الباعث
الاقوي هو قصد التقرب ويكون الاغلب على سره الحظ النفسي
وذلك مما يخفي غاية الخفا فلا يحصل الامن الا بالاخلاص
والاخلاص قلما يستيقنه العبد وان بالغ في الاحتياط فلذلك
ينبغي ان يكون ابدا بعد كمال الاجتهاد مترددا بين الرد والقبول
خايفا ان يكون في عبادته افه يكون وبالها اكثر من ثوابها
وهكذا كان الخايفون من ذوي البصاير وهكذا ينبغي ان
يكون كل ذي بصيره، ولذلك قال شفين لا اعتد بما ظهر
من عملي، وقال عبد العزيز بن ابي رواد جاورت هذا البيت
ستين سنه فما دخلت في شي من اعمال الله الا وحاسبت نفسي
فوجدت نصيب الشيطان اوفى من نصيب الله ليته لا لي ولا
علي ومع هذا فلا ينبغي ان يترك العمل عند خوف الافه والريا
فان ذلك منتهي بغيه الشيطان منه اذ المقصود ان لا يفوت
الاخلاص ومهما ترك العمل فقد ضيع العمل والاخلاص
جميعا، وقد حكي ان بعض الفقرا كان يخدم ابا سعيد الخراز
ويخف في اعماله فتكلم ابو سعيد يوما في الاخلاص الحركات
فاخذ الفقير يتفقد قلبه عند كل حركه ويطالبه بالاخلاص

فتعذر عليه قضاء الحوائج واستبصر الشيخ بذلك فسأله
عن امره فاخبره بمطالبة نفسه بحقيقة الاخلاص وانه يعجز
عنها في اكثر اعماله فيتركها قال ابو سعيد لا تفعل فان
الاخلاص لا يقطع المعاملة فواظب على العمل واجتهد في
تحصيل الاخلاص فما قلت لك اترك العمل وانما قلت اخلص
العمل، وقد قال الفضيل ترك لسبب الخلق ريا وفعله لاجل العمل
الخلق شرك ٥

الباب الثالث

في الصدق وفضيلته وحقيقته ٥

بيان فضيلة الصدق قال الله تعالى رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه، وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الصدق
يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة، وان الرجل ليصدق
حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور
والفجور يهدي الى النار، وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند
الله كذابا، وكفى في فضيلة الصدق ان الصديق مشتق
منه والله تعالى وصف به الانبياء في معرض المدح والثنا
فقال واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا، وقال
واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا، قال ابن عباس

اربع من كن فيه فقد ربح الصدق والحيا وحسن الخلق
والتقى، وقال بشر بن الحرث من عامل الله بالصدق استوحش
من الناس، وقال ابو عبد الله الرملي رايت منصور الدينوري
في المنام فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لي ورحمني واعطاني
ما لم اومله فقلت احسن ما توجه العبد به الى الله تعالى ماذا
قال الصدق واقبح ما توجه به الكذب، وقال ابو سليمان
اجعل الصدق مطيتك والحق سيفك والله تعالى غاية طلبتك،
وقال رجل لحكيم ما رايت صادقا فقال لو كنت صادقا لعرفت
الصادقين، وعن محمد بن علي الكتاني قال وجدنا دين الله تعالى
مبنيا على ثلاثة اركان على الحق والصدق والعدل فالحق على
الجوارح والعدل على القلوب والصدق على العقول، وقال
الثوري في قوله تعالى ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله
وجوههم مسودة قال هم الذين ادعوا محبة الله تعالى ولم يكونوا
بها صادقين، واوحى الله تعالى الى داود يا داود من صدقني
في صدبرته صدقته عند المخلوقين في علانيته، وصاح رجل سر
في مجلس ورمى بنفسه في الدجلة فقال الشبلي ان كان صادقا
فالله ينجيه كما انجى موسى وان كان كاذبا فالله يغرقه كما اغرق

زعون، وقال بعضهم اجتمع الفقها والعلما على ثلث خصال
انها اذا صحت ففيها النجاه ولا يتم بعضها الا ببعض الاسلام الخالص
عن البدعة والهوى والصدق لله في الاعمال وطيب المطعم
وقال وهب بن منبه وجدت على حاشية التوراة اثنين وعشرين
حرفا كان صلحا بني اسرائيل يجتمعون فيقرؤنها ويتدارسونها
لا كنز انفع من العلم، ولا مال اربح من الحلم، ولا حسب اوضع
من الغضب ولا قرين ازين من العلم، ولا رفيق اشين من الجهل،
ولا شرف ازين من التقوى ولا كرم اوفر من ترك الهوى،
ولا عمل افضل من الفكر، ولا حسنة اعلى من الصبر، ولا سيئة
اخزى من الكبر، ولا دواء الين من الرفق، ولا داء اوجع من
الخوف، ولا رسول اعدل من الحق، ولا دليل انصح من الصدق
ولا فقر اذل من الطمع، ولا غنى اشقى من الجمع، ولا حياة
اطيب من الصحة، ولا معيشة اهنى من العفة، ولا عبادة
احسن من الخشوع، ولا زهد خير من القنوع، ولا حارس احفظ
من الصمت، ولا غايب اقرب من الموت، وقال محمد بن اسمعيل المروزي
اذا طلبت الله بالصدق اعطاك الله مراة بيدك حتى تبصر
كل شي من عجايب الدنيا والاخرة، وقال ابو بكر الوراق احفظ فيما

بينك وبين الله تعالى الصدق والرفق فيما بينك وبين الخلق
وقيل لذي النون هل للعبد الى صلاح اموره سبيل فقال
قد بقينا مذبذبين حيارى نطلب الصدق ما اليه سبيل ٪
فدعاوى الهوى تخف علينا وخلاف الهوى علينا ثقيل ٪
وقيل لسهل ما اصل هذا الامر الذي نحن عليه فقال الصدق
والسخا والشجاعة فقيل زدنا فقال التقى والحيا وطيب
الغذا، وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل
عن الكمال فقال قول الحق والعمل بالصدق، وعن الجنيد في
قوله تعالى ليسال الصادقين عن صدقهم فقال يسال الصادقين
عن انفسهم عند ربهم وهذا امر على خطر **بيان حقيقة
الصدق ومعناه ومراتبه** اعلم ان لفظ الصدق يستعمل
في ستة معان صدق في القول وصدق في النية والارادة،
وصدق في العزم، وصدق في الوفا بالعزم، وصدق في العمل،
وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها فمن اتصف بالصدق
في جميع ذلك فهو صديق لانه مبالغة من الصدق ثم هم ايضا
على درجات ومن كان له حظ من الصدق في شي من الجملة
فهو صادق بالاضافة الى ما فيه صدقه **الصدق الاول**

صدق اللسان وذلك لا يكون الا في الاخبار او فيما يتضمن
الاخبار وينبه عليه والخبر اما ان يتعلق بالماضي او بالمستقبل
وفيه يدخل الوفاء بالوعد والخلف فيه وحق على كل عبد ان
يحفظ الفاظه فلا يتكلم الا بالصدق وهذا هو اشهر انواع الصدق
واظهرها فمن حفظ لسانه على الاخبار عن الاشياء بخلاف ما هي عليه
فهو صادق ولكن لهذا الصدق كمالان: احدهما الاحتراز
عن المعاريض فقد قيل في المعاريض مندوحة عن الكذب وذلك
لانها تقوم مقام الكذب اذ المحذور من الكذب تفهيم الشيء
على خلاف ما هو عليه في نفسه الا ان ذلك مما تمس اليه الحاجة
وتقتضيه المصلحة في بعض الاحوال وفي تاديب الصبيان والنسوان
ومن يجري مجراهم وفي الحذر عن الظلمة وفي قتال الاعداء والاحتراز
عن اطلاعهم على اسرار الملك فمن اضطر الى شيء من ذلك فصدقه
فيه ان يكون نطقه فيه لله تعالى فيما يامر الحق به ويقتضيه
الدين فاذا نطق به فهو صادق وان كان كلامه مفهما غير ما
هو عليه لان الصدق ما اريد لذاته بل للدلالة على الحق والدعاء
اليه فلا ينظر الى صورته بل الى معناه. نعم في مثل هذا الموضع ينبغي
ان يعدل الى المعاريض ما وجد اليه سبيلا كان رسول الله صلى

الله عليه وسلم اذا توجه الى سفر ورى بغيره وذلك لكيلا
ينتهي الخبر الى الاعدا فيقصد وليس هذا من الكذب في شيء. قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكاذب من اصلح بين اثنين
ومن كان له فقال خيرا او نمى خيرا. ورخص في النطق على وفق
المصلحة في ثلاثة مواضع من اصلح بين اثنين ومن كان له زوجتان
ومن كان في مصالح الحرب والصدق هاهنا يتحول الى النية فلا
يراعي فيه الا صدق النية وارادة الخير فمهما صح قصده وصدقت
نيته وتجرد للخير ارادته كان صادقا وصديقا كيف ما كان
لفظه ثم التعريض فيه اولى وطريقه ما حكي عن بعضهم انه كان
يطلبه بعض الظلمة وهو في داره فقال لزوجته خطي باصبعك
دايرة وضعي الاصبع على الدايرة وقولي ليس هاهنا فاحترز
بذلك عن الكذب ودفع الظالم عن نفسه فكان قوله صدقا
وافهم الظالم انه ليس في الدار فالكمال الاول في اللفظ ان
يحترز عن صريح اللفظ وعن المعاريض ايضا الا عند الضرورة
والكمال الثاني ان يراعي معنى الصدق في الفاظه التي
يناجي بها ربه كقوله وجهت وجهي للذي فطر السموات فان
قلبه ان كان منصرفا عن الله تعالى مشغولا بامانى الدنيا وشهواته

فهو كاذب وقوله اياك نعبد وقوله انا عبد الله فانه اذا لم
يتصف بحقيقة العبودية وكان له مطلب سوى الله لم يكن
كلامه صدقا ولو طولب يوم القيمة بالصدق في قوله انا عبد الله
لعجز عن تحقيقه فانه ان كان عبداً لنفسه او عبداً للدنيا او
عبداً للشهوات لم يكن صادقا في قوله وكلما تقيد العبد به
فهو عبد له كما قال عيسى بن مريم عليه السلام يا عبيد الدنيا
وقال نبينا عليه السلام تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم
وعبد الحلة وعبد الخميصة سمي كل من تقيد قلبه بشيء عبداً له
وانما العبد الحق لله من اعتق اولاً عن غير الله فصار حراً مطلقا
فاذا تقدمت هذه الحرية صار القلب فارغا فحلت فيه العبودية
لله تعالى فيشغله بالله وبمحبته وتقيد باطنه وظاهره بطاعته
فلا يكون له مراد الا الله تعالى ثم قد يجاوز هذا الى مقام
اشرف منه يسمى الحرية وهو ان يعتق عن ارادته لله من حيث
هو بل يقتنع بما يريد الله تعالى له من تقريب او تبعيد فتفنى
ارادته في ارادة الله تعالى وهذا عبد عتق عن غير الله ثم
فصار حراً ثم عاد وعتق عن نفسه فصار حراً وصار مفقوداً
لنفسه موجوداً لسيده ومولاه ان حركه تحرك وان سكنه

سكن وان ابتلاه رضي لم يبق فيه متسع لطلب والتماس واعتراض
بل هو بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل وهذا منتهى الصدق
في العبودية فالعبد الحق هو الذي وجوده لمولاه لا لنفسه وهذه
درجات الصديقين واما الحرية عن غير الله فدرجات الصادقين
وبعدها تحقق العبودية لله تعالى وما قبل هذا فلا يستحق صاحبه
ان يسمى صادقا ولا صديقا فهذا هو معنى الصدق في القول ٥
الصدق الثاني في النية والارادة ويرجع ذلك الى الاخلاص
وهو ان لا يكون له باعث في الحركات والسكنات الا الله تعالى
فان مازجه شوب من حظوظ النفس بطل صدق النية وصاحبه
يجوز ان يسمى كاذبا كما روينا في فضيلة الاخلاص في
حديث الثلاثة حتى يسأل العالم ماذا عملت فيما علمت قال
فعلت كذا وكذا قال الله تعالى كذبت بل اردت ان يقال
فلان عالم فانه لم يكذبه ولم يقل لم تعمل ولكن كذبه في ارادته
ونيته وقد قال بعضهم الصدق صحة التوجه في القصد وكذلك
قول الله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وقد قالوا
انك لرسول الله وهذا صدق ولكن كذبهم لا من حيث نطق
اللسان بل من حيث ضمير القلب وكان التكذيب يتطرق الى

الخبر وهذا القول يتضمن اخبارا بقرينة الحال اذ صاحبه
يظهر من نفسه انه يعتقد ما يقوله وكذب في دلالته
بقرينة الحال على ما في قلبه فانه كذب في ذلك وان لم يكذب
فيما يلفظ به فيرجع احد معاني الصدق الى خلوص النية وهو
الاخلاص وكل صادق فلا بد ان يكون مخلصا ه **الصدق**
الثالث صدق العزم فان الانسان قد يقدم العزم
على العمل ويقول في نفسه ان رزقني الله تعالى مالا تصدقت
بجميعه او شطره او ان لقيت عدوا في سبيل الله قاتلت ولم
ابال وان قتلت وان اعطاني الله تعالى ولاية عدلت فيها ولم
اعص الله تعالى بظلم وميل الى خلق فهذه العزيمة قد يصادفها
من نفسه وهي عزيمة جازمة صادقة وقد يكون في عزمه
نوع ميل وتردد يضاد الصدق في العزيمة وكان الصدق
هاهنا عبارة عن التمام والقوة كما يقال لفلان شهوة صادقة
ويقال هذا المريض شهوته كاذبة مهما لم يكن شهوته عن
سبب ثابت قوية كانت او ضعيفة فقد يطلق الصدق ويراد
به هذا المعنى الصادق والصديق هو الذي يصادق عزيمته
في الخيرات كلها قوية تامة ليس فيها ميل ولا ضعف ولا

تردد بل تسخو نفسه ابدا بالعزم المصمم الجازم على الخيرات
وكما قال عمر رضي الله عنه لان اقدم فتضرب عنقي احب
الي من ان اتامر على قوم فيهم ابو بكر رضي الله عنه فانه قد
وجد في نفسه العزم الجازم والمحبة الصادقة بان لا يتامر
مع وجود ابي بكر واكد ذلك بما ذكره من القتل ومراتب
الصديقين في العزايم تختلف فقد يصادف العزم ولا ينتهي
به الى ان يرضى بالقتل ولكن اذا خلا ورايه لم يتقدم ولو
ذكر له حديث القتل لا ينقض عزمه بل في الصادقين والمومنين
من لو خير بين ان يقتل هو او ابو بكر كانت حياته احب اليه
من حياة ابي بكر الصديق ه **الصدق الرابع** في الوفاء بالعزم
في الحال اذ لا مشقة في الوعد والعزم والمونة فيه خفيفة
فاذا حقت الحقايق وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت
العزيمة وغلبت الشهوة ولم يتفق الوفاء بالعزم وهذا يضاد
الصدق فيه ولذلك قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه فقد روي عن انس ان عمه انس بن النضر لم يشهد
بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك على قلبه فقال
اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه اما

والله لئن رآني الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليرى الله ما اصنع فشهد احدا من العام المقبل فاستقبله سعد
ابن معاذ فقال يا ابا عمرو الى اين فقال واها لريح الجنة اني
اجدها دون احد فقاتل حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون
من بين رمية وضربة وطعنة فقالت بنت النضر اختي ما عرفت
اخي الا ببنانه ونزلت هذه الاية رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه ، ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصعب
بن عمير وقد سقط على وجهه يوم احد شهيدا وكان صاحب
لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وقال فضالة بن عبيد
سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الشهداء اربعة رجل مومن جيد الايمان لقي العدو فصدق (جيد)
الله حتى قتل فذلك الذي يرفع الناس اليه اعينهم يوم القيامة
هكذا ورفع راسه حتى وقعت قلنسوته قال الراوي فلا
ادري قلنسوة عمر او قلنسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ه
ورجل جيد الايمان اذا لقي العدو فكانما يضرب وجهه بشوك
الطلح اتاه سهم غاير فقتله فهو في الدرجة الثانية ورجل

فصدق
مومن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقي العدو فلقي الله تعالى
حتى قتل فذلك في الدرجة الثالثة ، وقال مجاهد رجلان
خرجا على ملاء من الناس قعود فقالا ان رزقنا الله لنصدقن
فرزقهم فبخلوا به فنزلت ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله
لنصدقن ولنكونن من الصالحين ، وقال بعضهم انما هو شي نووه
في انفسهم لم يتكلموا به فقال ومنهم من عاهد الله فلما اتاهم
من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في
قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون
فجعل العزم عهدا وجعل الخلف فيه كذبا والوفاء به صدقا ه
وهذا الصدق اشد من الصدق الثالث فان النفس قد تسخو
بالعزم ثم تكع عند الوفاء لشدته عليها ولهيجان الشهوات عند التمكن
وحصول الاسباب ، وكذلك استثنى عمر فقال لان اقدم فتضرب
عنقي احب الي من ان اتامر على قوم فيهم ابو بكر اللهم الا ان
تسول لي نفسي عند القتل شيا لا اجده لاني لا آمن ان يثقل
عليها ذلك فتتغير عن عزمها اشار بذلك الى شدة الوفاء بالعزم
وقال ابو سعيد الخراز رايت في المنام كان ملكين نزلا
من السماء فقالا لي ما الصدق قلت الوفاء بالعهد فقالا صدقت

وعرجا الى السماء ۝ **الصدق الخامس** في الاعمال وهو ان
يجتهد حتى لا يدل باعماله الظاهر على امر في باطنه لا يتصف
هو به لا بان يترك الاعمال ولكن بان يستجر الباطن الى تصديق
الظاهر وهذا مخالف ما ذكرنا من ترك الريا لان المرائي هو الذي
يقصد ذلك لاجل الخلق ورب واقف على هيئة الخشوع في
صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن
الصلاه فمن ينظر اليه يراه قايما بين يدي الله تعالى وهو بالباطن
قايم في السوق بين يدي شهوة من شهواته وهذه اعمال تعرب
بلسان الحال عن الباطن اعرابا هو فيه كاذب وهو مطالب
بالصدق في الاعمال وكذلك قد يمشي الرجل على هيئة السكون
والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك الوقار فهذا غير صادق
في عمله فان لم يكن ملتفتا الى الخلق ولا مرائيا اياهم ولا ينجو
عن هذا الا باستواء السريرة والعلانيه بان يكون باطنه
مثل ظاهره او خيرا من ظاهره ومن خيفة ذلك اختار بعضهم
تشويش الظاهر ولبس ثياب الاشرار كيلا يظن به الخير
بسبب ظاهره فيكون كاذبا في دلالة الظاهر على الباطن
فاذا المخالفة الظاهر للباطن ان كان عن قصد يسمى ريا ويفوت

به الاخلاص وان كان عن غير قصد فيفوت به الصدق ،
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل سريرتي
خيرا من علانيتي واجعل علانيتي صالحه ، وقال زيد بن الحرث
اذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف وان كانت
سريرته افضل من علانيته فذلك الفضل وان كانت علانيته
افضل من سريرته فذلك الجور ، وانشد ؛
، اذا السر والاعلان في المومن استوى فقد عز في الدارين واستوجب الثنا
، فان خالف الاعلان سرا فما له على سعيه فضل سوى الكد والعنا
، كما خالص الدينار في السوق نافق ومغشوشه المردود لا يقتضي المنا
وقال عطية بن عبد الغافر اذا وافقت سريرة المومن علانيته
باهى الله تعالى به الملايكه يقول هذا عبدي حقا ، وقال معوية
ابن قرة من يدلني على بكا بالليل بسام بالنهار ، وقال عبد الواحد
كان الحسن اذا امر بشي كان من اعمل الناس به واذا نهي عن
شي كان من اترك الناس له ولم ار احدا قط اشبه سريرة بعلانية
منه ، وكان ابو عبد الرحمن الزاهد يقول الهي عاملت الناس فيما
بيني وبينهم بالامانه وعاملتك فيما بيني وبينك بالخيانه ويبكي ،
وقال ابو يعقوب النهرجوري الصدق موافقة الحق في السر

والعلانيه فاذن مساواة السريرة للعلانيه احد انواع الصدق

الصدق السادس

وهو اعلى الدرجات واعزها الصدق
في مقامات الدين كالصدق في الخوف والرجا والتعظيم والزهد
والرضى والحب والتوكل وسائر هذه الامور فان هذه الامور لها
مبادي ينطلق الاسم بظهورها ثم لها غايات وحقايق والصادق
المحقق من نال حقيقتها فاذا غلب الشي وتمت حقيقته سمي صاحبه
صادقا فيه كما يقال فلان صدق القتال ويقال هذا هو الحق
الصادق وهذه هي الشهوة الصادقة وقال تعالى انما المومنون
الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم
في سبيل الله اوليك هم الصادقون وقال تعالى ولكن البر من
امن بالله واليوم الاخر الى قوله اوليك الذين صدقوا وسيل
ابو ذر عن الايمان فقرا هذه الايه فقيل له سالناك عن الايمان
فقال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقرا
هذه الايه ولنضرب للخوف مثلا فما من عبد يومن بالله الا وهو
خايف من الله خوفا ينطلق عليه الاسم ولكنه خوف غير صادق
وغير بالغ الى درجة الحقيقه اما تراه اذا خاف سلطانا او قاطع
طريق في سفره كيف يصفر لونه وترتعد فرايصه وتتنغص عليه

عيشه ويتعذر عليه اكله ونومه وينقسم عليه فكره حتى لا
ينتفع به اهله وولده وقد ينزعج عن الوطن فيستبدل بالانس
الوحشه وبالراحه التعب والمشقه والتعرض للاخطار كل
ذلك خوفا من درك المحذور ثم انه يخاف النار ولا يظهر عليه شي
من ذلك عند جريان معصيه ولذلك قال عليه السلام لم ار مثل
النار نام هاربها ولم ار مثل الجنه نام طالبها فالتحقيق في هذه الامور
عزيز جدا ولا غايه لهذه المقامات حتى ينال تمامها ولكن لكل
عبد منه حظ بحسب حاله اما ضعيف واما قوي فاذا قوي سمي
صادقا فيه فمعرفة الله وتعظيمه والخوف منه لا نهاية له ولذلك
قال عليه السلام لجبريل عليه السلام احب ان اراك في صورتك
التي هي صورتك فقال لا تطيق ذلك قال بلى ارني قال
فواعده البقيع في ليلة مقمرة فاتاه فنظر النبي صلى الله عليه وسلم
فاذا هو به قد سد الافق يعني جوانب السما فوقع النبي مغشيا عليه
فافاق وقد عاد جبريل عليه السلام لصورته الاولى فقال عليه السلام
ما ظننت ان احدا من خلق الله هكذا قال كيف لو رايت اسرافيل
ان العرش لعلى كاهله وان رجليه قد مرقتا تخوم الارض السفلى
وانه ليتصاغر من عظمة الله تعالى حتى يصير كالوصع يعني كالعصفور

الصغير فانظر ما الذي يغشاه من العظمه والهيبة حتى يرجع
الى ذلك الحد وساير الملايكه ليسوا كذلك لتفاوتهم في المعرفة
فهذا هو الصدق في التعظيم، وقال جابر قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي وجبريل بالملا الاعلا كالحلس
البالي يعني الكسا الذي يلقى على ظهر البعير، وكذلك الصحابه
كانوا خايفين وما بلغوا خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكذلك قال ابن عمر لن يبلغ حقيقة الايمان حتى ينظر الى الناس
كلهم حمقى في ذات الله، وقال مطرف ما من الناس احد الا وهو
احمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الحمق اهون من بعض،
وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى
ينظر الى الناس كالاباعد في جنب الله ثم يرجع الى نفسه فيجدها
احقر حقير فالصادق اذن في جميع هذه المقامات عزيز ثم
درجات الصدق لا نهاية لها وقد يكون للعبد صدق في بعض
الامور دون بعض فان كان صادقا في الجميع فهو الصديق حقا
قال سعد بن معاذ ثلثه انا فيهن قوي وما سواهن ضعيف ما
صليت صلاه منذ اسلمت فحدثت نفسي حتى افرغ منها ولا تبعت
جنازه فحدثت نفسي بغير ما هي قايله ولا ما هو مقول لها حتى يفرغ

من دفنها وما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قولا الا علمت
انه حق، قال ابن المسيب ما ظننت ان هذه الخصال تجتمع الا
في النبي صلى الله عليه وسلم فهذا صدق في هذه الامور، وكم
من جملة الصحابه قوم قد ادوا الصلاه وتبعوا الجنايز ولم يبلغوا
هذا المبلغ وهذه هي درجات الصدق ومعانيه، والكلمات الماثوره
عن المشايخ في حقيقه الصدق في الاغلب لا تتعرض الا لاحاد
هذه المعاني، نعم قد قال ابو بكر الوراق الصدق ثلاثه صدق
التوحيد وصدق الطاعه وصدق المعرفه، فصدق التوحيد
لعامة المومنين قال الله تعالى والذين امنوا بالله ورسله اوليك
هم الصديقون وصدق الطاعه لاهل العمل والورع، وصدق
المعرفه لاهل الولايه الذين هم اوتاد الارض وكل هذا تدور
على ما ذكرناه في الصدق السادس ولكنه ذكر اقسام ما
فيه الصدق وهذا ايضا غير محيط بجميع الاقسام، وقال جعفر
الصادق الصدق هو المجاهده وان لا تختار على الله غير الله كما
لم يختر عليك غيرك بهدايته وقال تعالى هو اجتباكم، وقيل اوحى
الله تعالى الى موسى اني اذا احببت عبدا ابتليته ببلايا لا تقوم
لها الجبال لانظر كيف صدقه فان وجدته صابرا اتخذته وليا

وحبيبا وان وجدته جزوعا يشكوني الى خلقي خذلته ولم ابال
فاذن من علامات الصدق كتمان المصايب والطاعات جميعا ٥
وكراهة اطلاع الخلق عليها والله اعلم ٥

تم كتاب النيه والاخلاص ويليه
كتاب المحاسبه والمراقبه ان شاء الله تعالى

كتاب المحاسبة والمراقبة وهو

الكتاب الثامن من ربع المنجيات
من كتاب احيا علوم الدين ٥

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله القايم على كل
نفس بما كسبت، الرقيب على كل جارحه بما اجترحت، المطلع
على ضماير القلوب اذا هجست، الحسيب على خواطر عباده اذا
اختلجت، الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات
والارض تحركت او سكنت، المحاسب على النقير والقطمير والقليل
والكثير من الاعمال وان خفيت، المتفضل بقبول طاعات
العباد وان صغرت، المتطول بالعفو عن معاصيهم وان كثرت،
وانما يحاسبهم ليعلم كل نفس بما احضرت، وينظر فيما قدمت واخرت،
فيعلم انها لولا لزومها المراقبة والمحاسبة في الدنيا لشقيت في صعيد

في صعيد القيمه وهلكت، وبعد المجاهدة والمحاسبة والمراقبة
لولا فضل الله بقبول طاعتها المزجاة لخابت وخسرت، فسبحان
من عمت نعمته كافة العباد وشملت، واستغرقت رحمته الخلايق
في الدنيا والاخرة وغمرت، فبنفحات فضله اتسعت القلوب
للايمان وانشرحت، وبيمن توفيقه تقيدت الجوارح بالعبادات
وتادبت، وبحسن هدايته انجلت عن القلوب ظلمات الجهل وانقشعت
وبتاييده ونصرته انقطعت مكايد الشيطان واندفعت، وبلطف
عنايته ترجح كفة الحسنات اذا ثقلت، وبتيسيره تيسر من
الطاعات ما تيسرت، فمنه العطا والجزا والابعاد والادنا
والاسعاد والاشقا، والصلوة على محمد سيد الانبيا وعلى اله
السادة الاصفيا، وعلى اصحابه قادة الاتقيا، وسلم كثيرا ٥ اما
بعد فقد قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمه
فلا تظلم نفس شيا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها
وكفى بنا حاسبين، وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين
مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك
احدا، وقال تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فينبيهم بما عملوا احصاه

الله ونسوه والله على كل شيء شهيد، وقال تعالى يومئذ يصدر
الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن
يعمل مثقال ذرة شرا يره، وقال تعالى يوم توفى كل نفس ما عملت
وهم لا يظلمون، وقال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير
محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم
الله نفسه، وقال تعالى واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه
فعرف ارباب البصاير من جملة العباد ان الله لهم بالمرصاد وانهم
سيناقشون في الحساب ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات
واللحظات وتحققوا انه لا ينجيهم من هذه الاخطار الا لزوم
المحاسبه وصدق المراقبه ومطالبة النفس في الانفاس والحركات
ومحاسبتها في الخطرات واللحظات فمن حاسب نفسه قبل ان
يحاسب خف في القيمه حسابه وحضر عند السوال جوابه وحسن
منقلبه ومآبه، ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت
في عرصات القيمه وقفاته، وقادته الى المقت والخزي سيئاته،
فلما انكشف لهم ذلك علموا انه لا ينجيهم منه الا طاعة الله تعالى
وقد امرهم بالصبر والمرابطه فقال يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا
ورابطوا فرابطوا انفسهم اولا بالمشارطه ثم بالمراقبه ثم بالمحاسبه

ثم بالمعاقبه ثم بالمجاهده ثم بالمعاتبه فكانت لهم في المرابطه ست
مقامات ولا بد من شرحها وبيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل
الاعمال فيها واصل ذلك المحاسبه ولكن كل حساب فبعد
مشارطه ومراقبه ويتبعه عند الخسران المعاتبه والمعاقبه
فلنذكر شرح هذه المقامات، **المقام الاول** من المرابطه
المشارطه، اعلم ان مطلب المتعاملين في التجارات المشتركين
في البضايع عند المحاسبه سلامة الربح وكما ان التاجر يستعين
بشريكه فيسلم اليه المال حتى يتجر ثم يحاسبه فكذلك العقل هو
التاجر في طريق الاخره وانما مطلبه وربحه تزكية النفس لان
بذلك فلاحها، قال الله تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من
دساها وانما فلاحها بالاعمال الصالحه والعقل يستعين بالنفس
في هذه التجاره اذ يستعملها ويستسخرها فيما يزكيها كما يستعين
التاجر بشريكه وغلامه الذي يتجر في ماله وكما ان الشريك يصير
خصما منازعا يجاذبه في الربح فيحتاج الى ان يشارطه اولا ويراقبه
ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاتبه او يعاقبه رابعا فكذلك العقل
يحتاج الى مشارطة النفس اولا فيوظف عليها الوظايف ويشرط
عليها الشروط ويرشدها الى طرق الفلاح ويجزم عليها الامر بسلوك

تلك الطريق ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة فانه لو اهملها لم ير
منها الا الخيانة وتضييع راس المال كالعبد الخاين اذا خلا له الجو
وانفرد بالمال ثم بعد الفراغ ينبغي ان يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما
شرط عليها فان هذه تجارة ربحها الفردوس الاعلى وبلوغ سدرة المنتهى
مع الانبياء والشهدا فتدقيق الحساب في هذا مع النفس اهم كثيرا
من تدقيقه ارباح الدنيا مع انها محتقرة بالاضافة الى نعيم العقبى
ثم كيف ما كانت فمصيرها الى التصرم والانقضا ولا خير في خير
لا يدوم بل شر لا يدوم خير من خير لا يدوم لان الذي لا يدوم اذا
انقطع بقي الفرح بانقطاعه دايما وقد انقضى الشر والخير الذي لا
يدوم يبقى الاسف على انقطاعه دايما وقد انقضى الخير ولذلك قيل
اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا
فحتم على كل ذي حزم امن بالله واليوم الاخر ان لا يغفل عن محاسبة
نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها
فان كل نفس من انفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن
ان يشتري بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه ابد الاباد وانقضاء
هذه الانفاس ضايعة او مصروفة الى ما يجلب الهلاك خسران
عظيم هايل لا تسمح به نفس عاقل فاذا اصبح العبد وفرغ من فريضة

الصبح ينبغي ان يفرغ قلبه ساعة لمشارطة النفس كما ان التاجر عند
تسليم البضاعة الى الشريك العامل يفرغ المجلس لمشارطته فيقول
للنفس ما لي بضاعة الا العمر ومهما فني فقد فني راس المال ووقع
الياس عن التجارة وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد امهلني الله
تعالى فيه وانسا في اجلي وانعم علي به ولو توفاني لكنت اتمنى ان
يرجعني الى الدنيا يوما واحدا حتى اعمل فيه صالحا فاحسبي انك
توفيت ثم رددت فاياك ثم اياك ان تضيعي هذا اليوم فان كل
نفس من الانفاس هي جوهرة لا قيمة لها واعلمي يا نفس ان اليوم
والليلة اربع وعشرون ساعة وقد ورد في الخبر انه ينشر للعبد
بكل يوم وليلة اربع وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له فيها خزانة
فيراها مملوة نورا من حسناته التي عملها في تلك الساعة فيناله من الفرح
والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الانوار التي هي وسيلة عند
الملك الجبار ما لو وزع على اهل النار لادهشهم ذلك الفرح عن
الاحساس بالم النار ويفتح له خزانة اخرى سودا مظلمة يفوح
نتنها وتغشيه ظلامها وهي الساعة التي عصى الله تعالى فيها فيناله
من الهول والفزع ما لو قسم على اهل الجنة لتنغص عليهم نعيمها ويفتح له
خزانة اخرى فارغة ليس فيها ما يسره ولا ما يسوءه وهي الساعة التي نام

يها او غفل او اشتغل بشي من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها
وينا له من غبن ذلك ما ينال القادر على الربح الكثير والملك الكبير
اذا اهمله وتساهل فيه حتى فاته وناهيك به حسرة وغبنا وهكذا
تعرض عليه خزائن اوقاته طول عمره فيقول لنفسه اجتهدي اليوم في
ان تعمري خزائنك ولا تدعيها فارغة عن كنوزك التي هي اسباب
ملكك ولا تميلي الى الكسل والدعة والاستراحة فيفوتك
من درجات العليين ما يدركه غيرك وتبقى عندك حسرة لا تفارقك
وان دخلت الجنة فالم الغبن وحسرته لا تطاق وان كان دون الم
النار وقد قال بعضهم هب ان المسيء قد عفي عنه اليس قد فاته
ثواب المحسنين اشار به الى الغبن والحسرة ، وقال تعالى يوم يجمعكم
ليوم الجمع ذلك يوم التغابن فهذه وصيته لنفسه في اوقاته
ثم ليستانف لها وصيه في اعضايه السبعه وهي العين والاذن
واللسان والبطن والفرج واليد والرجل وتسلمه اليها فانها رعايا
خادمه لنفسه في هذه التجارة وبها تتم اعمال هذه التجارة وان
جهنم لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم وانما تتعين تلك
الابواب لمن عصى الله تعالى بهذه الاعضا فيوصيها بحفظها عن
معاصيها ، فاما العين فيحفظها عن النظر الى وجه من ليس له بمحرم

او الى عورة مسلم او الى النظر الى مسلم بعين الاحتقار بل عن كل
فضول مستغنى عنه فان الله تعالى يسال عبده عن فضول النظر كما
يساله عن فضول الكلام ثم اذا صرفها لم تقنع به حتى يشغلها بما فيه
تجارتها وربحها وهي ما خلقت له من النظر الى عجايب صنع الله تعالى
بعين الاعتبار والنظر الى اعمال الخير والنظر في كتاب الله وسنة
رسوله ومطالعة كتب الحكمة للاتعاظ والاستفادة وهكذا
ينبغي ان يفصل الامر في كل عضو لا سيما اللسان والبطن ، اما
اللسان فلانه منطلق بالطبع ولا مؤنة عليه في الحركة وجنايته
عظيمة بالغيبة والكذب وتزكية النفس والنميمة ومذمة الخلق
والاطعمة واللعن والدعا على الاعدا والمماراة في الكلام وغير ذلك
مما ذكرناه في افات اللسان فهو بصدد ذلك كله مع انه خلق
للذكر والتذكير وتكرار العلم والتعليم وارشاد عباد الله الى طريق
الله واصلاح ذات البين وساير خيراته فليشترط على نفسه ان
لا يحرك اللسان طول نهاره الا في الذكر فنطق المومن ذكر ونظره
عبرة وصمته فكرة وما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ه ،
واما البطن فتكلفه ترك الشهوة وتقليل الاكل من الحلال واجتنا ب
الشهوات وتمنعه من الشبهات وتقتصر على قدر الضرورة وتشترط

على نفسه ان خالفت شيا من ذلك عاقبها بالمنع عن شهوات البطن
ليفوتها اكثر مما نالته بشهوتها وهكذا يشترط عليها في جميع الاعضاء
واستقصا ذلك يطول ولا يخفى معاصي الاعضاء وطاعاتها، ثم
يستانف وصيتها في وظايف الطاعات التي تتكرر عليه في اليوم والليلة
ثم في النوافل التي يقدر عليها ويقدر على الاستكثار منها ويرتب لها
تفصيلها وكيفيتها وكيفية الاستعداد لها باسبابها وهذه
شروط يفتقر اليها كل يوم ولكن اذا تعود الانسان بشرط
ذلك على نفسه اياما وطاوعته نفسه الى الوفا بجميعها استغنى
عن المشارطة فيها وان اطاع في بعضها بقيت الحاجة الى تجديد المشارطه
فيما بقي ولكن لا يخلوا كل يوم عن مهم جديد وواقعة حادثه
لها حكم جديد ولله عليك في ذلك حق، ويكثر هذا على من يشتغل
بشي من اعمال الدنيا من ولاية او تجارة او تدريس اذ قل ما يخلو
يوم عن واقعة جديدة يحتاج الى ان يقضي حق الله فيها فعليه ان
يشترط على نفسه الاستقامة فيها والانقياد للحق في مجاريها ويحذرها
مغبة الاهمال ويعظها كما يوعظ العبد الابق المتمرد فان النفس
بالطبع متمردة عن الطاعة مستعصية عن العبودية ولكن الوعظ
والتاديب يوثر فيها وذكر فان الذكرى تنفع المومنين، فهذا

وما يجري

وما يجري مجراه هو اول مقام المرابطة وهي محاسبة قبل العمل
والمحاسبة تارة تكون بعد العمل وتارة قبله للتحذير، قال تعالى
واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه وهذا للمستقبل وكل
نظر في كثرة لمعرفة زيادة ونقصان فانه يسمى محاسبة فالنظر فيما
بين يدي العبد في نهاره ليعرف زيادته من نقصانه من المحاسبة
وقد قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا
وقال ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا، وقال ولقد خلقنا الانسان
ونعلم ما توسوس به نفسه ذكر ذلك تحذيرا وتنبيها للاحتراز منه
في المستقبل، وروى عبادة بن الصامت انه عليه السلام قال
لرجل ساله ان يوصيه ويعظه اذا اردت امرا فتدبر عاقبته
فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته عنه، وقال بعض
الحكماء اذا اردت ان يكون العقل غالبا للهوى فلا تعمل بقضاء
الشهوة حتى تنظر العاقبة فان مكث الندامة في القلب اكثر من مكث
خفة الشهوة، وقال لقمن ان المومن اذا ابصر العاقبة امن
الندامة، وروى شداد بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع
نفسه هواها وتمنى على الله اي حاسب نفسه، ويوم الدين هو يوم

الحساب وقوله انا لمدينون محاسبون وقال عمر بن الخطاب
حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا ه
وتهيئوا للعرض الاكبر وكتب الى ابو موسى الاشعري حاسب
نفسك في الرخا قبل حساب الشدة وقال لكعب كيف
تجدها في كتاب الله تعالى قال ويل لديان الارض من ديان
السماء فعلاه بالدرة وقال الا من حاسب نفسه فقال كعب
والله يا امير المومنين انها الى جنبها في التوراة ما بينها حرف
الا من حاسب نفسه وهذا كله اشارة الى المحاسبة في
المستقبل اذ قال دان نفسه وعمل لما بعد الموت ومعناه
وزن الامور كلها اولا ونظر فيها وتدبرها ثم اقدم عليها
فباشرها المرابطة الثانية المراقبة اذا اوصى الانسان
نفسه وشرط عليها ما ذكرناه فلا يبقى الا المراقبة لها عند
الخوض في الاعمال وملاحظتها بالعين الكالية فانها ان
تركت طغت وفسدت ولنذكر فضيلة المراقبة ثم درجاتها
اما الفضيلة فقد سيل النبي صلى الله عليه وسلم عن الاحسان
فقال ان تعبد الله كانك تراه وقال عليه السلام اعبد الله
كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقد قال تعالى افمن

هو قايم على كل نفس بما كسبت وقال تعالى الم يعلم بان الله يرى
وقال تعالى ان الله كان عليكم رقيبا وقال تعالى والذين هم
لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قايمون
وقال ابن المبارك لرجل راقب الله فسأله عن تفسيره فقال
كن ابدا كانك ترى الله وقال عبد الله بن زيد اذا كان
سيدي رقيبا علي فما ابالي بغيره وقال ابو عثمن المغربي افضل
ما يلوم الانسان نفسه في هذه الطريقة المحاسبة والمراقبة
وسياسة عمله بالعلم وقال ابن عطا افضل الطاعات
مراقبة الحق على دوام الاوقات وقال الحريري امرنا هذا
مبني على اصلين ان تلزم نفسك المراقبة لله تعالى ويكون
العلم على ظاهرك قايما وقال ابو عثمن المغربي قال لي ابو
حفص اذا جلست للناس فكن واعظا لنفسك وقلبك ولا
يغرنك اجتماعهم عليك فانهم مراقبون ظاهرك والله رقيب
على باطنك وحكي انه كان لبعض المشايخ من هذه الطايفة
تلميذ شاب وكان يكرمه ويقدمه فقال له بعض اصحابه
كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ فدعا بعدة طيور فناول
كل واحد منهم طايرا وسكينا وقال ليذبح كل واحد منكم طايره

فى موضع لا يراه احد ودفع الى الشاب مثل ذلك وقال
له مثل ما قال لهم فرجع كل واحد منهم بطاير مذبوحا ورجع
الشاب والطاير حى فى يده فقال ما لك لم تذبح كما ذبح
اصحابك فقال لم اجد موضعا لا يرانى فيه احد اذ الله مطلع
على فى كل مكان فاستحسنوا منه هذه المراقبه وقالوا حق لك
ان تكرمه، وحكى ان زليخا لما خلت بيوسف عليه السلام قامت
فغطت وجه صنم كان لها فقال يوسف ما لك انستحين من
مراقبة جماد ولا نستحين من مراقبة الملك الجبار، وحكى عن
بعض الاحداث انه راود جاريه عن نفسها فقالت له الا تستحى
فقال وممن استحى وما يرانا الا الكواكب فقالت واين
مكوكبها، وقال رجل للجنيد بم استعين على غض البصر
فقال بعلمك ان نظر الناظر اليك اسبق من نظرك الى المنظور
اليه، وقال الجنيد رحمه الله انما يتحقق بالمراقبه من يخاف
على فوت حظه من ربه عز وجل، وعن مالك بن دينار قال
جنات عدن من جنات الفردوس وفيها جوارى خلقن من ورد
الجنه قيل له ومن يسكنها قال يقول الله عز وجل انما يسكن
جنات عدن الذين اذا هموا بالمعاصى ذكروا عظمتى فراقبوني

والذين انثنت اصلابهم من خشيتى وعزتى وجلالى انى
لاهم بعذاب الارض فاذا نظرت الى اهل الجوع والعطش
من مخافتى صرفت عنهم العذاب، وسيل المحاسبى عن المراقبه
فقال اولها علم القلب بقرب الرب جل جلاله، وقال المرتعش
المراقبه مراعات السر لملاحظة الغيب مع كل لحظه ولفظه
ويروى ان الله تعالى قال للملايكة انتم موكلون بالظواهر
وانا رقيب على الباطن، وقال محمد بن على الترمذى اجعل مراقبتك
لمن لا يغيب نظره اليك واجعل شكرك لمن لا ينقطع نعمته عنك
واجعل طاعتك لمن لا تستغنى عنه واجعل خشوعك لمن لا
تخرج عن ملكه وسلطانه، وقال سهل لم يتزين القلب بشى
افضل ولا اشرف من علم العبد بان الله تعالى شاهده حيث
كان، وسيل بعضهم عن قوله تعالى رضى الله عنهم ورضوا
عنه ذلك لمن خشى ربه فقال معناه ذلك لمن راقب ربه
وحاسب نفسه وتزود لمعاده، وسيل ذو النون رحمه الله بم
ينال العبد الجنه فقال بخمس استقامه ليس فيها روغان واجتهاد
ليس معه سهو ومراقبة الله فى السر والعلانيه وانتظار الموت
بالتاهب له ومحاسبة نفسك قبل ان تحاسب، وقد قيل

، وَلَا يَحسبن الله يغفل دَايمًا وَلَا ان مَا يخفى عليه يغيب ،
، الم تر ان اليوم اسرع ذاهبٌ وان غدا للناظرين قريب ،
، اذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب ،
وَقَالَ حميد الطويل لسليمن من علي عظني فقال لين كنت اذا
عصيت الله خاليًا ظننت انه يراك لقد اجترات علي امر عظيم
ولين كنت تظن انه لا يراك فقد كفرت، وقال سفين الثوري
عليك بالمراقبة ممن لا يخفى عليه خافيه وعليك بالرجا ممن يملك
الوفا وعليك بالحذر ممن يملك العقوبه، وقال فرقد السبخي يراقب الناس
ان المنافق ينظر فاذا لم ير احدًا دخل مدخل السو وانما لا يراقب
الله تعالى، وقال عبد الله بن دينار خرجت مع عمر بن الخطاب
الى مكه فعرسنا في بعض الطريق فانحدر عليه راعي من الجبل فقال
له يا راعي بعنا شاة من هذا الغنم فقال اني مملوك فقال قل
لسيدك اكلها الذيب قال فاين الله فبكى عمر ثم غدا الى المملوك
فاشتراه من مولاه واعتقه وقال اعتقتك في الدنيا هذه الكلمه
وارجو ان تعتقك في الاخره ٥ بيان حقيقه المراقبه
[illegible] اعلم ان حقيقة المراقبه هي ملاحظة الرقيب وانصراف
الهم اليه فمن احترز في امر من الامور بسبب غيره يقال انه يراقب

فلانا ويراعي جانبه ونعني بهذه المراقبه حالة للقلب يثمرها
نوع من المعرفه وتثمر تلك الحاله اعمالًا في الجوارح وفي القلب
اما الحاله فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته
اليه وملاحظته اياه وانصرافه اليه اما المعرفة التي تثمر هذه
الحاله فهي العلم بان الله مطلع على الضماير عالم بالسراير رقيب
على اعمال العباد وقايم على كل نفس بما كسبت وان سر القلب
في حقه مكشوف كما ان ظاهر البشره للخلق مكشوف بل اشد
من ذلك فهذه المعرفه اذا صارت يقينًا اعني انها خلت عن
الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب وقهرته فرب علم لا شك
فيه لا يغلب على القلب كالعلم بالموت فاذا استولت على القلب
استجرت القلب الى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه اليه ٥
والموقنون بهذه المعرفه هم المقربون وهم ينقسمون الى الصديقين
والى اصحاب اليمين ومراقبتهم على درجتين ٥ الدرجة الاولى
مراقبه المقربين من الصديقين وهي مراقبه التعظيم والاجلال
وهو ان يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرًا
تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع للالتفات الى الغير اصلًا وهذه
مراقبة لا يطول النظر في تفصيل اعمالها فانها مقصوره على القلب

اما الجوارح فانها تتعطل عن الالتفات الى المباحات فضلاً عن
المحظورات فاذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعمل لها فلا تحتاج
الى تدبير وتبقيت في حفظها على سنن السداد بل بشدة الرغبة من ملك
كليه الراعي والقلب هو الراعي فاذا صار مستوفي بالمقصود صارت
الجوارح مستعمله جاريه على سنن السداد والاستقامة من
غير تكلف وهذا هو الذي صار همه همًّا واحدًا فكفاه الله سائر
الهموم ومن نال هذه الدرجه فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصر من
يحضر عنده وهو فاتح عينيه ويسمع ما يقال له مع انه لا صمم به
وقد يمر على ابنه مثلًا فلا يكلمه حتى كان بعضهم يجري عليه
ذلك فقال لمن عاتبه اذا مررت بي فحركني ولا تستبعد هذا
فانك تجد نظير هذا في القلوب المعظمه لملوك الارض حتى ان
خدم الملك قد لا يحسون بما يجري عليهم في مجلس الملوك لشدة
استغراقهم بهم بل قد يشتغل القلب بمهم حقير من مهمات الدنيا
فيغوص الرجل في الفكر فيه ويمشي فربما حتى يجاوز الموضع الذي قصده
وينسى الشغل الذي نهض له ، وقد قيل لعبد الواحد بن زيد هل
تعرف في زمانك هذا رجلًا اشتغل بحاله عن الخلق فقال اما
اعرف الا رجل سيدخل الساعه فما كان حتى دخل عليه عتبه

الغلام فقال له عبد الواحد بن زيد من اين جئت يا عتبه قال من
موضع كذا وكان طريقه على السوق فقال من لقيت في الطريق
فقال ما لقيت احدًا ، وروي عن يحيى بن زكريا انه مر بامراة
فدفعها فسقطت على وجهها فقيل له لم فعلت هذا فقال ما ظننتها
الا جدارًا ، وحكي عن بعضهم انه قال مررت بجماعة يترامون وواحد
جالس بعيدًا منهم فتقدمت اليه فاردت ان اكلمه فقال ذكر الله
اشهى فقلت انت وحدك فقال معي ربي وملكان فقلت من
سبق من هولاء فقال من غفر الله له فقلت اين الطريق فاشار نحو
السماء وقام ومشى وقال اكثر خلقك شاغل عنك ، وهذا كلام
مستغرق بمشاهدة الله تعالى لا يتكلم الا منه ولا يسمع الا فيه
وهذا لا يحتاج الى مراقبه لسانه وجوارحه فانه لا يتحرك الا
بما هو فيه ، ودخل الشبلي على ابي الحسن النوري وهو معتكف
فوجده ساكنًا حسن الاجتماع لا يتحرك من ظاهره شيء فقال
له من اين اخذت هذه المراقبه والسكون فقال من سنور كانت
لنا اذا ارادت الصيد رابطت راس الجحر لا يتحرك لها شعره ،
وقال ابو عبد الله بن خفيف خرجت من مصر اريد الرمله للقاء
ابي علي الروذباري فقال لي عيسى بن يونس المعروف بالزاهد

ان في صور شابا وكهلا قد اجتمعا على حال المراقبه فلو نظرت
اليهما نظره لعلك تستفيد منهما فدخلت صور وانا جايع
عطشان وفي وسطي خرقه وليس على كتفي شي فدخلت
المسجد فاذا شخصان قاعدان مستقبلا القبله فسلمت عليهما
فما اجابني واحد منهما فسلمت ثانيه وثالثه فلم اسمع الجواب
فقلت نشدتكما الله تعالى الا رددتما على السلام فرفع الشاب
راسه من مرقعته فنظر الي وقال يا ابن خفيف الدنيا قليل وما
بقي من القليل الا القليل فخذ من القليل للكثير يا ابن خفيف
ما اقل شغلك حتى تفرغ الى لقايانا فاخذ كليتي ثم طاطا راسه
في المكان فبقيت عندهما حتى صلينا الظهر فذهب جوعي وعطشي
وعناي فلما كان وقت العصر قلت عظني فرفع راسه الي وقال
يا ابن خفيف نحن اصحاب المصايب ليس لنا لسان العظه فبقيت
عندهما ثلاثه ايام لا اكل ولا اشرب ولا انام ولا رايتهما اكلا
ولا شربا ولا ناما فلما كان في اليوم الثالث قلت في سري احلفهما
ان يعظاني لعلي انتفع بعظتهما فرفع الشاب راسه وقال
يا ابن خفيف عليك بصحبة من يذكرك الله رويته ويقع
هيبته على قلبك يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان

قوله والسلام قم عنا فهذه درجة المراقبين الذين غلب على
قلوبهم الاجلال والتعظيم فلم يبق فيهم متسع لغير ذلك ۵

الدرجة الثانيه مراقبه الورعين من اصحاب اليمين
وهم قوم غلب يقين اطلاع الله على ظاهرهم وباطنهم وعلى
قلوبهم ولكن لم يدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم
على حد الاعتدال متسعه للتلفت الى الاحوال والاعمال
الا انها مع ممارسة الاعمال لا تخلو عن المراقبه نعم غلب عليهم
الحيا من الله تعالى فلا يقدمون ولا يحجمون الا بعد التثبيت
فيه ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به في القيمه فانهم يرون
الله تعالى في الدنيا مطلعا عليهم فلا يحتاجون الى انتظار القيمه
وتعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدات فانك في خلوتك قد
تتعاطى اعمالا فيحضرك صبي او امراه فتعلم انه مطلع عليك فتستحيي
منه فتحسن جلوسك وتراعي احوالك لا عن اجلال وتعظيم
بل عن حياء فان مشاهدته وان كان لا يدهشك ولا يستغرقك
فانه يهيج الحياء منك وقد يدخل عليك ملك من الملوك او
كبير من الاكابر فيستغرقك التعظيم حتى تترك كل ما انت فيه
شغلا به لا حياء منه وهكذا تختلف مراتب العباد في مراقبة

الله تعالى ومن كان في هذه الدرجة فيحتاج الى ان يراقب
جميع حركاته وسكناته وخطراته ولحظاته وبالجملة جميع
اختياراته وله فيها نظران نظر قبل العمل ونظر في العمل
اما قبل العمل فلينظر الى ما ظهر له وتحرك لفعله وخاطره هو
لله او في هوى النفس ومتابعة الشيطان فيتوقف فيه
ويتثبت حتى ينكشف له ذلك بنور الحق فان كان لله امضاه
وان كان لغير الله استحيى من الله وانكف منه ثم لام نفسه
على رغبته فيه وهمه اليه وميله اليه وعرفها سوء فعلها
وسعيها في فضيحتها وانها عدوة نفسها ان لم يتداركها الله بعصمته
وهذا التوقف في بداية الامور الى حد البيان واجب محتوم
لا محيد لاحد عنه فان في الخبر انه ينشر للعبد في كل حركة
من حركاته وان صغرت ثلاثة دواوين الاول لم والثاني
كيف والثالث لمن ومعنى لم اي لم فعلت هذا اكان
عليك ان تفعله لمولاك او ملت اليه لشهوتك وهواك
فان سلم منه بان كان عليه ان يعمل ذلك لمولاه سئل عن
الديوان الثاني فقيل له كيف فعلت هذا ابعلم محقق ام
بجهل وظن فان سلم من هذا نشر الديوان الثالث وهو المطالبة

بالاخلاص فيقال لمن عملت الوجه الله خالصا وفاء بقولك
لا اله الا الله فيكون اجرك على الله او لمرآة خلق مثلك
فخذ اجرك منه ام عملته لتنال عاجل دنياك فقد وفيناك نصيبك
من الدنيا او عملته بسهو وغفلة فقد وقع اجرك وحبط
عملك وخاب سعيك وان عملت لغيري فقد استوجبت مقتي
وعقابي اذ كنت عبدا لي تاكل رزقي وتترفه بنعمتي ثم تعمل
لغيري اما سمعتني اقول ان الذين تدعون من دون الله عباد
امثالكم ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا
عند الله الرزق واعبدوه ويحك ويحك اما سمعتني اقول الا
لله الدين الخالص فاذا عرف العبد انه بصدد هذه المطالبات
والتوبيخات يطالب نفسه قبل ان يطالب واعد للسؤال
جوابا وللجواب صوابا فلا يبدي ولا يعيد الا بعد التثبت
ولا يحرك جفنا ولا انمله الا بعد التامل فقد قال عليه
السلام لمعاذ ان الرجل ليسال عن كحل عينيه وعن فتة
الطين باصبعه وعن لمسه ثوب اخيه، قال الحسن كان احدهم
اذا اراد ان يتصدق بصدقة نظر وتثبت فان كان لله امضاه
وقال الحسن رحم الله عبدا وقف عند همه فان كان لله مضى

وان كان لغيره تاخره وقال في حديث سعد حين اوصاه
سلمان اتق الله عند همك اذا هممت وقال محمد بن علي ان
المؤمن وقاف متاني يقف عند همه ليس كحاطب ليل وهذا
هو النظر الاول في هذه المراقبه ولا يخلص من هذا الا العلم المتين
والمعرفه الحقيقه باسرار الاعمال واغوار النفس ومكايد الشيطان
فمتى لم يعرف نفسه وربه وعدوه ابليس ولم يعرف ما يوافق
هواه ولم يميز بينه وبين ما يحب الله ويرضاه في نيته وهمته وفكره
وسكونه وحركته فلا يسلم في هذه المراقبه بل الاكثرون يرتكبون
بالجهل فيما يكرهه الله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ولا
تظن ان الجاهل بما يقدر على التعلم فيه يعذر هيهات بل طلب
العلم فريضه على كل مسلم ولهذا كانت ركعتان من عالم افضل
من الف ركعه من جاهل لانه يعلم آفات النفوس ومكايد الشيطان
ومواضع الغرور فيتقي ذلك والجاهل لا يعرف ذلك فكيف
يحترز منه فلا يزال الجاهل في تعب والشيطان منه في فرح
وشماته فنعوذ بالله من الجهل والغفله فهو راس كل شقا و
واساس كل خسران واصل كل ضلاله فحكم الله تعالى على كل
عبد ان يراقب نفسه عند همه بالفعل وسعيه بالجارحه

فيتوقف عند الهم والسعي حتى ينكشف له بنور العلم انه لله
فيمضيه او هو للهوى فيتقيه ويزجر القلب عن الفكر فيه وعن
الهم به فان الخطره الاولى في الباطل اذا لم تدفع اورثت
الرغبه والرغبه تورث الهم والهم يورث جزم القصد والقصد
يورث الفعل والفعل يورث البوار والمقت فينبغي ان يحسم
مادة الشر من منبعه الاول وهو الخاطر فان جميع ما وراه
يتبعه ومهما اشكل على العبد ذلك واظلمت الواقعه فلم ينكشف
له فيتفكر في ذلك بنور العلم ويستعيذ بالله من مكر الشيطان
بواسطة الهوى فان عجز عن الاستغال والفكر بنفسه ليستضي
بنور علماء الدين وليفر من العلماء المضلين المقبلين على الدنيا فراره
من الشيطان بل اشد فقد اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام
لا تسال عني عالما اسكره حب الدنيا فيقطعك عن محبتي فاولئك
قطاع الطريق على عبادي والقلوب المظلمه بحب الدنيا وشدة
الشره والتكالب عليها محجوبه عن نور الله تعالى فان مستضى انوار
القلوب حضرة الربوبيه فكيف يستضي بها من استدبرها
واقبل على عدوها وعشق بغيضها ومقيتها وهي شهوات الدنيا
فليكن همة المريد اولا في احكام العلماء في طلب عالم معرض

عن الدنيا او ضعيف الرغبه فيها ان لم يجد من هو عديم الرغبه
فيها وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب البصير
الناقد عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات
جمع بين الامرين وهما متلازمان حقا فمن ليس له عقل وازع
عن الشهوات فليس له بصر ناقد في الشبهات ولذلك قال
عليه السلام من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه ابدا
فما قدر الضعيف العقل الذي يعد الادمي به حتى يتمادى الى محوه
ومحقه بمقارفه الذنوب ومعرفة افات الاعمال قد اندرست
في هذه الاعصار فان الناس كلهم قد هجروا هذه العلوم
واشتغلوا بالتوسط بين الخلق في الخصومات الثايرة من
اتباع الشهوات وقالوا هذا هو الفقه واخرجوا هذا العلم
الذي هو فقه الدين عن جملة العلوم وتجردوا لفقه الدنيا
الذي ما قصد الا دفع الشواغل عن القلوب ليتفرغ لفقه
الدين وكان فقه الدنيا من الدين بواسطة هذا الفقه وفي
الخبر انتم اليوم في زمان خيركم فيه المسارع فيه وسياتي
عليكم زمان خيركم فيه المتثبت ولهذا توقف طايفة من
الصحابه في القتال مع اهل العراق واهل الشام لما اشكل عليهم

الامر كسعد بن ابي وقاص وعبد الله بن عمر واسامه بن زيد
ومحمد بن مسلمه وغيرهم رضي الله عنهم فمن لم يتوقف عند الاشتباه
كان متبعا لهواه معجبا برايه وكان ممن وصفه رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذ قال فاذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب
كل ذي راي برايه فعليك بخاصة نفسك وكل من خاض في
شبهة بغير تحقيق فقد خالف قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك
به علم وقوله عليه السلام اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث
واراد به ظنا بغير دليل كما يستفتي بعض العوام قلبه
فيما اشكل عليه ويتبع ظنه ولصعوبة هذا الامر وعظمه كان
من دعاء الصديق رضي الله عنه ارني الحق حقا وارزقني اتباعه
وارني الباطل باطلا وارزقني اجتنابه ولا تجعله علي متشابها
فاتبع الهوى وقال عيسى عليه السلام الامور ثلاثه امر
استبان رشده فاتبعوه وامر استبان غيه فاجتنبوه وامر
اشكل عليكم فكلوه الى عالمه وقد كان من دعاء النبي صلى الله
عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك ان اقول في الدين بغير علم واعظم
نعم الله على عباده هو العلم وكشف الحق والايمان عبارة
عن نوع كشف وعلم ولذلك قال تعالى امتنانا على عبده ونبيه

وكان فضل الله عليك عظيما واراد به العلم، وقال تعالى فاسئلوا
اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون، وقال تعالى ان علينا للهدى
وقال ثم ان علينا بيانه، وقال تعالى وعلى الله قصد السبيل،
وقال علي رضي الله عنه الهوى شريك العمى، ومن التوفيق التوقف
عند الحيرة، ونعم طارد الهم اليقين، وعاقبة الكذب الذم والندم
وفي الصدق السلامة رب بعيد اقرب من قريب وغريب من لم
يكن له حبيب، والصديق من صدق غيبه ولا يعدمك من
حبيب سوء ظن نعم الخلق التكرم، والحيا سبب الى كل جميل
واوثق العرى التقوى واوثق سبب اخذت به بينك وبين
الله تعالى انما لك من دنياك ما اصلحت به مثواك، والرزق
رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فان لم تاته اتاك
فان كنت جازعا على ما اصيب مما في يديك فلا تجزع على ما لم
يصل اليك، واستدل على ما لم يكن بما كان فان الامور
اشباه، وان المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت
ما لم يكن ليدركه فما نالك من دنياك فلا تكثرن فيه فرحا
وما فاتك منها فلا تتبعه نفسك اسفا، وليكن سرورك
فيما قدمت، واسفك على ما خلفت، وشغلك لاخرتك

وهمك فيما بعد الموت، وغرضنا من نقل هذه الكلمات قوله
ومن التوفيق الوقوف عند الحيرة، فاذن النظر الاول للمراقب
نظره في الهم والحركة اهي لله ام للهوى، وقد قال النبي عليه السلام
ثلاث من كن فيه استكمل ايمانه لا يخاف في الله لومة لائم
ولا يرائي بشيء من عمله، واذا عرض له امران احدهما للدنيا
والاخر للاخرة اثر الاخرة على الدنيا واظهر ما ينكشف له في
حركاته بان يكون مباحا ولكن لا يعنيه فيتركه لقوله عليه
السلام من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه ٥ **النظر
الثاني** للمراقب عند الشروع في العمل وذلك تفقد كيفية
العمل ليقضي حق الله فيه وتحسين النية في اتمامه ويكمل صورته
ويتعاطاه على اكمل ما يمكنه وهذا ملازم له في جميع احواله
فانه لا يخلو في جميع احواله عن حركة وسكون فاذا راقب
الله في جميع ذلك قدر على عبادة الله فيها بالنية وحسن
الفعل ومراعاة الادب فان كان قاعدا مثلا فينبغي ان
يقعد مستقبل القبلة لقوله صلى الله عليه وسلم خير المجالس
ما استقبل به القبلة ولا يجلس متربعا اذ لا يجالس الملوك
كذلك وملك الملوك مطلع عليه، قال ابرهيم بن ادهم

جلست مرة متربعا فسمعت هاتفا يقول هكذا تجالس
الملوك فلم اجلس بعد ذلك كذلك وان كان نيام فينام على
يده اليمنى مستقبل القبله مع ساير الاداب التي ذكرناها
وكل ذلك داخل في المراقبه بل لو كان في قضاء الحاجه
فمراعاته لادابها وفاء بالمراقبه فاذن لا يخلو العبد اما ان
يكون في طاعة الله تعالى او معصيه او مباح فمراقبته
في الطاعه بالاخلاص والاكمال ومراعاة الادب وحراستها
عن الافات وان كان في معصيه فمراقبته بالتوبه والندم
والاقلاع والحيا والاشتغال بالتكفير وان كان في
مباح فمراقبته في مراعاة الادب ثم بشهود المنعم في النعمة
وبالشكر عليها ولا يخلو العبد في جمله احواله عن بلائه لا
بد له من الصبر عليها، ونعمه لا بد من الشكر عليها، وكل
ذلك من المراقبه، بل لا ينفك العبد في كل حال من فرض
الله عليه، اما فعل يلزمه مباشرته، او محظور يلزمه تركه
او ندب حث عليه ليسارع به الى مغفرة الله ويسابق به
عباد الله او مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون له
على طاعته، ولكل واحد من ذلك حدود ولا بد من مراعاتها

بدوام

بدوام المراقبه ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه فينبغي
ان يتفقد العبد نفسه في جميع اوقاته في هذه الاقسام الثلاثه
فاذا كان فارغا من الفرايض وقدر على الفضايل فينبغي ان
يلتمس افضل الاعمال ليشتغل بها فان لمن فاته مزيد ربح وهو
قادر على دركه فهو مغبون والارباح تنال بمزايا الفضايل
فبذلك ياخذ العبد من دنياه ولاخرته كما قال تعالى ولا
تنس نصيبك من الدنيا فكل ذلك انما يمكن بصبر ساعه
واحده فان الساعات ثلاث ساعه مضت لا تعب على العبد
فيها كيف ما انقضت في مشقه او رفاهيه وساعه مستقبله
لم تات بعد لا يدري العبد ايعيش اليها ام لا ولا يدري ما يقضي
الله فيها وساعه راهنه ينبغي ان يجاهد فيها نفسه ويراقب فيها
ربه فان لم تاته الساعة الثانيه لم يتحسر على فوات هذه الساعة
فان اتته الساعة الثانيه استوفى حقه فيها كما استوفى من
الاولى لا يطول امله خمسين سنه فيطول عليه العزم على المراقبه
فيها بل يكون ابن وقته كانه في اخر انفاسه فلعله اخر انفاسه
وهو لا يدري واذا امكن ان يكون اخر انفاسه فينبغي ان
يكون على وجه لا يكره ان يدركه الموت وهو على تلك الحال

ويكون جميع احواله مقصورة على ما رواه ابو ذر قوله
عليه السلام لا يكون المرء ظاعنًا الا في ثلاث تزود لمعاد
او مرمة لمعاش او لذة في غير محرم، وما روي عنه ايضا
في معناه وعلى العاقل ان يكون له اربع ساعات ساعة
يناجي فيها ربه عز وجل وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة
يتفكر في صنع الله وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب فان
في هذه الساعة عونًا له على بقية الساعات ثم هذه الساعة
التي هو فيها مشغول الجوارح بالمطعم والمشرب لا ينبغي ان تخلو
عن عمل هو افضل الاعمال وهو الذكر والفكر فان الطعام
الذي يتناوله مثلاً فيه من العجايب ما لو تفكر فيه وفطن
له كان ذلك افضل من كثير من اعمال الجوارح، والناس فيه
اقسام قسم ينظرون اليه بعين البصيرة والاعتبار فينظرون
في عجايب صنعه وكيفية ارتباط الحيوانات به وكيفية
تقدير الله تعالى لاحسانه وخلق الشهوة الباعثة عليه ٥
وخلق الالات المسخرة فيه للشهوة كما فصلنا بعضه في
كتاب الشكر وهذا مقام ذوي الالباب وقسم ينظرون فيه
بعين المقت والكراهة ويلاحظون وجه الاضطرار اليه

فبودهم لو استغنوا عنه ولكن يرون انفسهم مقهورين فيه 60
مسخرين لشهواته وهذا مقام الزاهدين، وقوم يرون في الصنعة
الصانع ويترقون منها الى صفات الخالق فيكون مشاهدة ذلك
سببًا لتذكير ابواب من الفكر تنفتح عليهم بسببه وهو اعلى المقامات
وهو مقامات العارفين وعلامات المحبين اذ المحب اذا راى
صنعة حبيبه وكتابه وتصنيفه نسي الصنعة واشتغل
قلبه بالصانع وكل ما يتردد العبد فيه من صنع الله فله
في النظر منه الى الصانع مجال رحب ان فتحت له ابواب
الملكوت وذلك عزيز جدا، وقسم ينظرون اليه بعين الرغبة
والحرص فيتاسفون على ما فاتهم منه ويفرحون بما حضرهم
من جملته ويذمون منه ما لا يوافق هواهم ويعيبونه ويذمون
فاعله ويذمون الطبيخ والطباخ ولا يعلمون ان الفاعل للطبيخ
والطباخ ولقدرته ولعلمه هو الله تعالى وان من ذم شيئًا من
خلق الله بغير اذن الله فقد ذم الله تعالى، ولذلك قال عليه
السلام لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر، فهذه هي المرابطة
الثانية بمراقبة الاعمال على الدوام والاتصال وشرح ذلك
يطول، وفيما ذكرناه تنبيه على المنهاج لمن احكم الاصول ٥

المرابطة الثالثة محاسبة النفس بعد العمل ولنذكر
فضيلة المحاسبه ثم حقيقتها، اما الفضيله قال الله تعالى
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهذه
اشارة الى المحاسبة على ما مضى من الاعمال، ولذلك قال
عمر رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها
قبل ان توزنوا، وفي الخبر انه عليه السلام جاءه رجل فقال
يا رسول الله اوصني قال استوصي انت قال نعم قال اذا هممت
بامر فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا
فانته عنه، وفي الخبر ينبغي للعاقل ان يكون له اربع ساعات
ساعة يحاسب فيها نفسه الحديث، وقال الله تعالى وتوبوا الى
الله جميعا ايها المومنون، والتوبه نظر في الفعل بعد الفراغ منه
بالندم عليه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر
الله واتوب اليه في اليوم مايه مرة، وقال تعالى ان الذين اتقوا
اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون، وعن
عمر رضي الله عنه انه كان يضرب قدميه بالدره اذا جنه الليل
ويقول لنفسه ماذا عملت اليوم، وعن ميمون بن مهران انه قال
لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه اشد محاسبه شريكه

والشريكان يتحاسبان بعد العمل، وروي عن عايشه رضي الله عنها
ان ابا بكر قال لها عند الموت ما احد من الناس احب الي من عمر ثم
قال لها كيف قلت فاعادت عليه ما قال فقال لا ما احد اعز
علي من عمر، فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمه فتدبرها
وابدلها بكلمه غيرها، وحديث ابي طلحة حين شغله الطاير
في صلاته فتدبر ذلك فجعل حايطه صدقه لله تعالى ندما
ورجاء لعوض ما فاته، وفي حديث ابن سلام انه حمل حزمه من
حطب فقيل له يا ابا يوسف قد كان في بنيك وغلمانك ما
يكفونك هذا فقال اردت ان اجرب نفسي هل تنكر، وقال
الحسن المومن قوام على نفسه يحاسبها لله وانما خف الحساب
على قوم حاسبوا انفسهم في الدنيا وانما شق الحساب يوم
القيمه على قوم اخذوا هذا الامر من غير محاسبه ثم فسر
المحاسبه فقال ان المومن يفجاه الشي فيقول والله انك لتعجبني
وانك لمن حاجتي ولكن هيهات حيل بيني وبينك وهذا حساب
قبل العمل ثم قال ويفرط منه الشي فيرجع الى نفسه ويقول
ما اردت بهذا والله لا اعذر بهذا والله لا اعود لهذا ابدا
ان شاء الله عز وجل، وقال انس بن مالك سمعت عمر بن الخطاب

يوماً وقد خرجت معه حتى دخل حايطاً فسمعته يقول وبيني
وبينه جدار وهو في الحايط عمر بن الخطاب امير المومنين بخ
بخ والله لتتقين الله او ليعذبنك الله وقال الحسن في قوله
ولا اقسم بالنفس اللوامه قال لا يلقى المومن الا يحاسب نفسه
ماذا اردت بكلمتي ماذا اردت باكلتي ماذا اردت بشربتي
والفاجر يمضي قدماً لا يعاتب نفسه وقال مالك بن دينار
رحم الله عبداً قال لنفسه الست صاحبة كذا الست صاحبة
كذا ثم زمها ثم خطمها ثم الزمها كتاب الله فكان له قايداً وهذا من
معاتبة النفس كما سياتي في موضعه ان شاء الله تعالى وقال
ميمون بن مهران ان التقي اشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم
ومن شريك شحيح وقال ابرهيم التيمي مثلت نفسي في الجنه اكل من
ثمارها واشرب من انهارها واعانق ابكارها ثم مثلت نفسي في النار
اكل من زقومها واشرب من صديدها واعالج سلاسلها واغلالها فقلت
لنفسي يا نفس اي شي تريدين فقالت اريد ان ارد الى الدنيا فاعمل
صالحاً فقلت فانت في الامنيه فاعملي وقال مالك بن دينار سمعت
الحجاج يخطب وهو يقول امرء حاسب نفسه قبل ان يصير الحساب الى
غيره امرء اخذ بعنان عمله فنظر ماذا اريد به امرء نظر في مكياله

امرء نظر في ميزانه فما زال يقول امرء امرء حتى ابكاني وحكي صاحب
الاحنف بن قيس قال كنت اصحبه فكانت عامة صلاته بالليل الدعا
وكان يجي الى المصباح فيضع اصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه
ما حملك على ما صنعت يوم كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا ٥

بيان حقيقه المحاسبه بعد العمل اعلم ان العبد كما يكون له وقت
اول النهار يشارط فيه نفسه على سبيل التوصيه بالحق فينبغي
ان يكون له في اخر النهار ساعه يطالب فيها النفس ويحاسبها
على جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل التجار في الدنيا مع الشركا
في اخر كل سنه او شهر او يوم حرصاً منهم على الدنيا وخوفاً من ان
يفوتهم منها ما لو فاتهم لكانت الخيره لهم في فواته ولو حصل ذلك لهم
فلا يبقى الا اياماً قلايل وكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلق
به خطر الشقوه والسعاده ابد الاباد ما هذه المساهله الا عن
الغفله والخذلان وقلة التوفيق نعوذ بالله من ذلك ومعنى المحا
مع الشريك ان ينظر في راس المال او ينظر في الربح والخسران
ليتبين له الزياده والنقصان فان كان من فضل حاصل استوفاه
وشكره وان كان من خسران طالبه بضمانه وكلفه تداركه
في المستقبل فكذلك راس مال العبد في دينه الفرايض وربحه النوافل

والفضايل وخسرانه المعاصي وموسم هذه التجارة جملة النهار ومعاملة نفسه الامارة بالسوء فليحاسبها على الفرايض اولا فان اداها على وجهها شكر الله تعالى ورغبها في مثلها وان فوتها طالبها بالقضا وان اداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وان ارتكبت معصية اشتغل بعقابها وتعذيبها ومعاتبتها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر بشريكه وكما انه يفتش في حساب الدنيا عن الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يغبن في شيء منها فينبغي ان يتقي غبينة النفس ومكرها فانها خداعة ملبسة مكارة فليطالبها اولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره وليتكفل بنفسه من الحساب ما يتولاه غيره في صعيد القيمة وهكذا عن نظره بل عن خواطره وافكاره وقيامه وقعوده واكله وشربه ونومه حتى عن سكوته انه لم سكت وعن سكونه لم سكن فاذا عرف مجموع الواجب على النفس فتادى الواجب فيه كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر له الباقي على نفسه فليثبته عليه وليكتبه على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الذي على شريكه على قلبه وفي جريدة حسابه ثم النفس غريم يمكن ان يستوفي منه الديون اما بعضها بالغرامة والضمان

وبعضها برد عينها وبعضها بالعقوبة لها على ذلك ولا يمكن شي من ذلك الا بعد تحقيق الحساب وتمييز الباقي من الحق الواجب عليه فاذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفا ثم ينبغي ان يحاسب النفس على جميع العمر يوما يوما وساعة ساعة في جميع الاعضاء الظاهرة والباطنة كما نقل عن توبة بن الصمة وكان بالرقة وكان محاسبا فحسب يوما فاذا هو ابن ستين سنة فحسب ايامها فاذا هي احد وعشرون الف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال يا ويلتاه القى المليك باحد وعشرين الف ذنب كيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب ثم خر مغشيا عليه فاذا هو ميت فسمعوا قايلا يقول يا لك ركضة الى الفردوس الاعلى فهكذا ينبغي ان يحاسب نفسه على الانفاس وعلى معصية القلب والجوارح في كل ساعة ولو رمى العبد بكل معصية حجرا في داره لامتلات داره في مدة يسيرة من عمره ولكنه يتساهل في حفظ المعاصي والملكان يحفظان عليه احصاه الله ونسوه

المرابطة الرابعة في معاقبة النفس على تقصيرها مهما حاسب نفسه فلم تسلم عن مقارفة معصية وارتكاب تقصير في حق الله تعالى فلا ينبغي ان يهملها فانه ان اهملها سهل عليه مقارفة المعاصي وانست بها نفسه وعسر عليه فطامها وكان ذلك سبب

هلاكها بل ينبغي ان يعاقبها فاذا اكل لقمة شبهة بشهوة نفسه
ينبغي ان يعاقب البطن بالجوع واذا نظر الى غير محرم ينبغي ان يعاقب
العين بمنع النظر وكذلك كل طرف من اطراف بدنه بمنعه من
شهواته هكذا كانت عادة سالكي طريق الاخرة فقد روي عن
منصور بن ابراهيم ان رجلا من العباد كلم امراة فلم يزل حتى وضع يده
على فخذها ثم ندم فوضع يده على النار حتى نشت وروي انه كان
في بني اسرائيل رجل يتعبد في صومعته فمكث بذلك زمانا طويلا
فاشرف ذات يوم فاذا هو بامراة فافتتن بها وهم بها فرجعت
اليه نفسه وعصمه الله تعالى فندم فلما اراد ان يعيد رجله الى
الصومعة قال هيهات هيهات رجل خرجت تريد ان تعصي الله تعالى
تعود معي في الصومعة لا يكون والله ذلك ابدا فتركها معلقة
من الصومعة تصيبها الامطار والرياح والثلج والشمس حتى تقطعت
وسقطت فشكر الله له ذلك وانزل في بعض الكتب ذكره
وحكي عن الجنيد قال سمعت ابن الكريبي يقول اصابتني ليلة جنابة
احتجت ان اغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت في نفسي تأخرا
وتقصيرا فحدثتني نفسي بالتقصير والتاخير او تسخين الماء او ادخل
الحمام ولا اعنف على نفسي فقلت واعجباه انا اعامل الله في طول

عمري فيجب له علي حق ولا اجد في المسارعة واخذ في الوقوف
والتاخر آليت لا اغتسلت الا في مرقعتي هذه وآليت ان لا انزعها
ولا اعصرها ولا اجففها بالشمس وحكي ان غزوان وابا موسى
كانا في بعض مغازيهما فتكشفت جارية فنظر اليها غزوان فرفع يده
فلطم عينه حتى نفرت وقال انك للحاظة الى ما يضرك ونظر
بعضهم الى امراة نظرة واحدة فجعل على نفسه ان لا يشرب الماء
البارد طول عمره وكان يشرب الماء الحار لينغص على نفسه العيش
وحكي ان حسان بن ابي سنان مر بغرفة فقال متى بنيت هذه
ثم اقبل على نفسه وقال تسالين عما لا يعنيك لاعاقبنك
بصوم سنة فصامها وقال مالك بن ضيغم جاء رباح العبسي
يسال عن ابي بعد العصر فقلنا انه نائم فقال نوم هذه الساعة
هذا وقت نوم ثم ولى منصرفا فاتبعناه رسولا وقلنا الا نوقظه
لك فجاء الرسول وقال هو اشغل من ان يفهم عني شيئا ادركته
وهو يدخل المقابر وهو يعاتب نفسه ويقول اقلت وقت
نوم هذه الساعة افكان هذا عليك ينام الرجل متى شاء وما
يدريك ان هذا ليس وقت نوم تتكلمين بما لا تعلمين اما ان لله
عهدا لا انقضه ابدا لا اوسدك الارض لنوم حولا الا لمرض حائل

او لعقل زايل سوءة لك اما تستحيين كم توبخين وعن غيك
لا تنتهين وجعل يبكي وهو لا يشعر بمكاني فلما رايت ذلك
انصرفت وتركته . وحكي ان تميما الداري نام ليلة لم يقم
يتهجد فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع . وعن طلحة
قال انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ في الرمضاء
وكان يقول لنفسه ذوقي ونار جهنم اشد حرا اجيفة بالليل
بطالة بالنهار قال فبينا هو كذلك اذ ابصر النبي صلى الله عليه
وسلم في ظل شجرة فاتاه وقال غلبتني نفسي فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم الم يكن بد من الذي صنعت اما والله لقد
فتحت لك ابواب السماء ولقد باهى الله بك الملايكة ثم قال
لاصحابه تزودوا من اخيكم فجعل الرجل يقول له يا فلان
ادع لي فقال عليه السلام عمهم فقال اللهم اجعل التقوى
زادهم واجمع على الهدى امرهم فجعل النبي صلى الله عليه وسلم
يقول اللهم سدده اللهم اجعل الجنة مابه . وقال حذيفة بن
قتادة قيل لرجل كيف تصنع بنفسك في شهوتها فقال ما في
الارض نفس ابغض الي منها فكيف اعطيها شهوتها ودخل
ابن السماك على داود الطاي حين مات وهو في بيته على التراب

فقال يا داود سجنت نفسك قبل ان تسجن وعذبت نفسك
قبل ان تعذب فاليوم ترى ثواب من كنت تعمل له . وعن وهب
ابن منبه ان رجلا تعبد زمانا ثم بدت له الى الله حاجة فصام
سبعين سبتا ياكل في كل سبت احدى عشرة تمرة ثم سال
حاجته فلم يعطها فرجع الى نفسه وقال منك اتيت لو كان
فيك خير لاعطاك حاجتك فنزل اليه ملك وقال يا ابن
ادم هذه ساعة خير من عبادتك التي مضت وقد قضى الله حاجتك
وقال عبد الله بن قيس كنا في غزاة لنا فحضر العدو فصيح في
الناس فقاموا الى المصاف في يوم شديد الريح فاذا رجل امامي
وهو يخاطب نفسه ويقول اي نفس الم اشهد مشهد كذا وكذا
فقلت لي اهلك وعيالك فاطعتك ورجعت الم اشهد مشهد
كذا وكذا فقلت لي اهلك وعيالك فاطعتك ورجعت هكذا
يقول مرتين او ثلاثا ثم قال والله لاعرضنك على الله اخذك
او تركك فقلت لارمقنه اليوم فرمقته فحمل الناس على عدوهم
وكان في اوايلهم ثم ان العدو حمل على الناس فانكشفوا وكان في
موضعه حتى انكشفوا ثلاث مرات وهو ثابت يقاتل فوالله ما زال
دابه حتى رايته صريعا فعددت به وبدابته ستين او اكثر من

ثنتين طعنه، وقد ذكرنا حديث ابي طلحه لما اشتغل قلبه في
الصلاه بطاير في حايط فتصدق بالحايط كفارة لذلك،
وان عمر رضي الله عنه كان يضرب قدميه بالدره كل ليله ويقول
ماذا عملت اليوم، وعن مجمع انه رفع راسه الى السطح فوقع
بصره على امراه فجعل على نفسه ان لا يرفع راسه الى السماء ما
دام في الدنيا، وكان الاحنف بن قيس لا يفارقه المصباح بالليل
وكان يضع اصبعه عليه ويقول لنفسه ما حملك يوم صنعت
كذا وكذا، وانكر وهيب بن الورد شيا على نفسه فنتف شعرات
على صدره حتى عظم المه ثم جعل يقول لنفسه ويحك انما اريد
بك الخير، وراى محمد بن بشر داود الطاي وهو ياكل عند
افطاره خبزا بغير ملح فقال لو اكلته بالملح فقال ان نفسي لتدعوني
الى الملح منذ سنه ولا ذاق داود ملحا ما دام في الدنيا، فهكذا
كانت عقوبه اولي الحزم لانفسهم والعجب انك تعاقب نفسك
عبدك وامتك واهلك وولدك على ما يصدر منهم من سوء
خلق وتقصير في امر وتخاف انك لو تجاوزت عنهم لخرج امرهم
عن الاختيار وبغوا عليك ثم تهمل نفسك وهي اعظم عدو
لك واشد طغيانا عليك وضررك من طغيانها اعظم من
ضررك من طغيان اهلك فان غايتهم ان يشوشوا عليك معيشه
الدنيا ولو عقلت لعلمت ان العيش عيش الاخره وان فيه النعيم
المقيم الذي لا اخر له ونفسك هي التي تنغص عليك عيش الاخره
فهي بالمعاقبه اولى من غيرها **المرابطة الخامسة المجاهدة**
وهوانه اذا حاسب نفسه فراها قد قارفت معصيه فينبغي
ان يعاقبها بالعقوبات التي مضت وان راها تتوانى بحكم الكسل
في شي من الفضايل او ورد من الاوراد فينبغي ان يؤدبها
بتثقيل الاوراد ويلزمها فنونا من الوظايف جبرا لما فات
وتداركا لما فرط وهكذا كان يعمل عمال الله تعالى فقد عاقب
عمر بن الخطاب رضي الله عنه نفسه حين فاتته صلاة العصر في جماعه
بان تصدق بارض كانت قيمتها مايتي الف درهم، وكان ابن عمر اذا
فاتته صلاة العصر في جماعه احيى تلك الليله، واخر ليله
صلاة المغرب حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين، وفات لابن
ابي ربيعه ركعتا الفجر فاعتق رقبه، وكان بعضهم يجعل على
نفسه صوم سنه او الحج ماشيا او التصدق بجميع ماله وكل
ذلك مرابطه للنفس ومواخذه لها بما فيه نجاتها، فان
قلت ان كانت نفسي لا تطاوع على المجاهده والمرابطه

على الاوراد فما سبيل معالجتها، فاقول سبيلك في ذلك
ان تسمع ما ورد في الاخبار من فضايل المجتهدين ومن انفع
اسباب العلاج ان يطلب صحبة عبد من عباد الله مجتهد في
العباده فيلاحظ احواله ويقتدي بهم كان بعضهم يقول
كنت اذا اعترتني فترة في العباده نظرت الي محمد بن واسع
والي اجتهاده فعملت علي ذلك اسبوعا الا ان هذا علاج قد تعذر
اذ قد فقد في هذا الزمان من يجتهد في العباده اجتهاد الاولين
فينبغي ان يعدل من المشاهده الي السماع فلا شي انفع من سماع
احوالهم ومطالعه اخبارهم وما كانوا فيه من الجهد الجهيد وقد
انقضي تعبهم وبقي ثوابهم ونعيمهم ابد الاباد لا ينقطع فما اعظم
ملكهم وما اشد حسرة من لا يقتدي بهم فيمتع نفسه اياما
قلايل بشهوات مكدرة ثم ياتيه الموت ويحال بينه وبين ما يشتهيه
ابد الاباد نعوذ بالله من ذلك، ونحن نورد من اخبار المجتهدين
وفضايلهم ما يحرك رغبة المريد في الاجتهاد اقتداء بهم فقد قال
صلى الله عليه وسلم رحم الله اقواما يحسبهم الناس مرضي وما
هم بمرضي، قال الحسن اجهدتهم العباده قال الله تعالي
والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة. قال الحسن يعملون

ما عملوا من اعمال البر ويخافون ان لا ينجيهم ذلك من عذاب
الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبي لمن طال
عمره وحسن عمله، ويروي ان الله تعالي قال للملايكة ما بال
عبادي مجتهدون فيقولون الهنا خوفتهم شيا فخافوه وشوقتهم
الي شي فاشتاقوا اليه فيقول الله فكيف لو راوني عبادي لكانوا
اشد اجتهادا، وقال الحسن ادركنا اقواما وصحبت طوايف
منهم ما كانوا يفرحون بشي من الدنيا اقبل ولا ياسفون علي
شي منها ادبر ولهي كانت اهون في اعينهم من هذا التراب
الذي يطاونه بارجلكم ان كان احدهم ليعيش عمره كله
ما طوي لاحدهم ثوب ولا امر اهله بصنعة طعام قط ولا جعل
بينه وبين الارض شيا قط فادركتهم عاملين بكتاب ربهم وسنة
نبيهم اذا جنهم الليل فقيام علي اطرافهم يفترشون وجوههم تجري
دموعهم علي خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم اذا
عملوا الحسنة فرحوا بها ودابوا في شكرها وسالوا الله ان
يتقبلها واذا عملوا السيية احزنتهم وسالوا الله ان يغفرها لهم
والله ما زالوا كذلك وعلي ذلك ووالله ما سلموا من الذنوب
ولا نجوا الا بالمغفرة، ويحكي ان قوما دخلوا علي عمر بن عبد

العزيز يعودونه في مرضه واذا فيهم شاب ناحل الجسم فقال
له يا فتى ما الذي بلغ بك ما ارى فقال يا امير المومنين امراض
واسقام فقال سالتك بالله الا صدقتني فقال يا امير
المومنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة وصغر عندي زهرتها
وحلاوتها واستوى عندي ذهبها وحجرها وكاني انظر الى عرش
ربي والناس يساقون الى الجنة والنار فاظمات لذلك
نهاري واسهرت ليلي وقليل حقير كل ما انا فيه في جنب ثواب
الله وعقابه ، وقال ابو نعيم كان داود الطاي يشرب
الفتيت ولا ياكل الخبز فقيل له في ذلك فقال بين مضغ
الخبز وشرب الفتيت قراة خمسين اية ، ودخل رجل عليه يوما
فقال ان في سقف بيتك جذعا مكسورا فقال يا ابن اخي ان
لي في البيت منذ عشرين سنة ما نظرت الى السقف ، وكانوا
يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام ، وقال محمد
ابن عبد العزيز جلسنا الى احمد بن رزين من غدوة الى العصر فما التفت
يمنة ولا يسرة فقيل له في ذلك فقال ان الله خلق العينين لينظر
بهما العبد الى عظمة الله فكل من نظر بغير اعتبار كتبت عليه
خطيئة ، وقالت امراة مسروق ما كان يوجد مسروق الا وساقاه

منتفختان من طول الصلاة وقالت والله ان كنت لاجلس
خلفه وابكي رحمة له ، وقال ابو الدردا لولا ثلاث ما احببت
العيش يوما واحدا الظما لله بالهواجر والسجود في جوف
الليل ومجالسة اقوام ينتقون اطايب الكلام كما ينتقى اطايب
التمر ، وكان الاسود بن يزيد يجتهد في العبادة ويصوم في
الحر حتى يخضر جسده ويصفر لونه فكان علقمة بن قيس يقول
له لم تعذب نفسك فيقول كرامتها اريد وكان يصوم حتى
لونه ويصفر جسده ويصلي حتى يسقط فدخل عليه انس بن
مالك والحسن وقالا له ان الله لم يامرك بكل هذا فيقول انما
انا عبد مملوك لا ادع من الاستكانة شيئا الا جيت به ، وكان
بعض المجتهدين يصلي كل يوم الف ركعة حتى اقعد من رجليه
فكان يصلي جالسا الف ركعة فاذا صلى العصر احتبى ثم قال
عجبت للخليقة كيف استنارت قلوبها بذكر سواك ، وكان
ثابت البناني قد حبب اليه الصلاة فكان يقول اللهم ان كنت
اذنت لاحد ان يصلي في قبره فاذن لي ان اصلي في قبري
وقال الجنيد ما رايت اعبد من السري اتت عليه ثمان وتسعون
سنة ما راي مضطجعا الا في علة الموت ، وقال الحارث بن سعد

مر قوم براهب فراوا ما يصنع بنفسه من شدة اجتهاده فكلموه
في ذلك فقال وما هذا عند ما يراد بالخلق من ملاقات الاهوال
وهم غافلون قد اعتكفوا على حظوظ انفسهم ونسوا حظهم
الاكبر من ربهم فبكى القوم من آخرهم وعن ابي محمد المغازلي
قال جاور ابو محمد الجريري بمكة سنة فلم ينم ولم يتكلم ولم يستند
الى عمود ولا الى حايط ولم يمد رجليه فعبر عليه ابوبكر الكتاني
فسلم عليه وقال له يا ابا محمد بم قدرت على اعتكافك هذا
فقال علم صدق باطني فاعانني على ظاهري فاطرق الكتاني ومشى
متفكرا وعن بعضهم دخلت على فتح الموصلي فرايته وقد مد
كفيه يبكي حتى رايت الدموع تتحدر من بين اصابعه فدنوت
منه فاذا دموعه قد خالطها صفرة فقلت لله بالله يا فتح
بكيت الدم فقال لولا انك حلفتني بالله ما اخبرتك نعم فقلت
له على ماذا بكيت الدموع فقال على تخلفي عن واجب حق الله
تعالى وبكيت الدم على الدموع لئلا تكون صحت لي الدموع
قال فرايته بعد موته في المنام فقلت له ما صنع الله بك قال
غفر قلت فما صنع في دموعك قال قربني ربي عز وجل وقال
لي يا فتح الدمع على ماذا قلت يا رب على تخلفي عن واجب حقك فقال
والدم

والدم على ماذا قلت على دموعي ان لا تصح لي فقال يا فتح ما اردت
بهذا كله وعزتي لقد صعد حافظاك اربعين سنة بصحيفتك
ما فيها خطيئة وقيل ان قوما ارادوا سفرا فجازوا عن الطريق
فانتهوا الى راهب منفرد عن الناس فنادوه فاشرف عليهم من
صومعته فقالوا يا راهب انا قد اخطانا الطريق فكيف الطريق
فاوما براسه الى السماء فعلم القوم ما اراد فقالوا يا راهب
انا سايلوك فهل انت مجيبنا فقال سلوا ولا تكثروا فان النهار
لن يرجع والعمر لا يعود والطالب حثيث فعجب القوم من كلامه
فقالوا يا راهب علام الخلق غدا عند مليكهم قال على نياتهم
فقالوا اوصنا فقال تزودوا على قدر سفركم فان خير الزاد
ما بلغ البغية ثم ارشدهم الى الطريق وادخل راسه في صومعته
وقال عبد الواحد بن زيد مررت بصومعة راهب من رهبان الصين
فناديته يا راهب فلم يجبني فناديته الثانية فلم يجبني فناديته الثالثة
فاشرف علي وقال يا هذا ما انا براهب انما الراهب من رهب الله في
سمايه وعظمه في كبريايه وصبر على بلايه ورضي بقضايه وحمده
على الايه وشكره على نعمايه وتواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم
لقدرته وخضع لمهابته وفكر في حسابه وعقابه فنهاره صايم

وليله قايم قد اسهره ذكر النار ومسالة الجبار فذلك هو
الراهب فاما انا فكلب عقور حبست نفسي في هذه الصومعه
عن الناس لئلا اعقرهم فقلت يا راهب فما الذي قطع الخلق
عن الله بعد اذ عرفوه قال يا اخي لم يقطع الخلق عن الله الا
حب الدنيا وزينتها لانها محل المعاصي والذنوب والعاقل من
رمى بها عن قلبه وتاب الى الله تعالى من ذنبه واقبل على ما
يقربه من ربه، وقيل لداود الطاي لو سرحت لحيتك فقال
اني اذن لفارغ، وكان اويس القرني يقول هذه ليله الركوع
فيحيي الليل كله في ركوعه واذا كانت الليله الاتيه قال هذه
ليله السجود فيحيي الليل كله في سجوده، وقيل لما تاب عتبة الغلام
كان لا يتهنا بالطعام والشراب فقالت له امه لو رفقت
بنفسك فقال الرفق اطلب دعيني اتعب قليلا وانعم طويلا،
وقيل حج مسروق فما نام قط الا ساجدا، وقال سفين الثوري
عند الصباح يحمد القوم السرى وعند الممات يحمد القوم التقى،
وقال عبد الله بن داود وكان احدهم اذا بلغ اربعين سنه
طوى فراشه اي كان لا ينام طول الليل، وكان كهمس بن
الحسن يصلي كل يوم الف ركعه ثم يقول لنفسه قومي يا

ماوى كل شر فلما ضعف اقتصر على خمسمايه ثم كان يبكي ويقول
ذهب نصف عملي، وكانت ابنة الربيع بن خثيم يا ابت مالي
ارى الناس ينامون وانت لا تنام فقال يا ابنتاه ان اباك يخاف
البيات، ولما رات ام الربيع ما يلقى الربيع من البكا والسهر نادته
يا بني لعلك قتلت قتيلا قال نعم يا اماه قالت من هو حتى نطلب
الى اهله فيعفو عنك فوالله لو يعلمون ما انت فيه لرحموك وعفوا
عنك قال يا اماه هي نفسي، وعن عمر بن اخت بشر بن الحارث قال
سمعت خالي بشر بن الحارث يقول لامي يا اختي جوفي وخاصرتي
يضربا علي فقالت له امي يا اخي تاذن لي حتى اصلح لك قليل
حسا بكف دقيق عندي تتحساه يرم جوفك فقال لها ويحك
اخاف ان يقول لي من اين لك هذا الدقيق فلا ادري ايش اقول
له فبكت امي وبكا معها وبكيت معهما، قال عمر ورات امي ما ببشر
من شدة الجوع وجعل يتنفس نفسا ضعيفا فقالت له يا اخي
ليت امك لم تلدني فقد والله تقطع كبدي مما ارى بك فسمعته
يقول لها وانا فليت امك لم تلدني واذ ولدتني لم يدر ثديها
علي، قال عمر وكانت امي تبكي عليه الليل والنهار، قال الربيع
اتيت اويسا فوجدته جالسا قد صلى الفجر ثم جلس فجلست وقلت

لا اشغله عن التسبيح فمكث مكانه حتى صلى الظهر ثم قام الى
الصلاة حتى صلى العصر ثم جلس موضعه حتى صلى المغرب ثم
ثبت مكانه حتى صلى العشا ثم ثبت مكانه حتى صلى الصبح ثم
جلس فغلبته عيناه فقال اللهم اني اعوذ بك من عين نوامة
ومن بطن لا يشبع فقلت حسبي هذا منه ثم رجعت • ونظر
رجل الى اويس فقال يا ابا عبد الله مالي اراك كانك مريض
فقال وما لاويس ان لا يكون مريضا يطعم المريض واويس غير
طاعم وينام المريض واويس غير نايم • وقال احمد بن حرب يا
عجبا لمن يعرف ان الجنة تزين فوقه وان النار تسعر تحته كيف
ينام بينهما • وقال رجل من النساك اتيت ابرهيم بن ادهم فوجدته
قد صلى العشا فقعدت ارقبه فلف نفسه بعباه ثم رمى نفسه
فلم ينقلب من جنب الى جنب الليل كله حتى طلع الفجر واذن المؤذن
فوثب الى الصلاه ولم يحدث وضوا فحاك ذلك في صدري فقلت
له رحمك الله قد نمت الليل كله مضطجعا ثم لم تجدد الوضوء ٥
فقال كنت الليل كله جايلا في رياض الجنة احيانا وفي اودية
النار احيانا فهل في ذلك نوم • وقال ثابت البناني ادركت
رجالا كان بعضهم يصلي فيعجز حتى ما ياتي فراشه الا حبوا ٥

وقيل مكث ابو بكر بن عياش اربعين سنة لا يضع جنبه على فراش
ونزل الماء في احدى عينيه فمكث عشرين سنة لا يعلم به احد •
وقيل كان ورد سمنون في كل يوم خمسماية ركعه • وعن ابي بكر
المطوعي قال كان وردي في شبيبتي كل يوم وليله اقرا فيه
قل هو الله احد ثلاثين الف مرة او اربعين الف مرة شك الراوي
وكان منصور بن المعتمر اذا رايته قلت رجل اصيب بمصيبه
منكسر الطرف منخفض الصوت رطب العينين ان حركته
جات عيناه باربع ولقد قالت له امه ما هذا الذي تصنع
بنفسك تبكي الليل عامته لا تسكت لعلك يا بني اصبت نفسا
لعلك قتلت قتيلا فيقول يا امه انا اعلم بما صنعت بنفسي •
وقيل لعامر بن عبد الله كيف صبرك على سهر الليل وظما
الهواجر فقال هل هو الا اني صرفت طعام النهار الى الليل
ونوم الليل الى النهار فليس في ذلك خطير امر • وكان
يقول ما رايت مثل الجنة نام طالبها ولا رايت مثل النار نام
هاربها وكان اذا جاء الليل اذهب حر النار النوم فما
ينام حتى يصبح واذا جاء النهار قال اذهب حر النار النوم فما
ينام حتى يمسي فاذا جاء الليل قال من خاف البيات ادلج عند

الصباح حمد القوم السرى وقال بعضهم صحبت ابن عبد قيس
اربعة اشهر فما رايته نام بليل ولا نهار ويروي عن رجل
من اصحاب علي قال صليت خلف علي الفجر فلما سلم انفتل عن
يمينه وعليه كآبة ثم مكث حتى طلعت الشمس ثم قلب يده
وقال والله لقد رايت اصحاب محمد وما ارى اليوم شيا يشبههم
كانوا يصبحون شعثا غبرا صفرا قد باتوا لله سجدا وقياما
يتلون كتاب الله يراوحون بين اقدامهم وجباههم وكانوا
اذا ذكروا الله عز وجل مادوا كما تميد الشجر في يوم الريح
وهملت اعينهم حتى تبل ثيابهم وكان القوم باتوا غافلين
يعني من كان حوله وكان ابو مسلم الخولاني قد علق سوطا
في مسجد بيته تخوف به نفسه ويقول لنفسه قومي فوالله لازحفن
بك حتى يكون الكلال منك لا مني فاذا دخلته الفترة تناول
سوطه وضرب به ساقه ويقول انت اولى بالضرب من دابتي
وكان يقول ايظن اصحاب محمد ان يستاثروا به دوننا والله
لنزاحمنهم زحاما حتى يعلموا انهم قد خلفوا وراهم رجالا
وكان صفوان بن سليم قد تعقدت ساقاه من طول القيام
وبلغ من الاجتهاد ما لو قيل له القيمه غدا ما وجد متزيدا وكان

اذا جاء الشتا اضطجع على السطح ليضربه البرد واذا كان في
الصيف اضطجع داخل البيوت ليجد الحر والغم ينام وانه مات
وهو ساجد وكان يقول اللهم اني احب لقاك فاحب لقاي
وقال القسم بن محمد غدوت يوما وكنت اذا غدوت بدات بعايشه
اسلم عليها فغدوت يوما اليها فاذا هي تصلي صلاة الضحى وهي تقرا
فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وتبكي وتدعو وتردد الايه
فقمت حتى مللت وهي كما هي فلما رايت ذلك ذهبت الى السوق
فقلت افرغ من حاجتي ثم ارجع ففرغت من حاجتي ثم رجعت
وهي كما هي تردد الايه وتدعو وتبكي وقال محمد بن اسحق لما ورد
علينا عبد الرحمن بن الاسود حاجا اعتلت احدى قدميه فقام
يصلي على قدم واحد حتى صلى الصبح بوضو العشا وقال
بعضهم ما اخاف من الموت الا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل
وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه سيما الصالحين صفرة
الالوان من السهر وعمش العيون من البكا وذبول الشفاه
من الصوم عليهم غبرة الخاشعين وقيل للحسن ما بال المتهجدين
احسن الناس وجوها فقال انهم خلوا بالرحمن فالبسهم نورا من
نوره وكان عامر بن عبد قيس يقول الهي خلقتني ولم توامرني

وتميتني ولا تعلمني وخلقت معي عدوًا وجعلته يجري مجرى الدم
مني وجعلته يراني ولا اراه ثم قلت لي استمسك الهي كيف استمسك
ان لم تمسكني الهي في الدنيا الهموم والاحزان وفي الاخرة العقاب
والحساب فاين الراحة والفرج، وقال جعفر بن محمد كان
عتبة الغلام يقطع الليل بثلاث صيحات كان اذا صلى العتمة
وضع راسه بين ركبتيه يتفكر فاذا مضى ثلث الليل صاح ثم
يضع راسه بين ركبتيه يتفكر فاذا مضى ثلث الليل صاح صيحة
ثم يضع راسه بين ركبتيه فاذا كان السحر صاح صيحة، قال
جعفر بن محمد فحدثته بعض البصريين قال لا تنظر الى صياحه
ولكن انظر الى ما كان فيه بين الصيحتين حين صاح، وعن
القسم بن راشد الشيباني قال كان زمعة نازلا عندنا بالمحصب
وكان له اهل وبنات وكان يقوم يصلي ليلا طويلا فاذا كان
السحر نادي باعلى صوته ايها الركب المعرسون اكل هذا
الليل ترقدون افلا تقومون فترحلون فيتواثبون فتسمع من
هاهنا باك ومن هاهنا داع ومن هاهنا قاري ومن هاهنا متوضي
فاذا طلع الفجر نادي باعلى صوته عند الصباح يحمد القوم السرى،
وقال بعض الحكما ان الله تعالى عبادًا انعم عليهم فعرفوه وشرح

صدورهم فاطاعوه وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والامر اليه
فصارت قلوبهم معادن لصفا اليقين وبيوتا للحكمة وتوابيت
للعظمة وخزاين للقدرة فهم بين الخلايق مقبلون ومدبرون
وقلوبهم تجول في الملكوت وتلوذ بمحجوب الغيوب ثم ترجع ومعها
طرايف من لطيف الفوايد لا يمكن واصفا ان يصفه فهم في
باطن امورهم كالديباج حسنًا وهم في الظاهر مبذولون لمن ارادهم
تواضعًا فهذه طريقة لا يبلغ اليها بالتكلف وانما هو فضل الله
يؤتيه من يشا، وقال بعض الصالحين بينما انا اسير في بعض
جبال بيت المقدس اذ هبطت الى وادٍ فاذا انا بصوت قد علا
واذا تلك الجبال تجيبه لها دوي عالٍ فاتبعت الصوت فاذا
انا بروضة عليها شجر ملتف واذا انا برجل قايم فيها يردد هذه
الاية يوم تجد كل نفسٍ ما عملت من خير محضرًا الى قوله ويحذركم
الله نفسه قال فجلست خلفه اسمع كلامه وهو يردد هذه
الاية اذ صاح صيحة خر مغشيًا عليه فقلت واشقاه هذا
لشقاي ثم انتظرت افاقته فافاق بعد ساعة فسمعته وهو يقول
اعوذ بك من مقام الكذابين اعوذ بك من اعمال البطالين اعوذ
بك من اعراض الغافلين ثم قال لك خشعت قلوب الخايفين

واليك فزعت آمال المقصّرين ولعظمتك ذلّت قلوب العارفين
ثم نفض يديه وقال مالي وللدنيا وما للدنيا ولي عليك تاديبا
بابناء جنسك والا فنعيمك الى محبيك فاذهبي واياهم فاخدعي
ثم قال اين القرون الماضيه واهل الدهور السالفه في التراب
يبلون وعلى الزمان يفنون فناديته يا عبد الله انا منذ اليوم
خلفك انتظر فراغك فقال وكيف يفرغ من يبادر الاوقات
وتبادره يخاف سبقها بالموت الى نفسه ام كيف يفرغ من
ذهبت ايامه وبقيت آثامه ثم قال انت لها ولكل شدة اتوقع
نزولها لها عني ساعد وقد او بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
ثم صاح صيحة اخرى اشد من الاولى خر مغشيا عليه فقلت
قد خرجت نفسه فدنوت منه فاذا هو يضطرب ثم افاق وهو
يقول من انا ما خطري هب لي اسائتي بفضلك وجللني بسترك
واعف عن ذنوبي بكرم وجهك اذا وقفت بين يديك فقلت
له بالذي ترجوه لنفسك وتثق به الا كلمتني فقال عليك بكلام
من ينفعك كلامه ودع كلام من اوثقته آثامه وذنوبه
اني لفي هذا الموضع منذ شاء الله اجاهد ابليس ويجاهدني
فلم يجد عونا علي ليخرجني مما انا فيه غيرك فاليك عني يا مخدوع

فقد عطلت علي لساني وميلت الى حديثك شعبة من قلبي فانا
اعوذ بالله من شرك ثم ارجو ان يعيذني من سخطه ويتفضل علي
برحمته قال فقلت هذا ولي الله اخاف ان اشغله فاعاقب في
موضعي هذا فانصرفت وتركته، وقال بعض الصالحين بينما انا
اسير في مسير لي اذ ملت الى شجرة لاستريح تحتها فاذا بشيخ قد
اشرف علي فقال لي يا هو قم فان ملك الموت لم يمت ثم هام على وجهه
فاتبعته فسمعته وهو يقول كل نفس ذائقة الموت اللهم بارك
لي في الموت فقلت وفيما بعد الموت فقال من ايقن بما بعد الموت
شمّر مئزر الحذر ولم يكن له في الدنيا مستقر ثم قال يا من
لوجهه عنت الوجوه بيض وجهي بالنظر اليك واملا قلبي من المحبة
لك واجرني من ذلة التوبيخ غدا عندك فقد آن لي الحياء منك
وحان لي الرجوع عن الاعراض عنك ثم قال لولا حلمك لم يسعني
اجلي ولولا عفوك لم ينبسط فيما عندك املي ثم مضى وتركني
وقد انشد وافي هذا المعنى، شعر،

نحيل الجسم مكتئب الفؤاد   تراه بقنة او بطن وادي
ينوح على معاصي فادحات   يكدر ثقلها صفو الرقاد
فان هاجت مخاوفه وزادت   فدعوته اغثني يا عمادي

فانت بالاقيه عليم كثير الصفح عن زلل العباد

وقيل

الذ من التلذذ بالغواني اذا اقبلن في حلل حسان

منيب فر من اهل ومال يسيح من المكان الى المكان

ليخمل ذكره ويعيش فردًا ويظفر بالعباده والاماني

تلذذ بالتلاوه اين ولى وذكر بالفؤاد وباللسان

وعند الموت يأتيه بشير يبشر بالنجاه من الهوان

فيدرك ما اراد وما تمنى من الراحات من غرف الجنان

وكان كرز بن وبره يختم القران في كل يوم ثلاث مرات ويجاهد نفسه في الطاعات غاية المجاهده فقيل له قد اجهدت نفسك فقال كم عمر الدنيا فقيل سبعة الاف سنه فقال فقال وكم مقدار يوم القيمه فقيل خمسون الف سنه قال وكيف يعجز احدكم ان يعمل سبعه ايام حتى يامن ذلك اليوم يعني انك لو عشت عمر الدنيا واجتهدت سبعة الاف سنه وتخلصت من يوم كان مقداره خمسين الف سنه لكان ربحك كثيرًا وكنت بالرغبه فيه جديرًا وكيف عمرك قصير والاخره لا غاية لها وهكذا كان سيرة السلف الصالحين في مرابطة النفس ومراقبتها فمهما تمردت نفسك عليك وامتنعت من المرابطه على العباده فطالع احوال هولاء فانه قد عز الان وجود مثلهم ولو قدرت على مشاهدة من اقتدى بهم فهو انجع في القلوب وابعث على الاقتدا اذ ليس الخبر كالمعاينه واذا عجزت عن هذا فلا تغفل عن سماع احوال هولاء فان لم يكن ابل فعنزى وخير نفسك من الاقتدا بهم والكون في زمرتهم وغمارهم وهم العقلا والحكما وذوو البصاير في الدين وبين الاقتداء بالجهله الغافلين من اهل عصرك ولا ترضى لها ان تنخرط في سلك الحمقى وتقنع بالتشبه بالاغبياء وتوثر مخالفه العقلا فان حدثتك نفسك بان هولاء رجال اقويا لا يطاق الاقتداء بهم فطالع احوال النساء المجتهدات وقل لها يا نفس الا تستنكفين ان تكوني اقل من امراة فاخسس برجل يقصر عن امراه في امر دينها ودنياها

ولنذكر الان نبذه من احوال المجتهدات فقد روي عن حبيبه العدويه انها كانت اذا صلت العتمه قامت على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم قالت الهي غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك ابوابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامي بين يديك ثم تقبل على صلاتها

فاذا طلع الفجر قالت الهي هذا الليل قد ادبر وهذا النهار
قد اسفر فليت شعري اقبلت مني ليلتي فاهنا ام رددتها
علي فاعزي وعزتك فهذا دابي ودابك ما ابقيتني وعزتك
لو انتهرتني من بابك ما برحته لما وقع في نفسي من جودك
وكرمك، ويروى عن عجوز انها كانت تحيي الليل وكانت
مكفوفة البصر فاذا كانت في السحر نادت بصوت لها محزون
اليك قطع العابدون دجى الليالي يستبقون الى رحمتك وفضل
مغفرتك فبك يا الهي اسالك لا بغيرك ان تجعلني في اول زمرة
السابقين وان ترفعني لديك في عليين في درجة المقربين
وان تلحقني بعبادك الصالحين فانت ارحم الرحماء واعظم العظماء
واكرم الكرماء ثم تخر ساجدة وتسمع لها وجبة ثم لا تزال
تدعو وتبكي الى الفجر، وقال يحيى بن بسطام كنت اشهد
مجلس شعوانة فكنت ارى ما تصنع من النياحة والبكا فقلت
لصاحب لي لو اتيناها اذا خلت فامرناها بالرفق بنفسها قال
انت وذاك قال فاتيناها فقلت لها لو رفقت بنفسك
واقصرت عن هذا البكا شيئا لكان لك اقوى على ما تريدين
قال فبكت ثم قالت والله لوددت ان ابكي حتى تنفد دموعي

ثم ابكي دما حتى لا تبقى قطرة من دم في جارحة من جوارحي
واني لي بالبكا واني لي بالبكا فلم تزل تردد واني لي بالبكا
حتى غشي عليها، وقال محمد بن معاذ حدثتني امراة من المتعبدات
قالت رايت في منامي كاني ادخلت الجنة واذا اهل الجنة قيام على
ابوابهم فقلت ما شان اهل الجنة قيام فقال لي قائل خرجوا ينظرون
الى هذه المراة التي زخرفت الجنان لقدومها قلت ومن
هي قال امة سوداء من اهل الابلة يقال لها شعوانة فقلت
اختي والله قالت فبينا انا كذلك اذا اقبلت على نجيبة تطير
بها في الهواء فلما رايتها ناديتها يا اختي اما ترين مكانك من
مكاني فلو دعوت الى مولاي فالحقني بك قالت فتبسمت الي
وقالت لم يان لقدومك ولكن احفظي عني شيئا الزمي الحزن
قلبك وقدمي محبة الله على هواك فلا يضرك متى مت، وقال عبد
الله بن الحسن كانت لي جارية رومية وكنت بها معجبا وكانت
في بعض الليالي نائمة الى جنبي فانتبهت فلمستها فلم اجدها فقمت
اطلبها فاذا هي ساجدة وهي تقول بحبك لي الا ما غفرت لي ذنوبي
فقلت لها لا تقولي بحبك لي ولكن قولي بحبي لك فقالت يا مولاي
بحبه لي اخرجني من الشرك الى الاسلام وبحبه لي ايقظ عيني وكثير

من طغيه نيام، وقال ابو هاشم القرشي قدمت علينا امراه من
اهل اليمن يقال لها سريه فنزلت في بعض ديارنا قال فكنت اسمع
لها من الليل انينا وشهيقا فقلت يوما لخادم لي اشرف على هذه
المراه ماذا تصنع قال فاشرف عليها فما راها تصنع شيا غير انها
لا ترد طرفها عن السما وهي مستقبله القبله وهي تقول خلقت
سريه ثم غذيتها بنعمتك من حال الى حال فكل احوالك لها حسنه
وكل بلاياك عندها جميل وهي مع ذلك متعرضه لسخطك بالتوثب
على معاصيك فلته بعد فلته اتراها تظن انك لا ترى سو فعالها
وانت عليم خبير وانت على كل شي قدير، وقال ذو النون
المصري خرجت ليله من وادي كنعان فلما علوت الوادي اذا
سواد مقبل علي وهو يقول وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
ويبكي فلما قرب مني السواد اذا هي امراه عليها جبه صوف وبيدها
ركوه فقالت لي من انت غير فازعه مني قلت رجل غريب فقالت
يا هذا وهل يوجد مع الله غربه قال فبكيت لقولها فقالت ما
الذي ابكاك قلت وقع الدوا على دا قد قرح فاسرع في نجاحه
قالت فان كنت صادقا فلم بكيت رحمك الله والصادق لا
يبكي قلت ولم ذاك قالت لان البكا راحه للقلب فسكت متعجبا

من قولها، وقال احمد بن علي استاذنا على عفيره فحجبتنا فلازمنا
الباب فلما علمت ذلك قامت لتفتح الباب لنا فسمعتها وهي تقول
اللهم اني اعوذ بك ممن جا يشغلني عن ذكرك ثم فتحت الباب
فقلنا لها يا امة الله ادعي لنا فقالت جعل الله جزاكم في بيتي
المغفره ثم قالت لنا مكث عطا السلمي اربعين سنه لا ينظر الى
السما فحانت منه نظره فخر مغشيا عليه فاصابه فتق في
بطنه فيا ليت عفيره اذ رفعت راسها لم تعص ويا ليتها اذ عصت
لم تعد، وقال بعض الصالحين خرجت يوما الى السوق ومعي
جاريه حبشيه فاجلستها في موضع بناحيه السوق وذهبت
في بعض حوايجي وقلت لا تبرحي حتى انصرف اليك قال فانصرفت
فلم اجدها في الموضع فانصرفت الى منزلي وانا شديد الغضب
عليها فلما راتني عرفت الغضب في وجهي فقالت لي مولاي
لا تعجل علي انك اجلستني في موضع لم ار فيه ذاكرا لله فخفت
ان يخسف بذلك الموضع فعجبت لقولها فقلت لها انت حره
فقالت شا ما صنعت كنت اخدمك فيكون لي اجران
واما الان فقد ذهب عني احدهما، وقال ابن العلا السعدي
كانت لي بنه عم يقال لها بريره تعبدت وكانت تكثر القراه

في المصحف فكلما اتت على اية فيها ذكر النار بكت فلم تزل تبكي حتى
ذهبت عيناها من البكاء فقال بنو عمها انطلقوا بنا الى هذه
المراه حتى نعذلها فى كثرة البكا قال فدخلنا عليها فقلنا لها يا
برين كيف اصبحت قالت اصبحنا اضيافا منيخين بارض غربه
ننتظر متى ندعا فنجيب فقلنا لها كم هذا البكا قد ذهبت عيناك
منه فقالت ان كان لعيني عند الله خير فما يضرهما ما ذهب منهما
فى الدنيا وان كان لهما عند الله شر فسيزيدهما بكا اطول من هذا
واعرضت قال فقال القوم قوموا بنا فهى والله فى شيء غير
ما نحن فيه • وكانت معاذة العدويه اذا جاء النهار تقول
هذا يومي الذي اموت فيه فما تطعم حتى تمسي واذا جاء الليل
تقول هذه الليله التي اموت فيها فتصلي حتى تصبح • وقال ابو
سليمان الداراني بت ليله عند رابعه فقامت الى محراب لها وقمت
انا الى ناحيه من البيت فلم تزل قايمه الى السحر فلما كان السحر قلت
ما جزا من قوانا على قيام هذه الليله قالت جزاوه ان نصوم له غدا •
وكانت شعوانه تقول فى دعايها الهي ما اشوقني الى لقايك
واعظم رجاي لجزايك وانت الكريم الذي لا يخيب لديك امل الاملين
ولا يبطل عندك شوق المشتاقين اللهم ان كان دنا اجلي ولم يقربني

منك عملي فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسايل عللي فان عفوت
فمن اولى بذلك منك وان عذبت فمن اعدل منك هنالك الهي
قد جنت نفسي في النظر لها وبقي لها حسن نظرك فالويل لها ان
لم تسعدها الهي انك لم تزل بي برا ايام حياتي فلا تقطع عني برك
بعد مماتي ولقد رجوت ممن تولاني في حياتي باحسانه ان يشفعه
عند مماتي بغفرانه الهي كيف اياس من حسن نظرك بعد مماتي
ولم تولني الا الجميل في حياتي الهي ان كانت ذنوبي قد اخافتني
فان محبتي لك قد اجارتني فتول من امري ما انت اهله وعد
بفضلك على من غره جهله الهي لو اردت اهانتي لما هديتني
ولو اردت فضيحتي لم تسترني فمتعني بما به هديتني وادم لي
ما به سترتني الهي ما اظنك تردني فى حاجه افنيت فيها عمري
الهي لولا ما قارفت من الذنوب ما خفت عقابك ولولا ما عرفت
من كرمك ما رجوت ثوابك • وقال الخواص دخلنا على رحله
العابده وكانت قد صامت حتى اسودت وبكت حتى عميت وصلت
حتى اقعدت وكانت تصلي قاعده فسلمنا عليها ثم ذاكرناها
شيا من العفو ليهون عليها الامر قال فشهقت ثم قالت علمي بنفسي
قرح فوادي وكلم كبدي والله لوددت ان الله لم يخلقني ولم اكن

شيئًا مذكورًا ثم اقبلت على صلاتها. فعليك ان كنت من المرابطين
المراقبين لنفسك ان تطالع احوال الرجال والنساء من المجتهدين
لينبعث نشاطك ويزيد حرصك واياك ان تنظر الى اهل عصرك
فانك ان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله. وحكايات
المجتهدين غير محصورة وفيما ذكرناه كفاية للمعتبر وان اردت
مزيدًا فعليك بالمواظبة على مطالعة كتاب حلية الاولياء فهو
يشتمل على شرح احوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم وبالوقوف
عليه يتبين لك بعدك وبعد اهل عصرك عن اهل الدين فان
حدثتك نفسك بالنظر الى اهل زمانك وقالت انما تيسر الخير
في ذلك الزمان لكثرة الاعوان والآن فان خالفت اهل زمانك
راوك مجنونا وسخروا بك فوافقهم فيما هم عليه فلا يجري عليك الا
ما يجري عليهم والمصيبة اذا عمت طابت. فاياك ان تدلي بحبل
غرورها وتنخدع بتزويرها وقل لها ارايت لو هجم سيل جارف
يغرق اهل البلد وثبتوا على موضعهم ولم ياخذوا حذرهم لجهلهم
بحقيقة الحال وقدرت انت على ان تفارقيهم وتركبي في سفينة
تخلصين بها من الغرق فهل يختلج في نفسك ان المصيبة اذا عمت
طابت ام تتركين موافقتهم خوفا من الغرق وعذاب الغرق لا يتمادى

الا ساعه فكيف لا تهربين من عذاب الابد وانت متعرضة له في
كل حال ومن اين تطيب المصيبة اذا عمت ولاهل النار شغل
شاغل عن الالتفات الى العموم والخصوص ولم يهلك الكفار
الا بموافقة اهل زمانهم حيث قالوا انا وجدنا آباءنا على امة
وانا على آثارهم مقتدون فعليك اذا اشتغلت بمعاتبة نفسك
وحملها الاجتهاد واستعصت ان لا تترك معاتبتها وتوبيخها
وتقريعها سوء نظرها لنفسها فعساها تنزجر عن طغيانها

المرابطة السادسة في توبيخ النفس ومعاتبتها

اعلم ان اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقد خلقت
امارة بالسوء ميالة الى الشر فرارة عن الخير وامرت بتزكيتها
وتقويمها وقودها بسلاسل القهر الى عبادة ربها وخالقها
ومنعها من شهواتها وفطامها عن لذاتها فان اهملتها جمحت
وشردت ولم تظفر بها بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة
والعذل والملامة كانت نفسك هي النفس اللوامة التي اقسم
الله تعالى بها ورجوت ان تصير النفس المطمئنة المدعوة الى
ان تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية فلا تغفلن
ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ولا تشتغل بوعظ غيرك ما لم

تشتغل اولا بوعظ نفسك اوحى الله تعالى الى عيسى بن مريم
عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحيي مني
وقال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المومنين، وسبيلك
ان تقبل عليها فتقرر عندها جهلها وغباوتها فانها ابدا تتعزز
بفطنتها وهدايتها وتشتد انفها واستنكافها اذا نسبت الى
الحمق فتقول لها يا نفس ما اعظم جهلك تدعين الحكمة
والذكا والفطنه وانت اشد الناس غباوة وحمقا اما تعرفين
ما بين يديك من الجنه والنار وانت صايرة الى احديهما على
القرب فما لك تفرحين وتضحكين وتشتغلين باللهو وانت
مطلوبة لهذا الخطب الجسيم وعساك اليوم تختطفين او غدا
فاراك ترين الموت بعيدا ويراه الله قريبا اما تعلمين ان ما هو ات
قريب وان البعيد ما ليس بات اما تعلمين ان الموت ياتي بغتة
من غير تقديم رسول ومن غير مواعدة ومواطاة وانه لا ياتي
في شتا دون صيف ولا في صيف دون شتا ولا في نهار دون ليل
ولا في ليل دون نهار ولا ياتي في الصبي دون الشباب ولا في
الشباب دون الصبي بل كل نفس من الانفاس يمكن ان
يكون فيه الموت فجاة فان لم يكن الموت فجاة فيكون المرض فجاة

ثم يفضي الى الموت فما لك لا تستعدين للموت وهو اقرب اليك
من كل قريب اما تتدبرين قوله عز وجل اقترب للناس حسابهم
وهم في غفلة معرضون ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه
وهم يلعبون لاهية قلوبهم، ويحك يا نفس ان كانت جراتك
على معصية الله لاعتقادك ان الله لا يراك فما اعظم كفرك
وان كان مع علمه باطلاعه عليك فما اشد وقاحتك واقل
حياك، ويحك يا نفس لو واجهك عبد من عبيدك بل اخ من
اخوانك بما تكرهينه كيف كان غضبك عليه ومقتك له فباي
جسارة تتعرضين لمقت الله وغضبه وشديد عقابه افتظنين
انك تطيقين عذابه هيهات هيهات جربي نفسك ان الهاك
البطر عن اليم عذابه فاحتبسي ساعة في الشمس او في بيت الحمام
او قربي اصبعك من النار ليتبين لك قدر طاقتك او تغترين
بكرم الله وفضله واستغنايه عن طاعتك وعبادتك فما
لك لا تعولين على كرم الله تعالى في مهمات دنياك اذا قصدك
عدو فلم تستنبطين الحيل في دفعه ولا تكلينه الى كرم
الله، واذا ارهقتك حاجة الى شهوة من شهوات الدنيا مما
لا ينقضي الا بالدنيا والدراهم فما لك تنوعين الروح في طلبها

وتحصيلها من وجوه الحيل فلم لا تعولين على كرم الله حتى
يعثر بك على كنز او يسخر عبدا من عبيده فيحمل اليك حاجتك
من غير سعي منك ولا طلب فتحسبين ان الله تعالى كريم في
الاخرة دون الدنيا وقد عرفت ان سنة الله لا تبديل لها وان
رب الدنيا والاخرة واحد وان ليس للانسان الا ما سعى ٥ ،
ويحك يا نفس ما اعجب نفاقك ودعاويك الباطلة فانك
تدعين الايمان بلسانك واثر النفاق ظاهر عليك الم يقول لك
سيدك ومولاك وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقال
في امر الاخرة وان ليس للانسان الا ما سعى فقد تكفل لك
بامر الدنيا وصرفك عن السعي فيها فكذبتيه بافعالك واصبحت
تتكالبين على طلبها تكالب المدهوش المستهتر ووكل امر الاخرة
الى سعيك فاعرضت عنها اعراض المغرور المستحقر ما هذا من
علامات الايمان لو كان الايمان باللسان فلم كان المنافقون
في الدرك الاسفل من النار ويحك يا نفس كانك لا تؤمنين
بيوم الحساب وتظنين انك اذا مت انفلت وتخلصت وهيهات
اتحسبين انك تتركين سدى الم تكوني نطفة من مني يمنى ثم
كنت علقة فخلق فسوى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى

فان كان هذا اضمارك فما اكفرك واجهلك اما تتفكرين انه
من ماء خلقك فقدرك ثم السبيل يسرك ثم اماتك فاقبرك
افتكذبينه في قوله ثم اذا شاء انشرك فان لم تكوني مكذبة
فما بالك لا تاخذين حذرك ولو ان يهوديا اخبرك في الذ اطعمتك
بانه يضرك في مرضك لصبرت عنه وتركتيه وجاهدت نفسك
فيه اوكان قول الانبياء المؤيدين بالمعجزات وقول الله في كتبه
المنزلة اقل عندك تاثيرا من قول يهودي يخبرك عن حدس وتخمين
وظن مع نقصان عقل وقصور والعجب انه لو اخبرك طفل بان
في ثوبك عقربا لرميت ثوبك في الحال من غير مطالبة له ودليل
اوكان قول الانبيا والعلما وكافة الحكما والاولياء اقل عندك
من قول صبي من جملة الاغبيا او صار حر نار جهنم واغلالها
وانكالها وزقومها ومقامعها وصديدها وسمومها وافاعيها
وعقاربها احقر عندك من عقرب لا تحس بالمها الا يوما او اقل
منه ما هذا افعال العقلاء بل لو انكشف للبهائم حالك لضحكوا
منك وسخروا من عقلك ، وان كنت يا نفس قد عرفت جميع
ذلك وامنت به فما لك لا تسوفين العمل والموت لك بالمرصاد
ولعله تختطفين من غير مهل فبماذا امنت استعجال الاجل وهب

انك وعدت بالاهمال مايه سنة افتظنين ان من يطعم
الدابه في حضيض العقبه يفلح ويقدر على قطع العقبه بها ان
ظننت ذلك فما اعظم جهلك ارايت لو سافر رجلاً ليتفقه في
الغربه فاقام فيها سنين متعطلاً بطالاً لا يعد نفسه بالتفقه في
السنة الاخيرة عند رجوعه الى وطنه هل كنت تضحكين من
عقله وظنه ان تفقيه النفس من غير تفقه ودرس وتكرار
مما يطمع فيه بمدة قريبه او حسبانه ان مناصب الفقها تنال
من غير تفقه اعتماداً على كرم الله تعالى ثم هبي ان الجهد في آخر
العمر نافع وانه يوصل الى الدرجات العلى فلعل اليوم آخر عمرك
فلم لا تشتغلين فيه بذلك فان اوحي اليك بالاهمال فما المانع
لك من المبادرة وما الباعث لك على التسويف هل له سبب
الا عجزك عن مخالفة شهوتك لما فيه من التعب والمشقه افتنتظر
يوماً ياتيك لا يعسر عليك فيه مخالفة الشهوات هذا يوم لم يخلقه
الله قط ولا يخلقه فلا تكون الجنة قط الا محفوفة بالمكاره
ولا تكون المكاره قط خفيفة على النفوس هذا محال وجوده اما
تتاملين منذ كم تعدين نفسك وتقولين غداً وغداً فقد جا الغد
وصار يوماً فكيف وجدته اما علمت ان الغد الذي جاء وصار يوما
كان له حكم الامس لانك ما تعجزين عنه اليوم فانت غداً عنه اعجز
واعجز لان الشهوة كالشجرة الراسخة التي تعبد العبد بقلعها فاذا
عجز عن قلعها للضعف كان كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوي
فاخرها الى سنة اخرى مع علمه بان طول المده تزيد الشجرة قوة
ورسوخا وتزيد القاطع ضعفا ووهنا فما لا يقدر عليه في الشباب
فلا يقدر عليه قط في المشيب بل من العنا رياضة الهرم ومن
التعذيب تهذيب الذيب والقضيب الرطب يقبل الانحنا
فاذا جف وطال عليه الزمان لم يقبل ذلك الانحنا ولا يصح تقويم
المعوج الا بالنار فاذا كنت ايتها النفس لا تفهمين هذه الامور
الجليه وتركنين الى التسويف فما لك تدعين الحكمه واية
حماقة تزيد على هذه الحماقه ولعلك تقولين ما يمنعني من الاستقامه
الا حرصي على لذة الشهوات وقلة صبري على الالام والمشقات
فما اشد غباوتك واقبح اعتذارك ان كنت صادقة في ذلك
فاطلبي التنعم بالشهوات الصافية عن الكدورات الدايمه ابد الاباد
ولا مطمع في ذلك الا في الجنه فان كنت ناظرة لشهوتك فالنظر
لها في مخالفتها فرب اكله تمنع اكلات وما قولك في عقل مريض
اشار عليه الطبيب بترك الماء البارد ثلاثة ايام ليصح ويتهنا

بشربه طول العمر واخبره انه ان شرب ذلك مرض مرضا مزمنا
وامتنع عليه شربه طول العمر فما مقتضى العقل في قضاء هذه الشهوه
ايصبر ثلاثة ايام لينعم طول العمر او يقضي شهوته في الحال خوفا
من الم المخالفة ثلاثة ايام حتى يلزمه الم المخالفة ثلثمائة يوم وثلاثة
الاف يوم وجميع عمرك بالاضافة الى الابد الذي هو مدة نعيم اهل
الجنة وعذاب اهل النار اقل من ثلاثة ايام بالاضافة الى جميع العمر
وان طالت مدته وليت شعري الم الصبر عن الشهوات اعظم شدة
واطول مدة او الم النار في دركات جهنم فمن لا يطيق الصبر على الم
المجاهدة كيف يطيق الم عذاب الله وينشد

جسمي على البرد ليس يقوى ولا على ايسر الجدران
فكيف يقوى على جحيم وقودها الناس والجان

فما اراك تتوانين عن النظر لنفسك الا لكفر خفي او لحمق جلي
اما الكفر فهو ضعف ايمانك بيوم الحساب وقلة معرفتك بعظم
قدر الثواب والعقاب واما الحمق الجلي فاعتمادك على كرم الله
تعالى وعفوه من غير التفات الى مكره واستدراجه واستغنائه
عن عبادتك مع انك لا تعتمدين على كرمه في لقمة من الخبز
او حبة من المال او كلمة واحدة تسمعينها من الخلق بل تتوصلين
الى غرضك في ذلك بجميع الحيل وبهذا الجهل تستحقين لقب الحماقة
من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال الكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله
ويحك يا نفس لا ينبغي ان تغرك الحياة الدنيا ولا يغرنك بالله
الغرور فانظري لنفسك فما امرك بمهم لغيرك ولا تضيعي اوقاتك
فالانفاس معدودة فاذا مضى منك نفس فقد ذهب بعضك
واغتنمي الصحة قبل السقم والفراغ قبل الشغل والغنى قبل الفقر
والشباب قبل الهرم والحياة قبل الموت واستعدي للاخرة
على قدر بقائك فيها يا نفس اما تستعدين للشتاء بقدر طول مدته
فتجمعين له القوت والكسوة والحطب وجميع الاسباب ولا تتكلين
في ذلك على فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البرد من غير جبة
ولبد وحطب وغير ذلك فانه قادر على ذلك افتظنين ايتها
النفس ان زمهرير جهنم اخف واقصر مدة من زمهرير الشتاء
ام تظنين ان العبد ينجو منها من غير سعي هيهات كما لا يندفع
برد الشتاء الا بالجبة والنار وساير الاسباب فلا يندفع حر
النار وبردها الا بحصن التوحيد وخندق الطاعات وانما كرم
الله في ان عرفك طريق التحصين ويسر لك اسبابه لا في ان يدفع

العذاب دون حصنه كما ان كرم الله تعالى فى دفع برد الشتاء
ان خلق النار وهداك لطريق استخراجها من بين حديد وحجر
حتى تدفعي به برد الشتاء عن نفسك وكما ان شراء الحطب والجبه
مما يستعين به ويستغنى خالقك ومولاك وانما تشتريه لنفسك
اذ خلقه سببا لاستراحتك فطاعاتك ومجاهداتك ايضا هو
مستغن عنها وانما هي طريقك الى نجاتك فمن احسن فلنفسه ومن
اسا فعليها والله غني عن العالمين ويحك يا نفس انزعي عن
جهلك وقيسي اخرتك بدنياك ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس
واحدة وكما بدانا اول خلق نعيده وكما بداكم تعودون وسنة
الله لن تجد لها تبديلا ولا تحويلا ويحك يا نفس ما اراك الا
الفت الدنيا وانست بها فعسر عليك مفارقتها وانت مقبلة على
مقاربتها وتوكدين في نفسك مودتها فاحسبي انك غافلة عن
عقاب الله وثوابه وعن اهوال القيمه واحوالها فانت مومنة
بالموت المفرق بين محابك وبينك افترين ان من يدخل دار ملك
ليخرج من الجانب الاخر فمد بصره الى وجه مليح يعلم انه يستغرق
ذلك قلبه ثم يضطره لا محالة الى مفارقته اهو معدود من العقلاء
ام من الحمقى اما تعلمين ان الدنيا دار الملك الملوك وما لك فيها الا مجاز

وكل ما فيها لا يصحب المجتازين بها بعد الموت ولذلك قال سيد
البشر ان روح القدس نفث في روعي احبب من احببت فانك
مفارقه واعمل ما شئت فانك مجزي به وعش ما شئت فانك
ميت ويحك يا نفس اما تعلمين ان كل من يلتفت الى ملاذ الدنيا
ويانس بها مع ان الموت من ورايه فانما يستكثر من الحسرة عند
المفارقة وانما تتزود من السم المهلك وهو لا يدري اوما تنظرين
الى الذين مضوا كيف بنوا وعلوا ثم ذهبوا وخلوا كيف اورث الله
ارضهم وديارهم اعداهم اما ترين كيف يجمعون ما لا ياكلون
ويبنون ما لا يسكنون ويؤملون ما لا يدركون يبني كل واحد
قصرا مرفوعا الى جهة السماء ومقره قبر محفور تحت الارض
فهل في الدنيا حمق وانتكاس اعظم من هذا يعمر الواحد دنياه وهو
مرتحل عنها يقينا ويخرب اخرته وهو صاير اليها قطعا اما تستحيين
يا نفس من مساعدة هولاء على حماقتهم واحسبي انك لست ذا
بصيرة تهتدين الى هذه الامور وانما تميلين بالطبع الى التشبه
والاقتداء فقيسي عقل الانبياء والعلماء والحكماء بعقل هولاء
المنكبين على الدنيا واقتدي على الفريقين بمن هو اعقل عندك
ان كنت تعتقدين في نفسك العقل والذكاء يا نفس ما اعجب

امرك واشد جهلك واظهر طغيانك عجبا لك كيف تعمين عن هذه الامور الواضحه الجليه ولعلك يا نفس اسكرك حب الدنيا وادهشك عن فهمه اوما تتفكرين ان الجاه لا معنى له الا ميل القلوب من بعض الناس اليك فاحسبي ان كل من على وجه الارض سجدوا لك واطاعوك افما تعرفين انه بعد خمسين سنه لا تبقى انت ولا احد ممن على وجه الارض ممن عبدك وسجد لك وسياتي زمان لا يبقى ذكرك ولا ذكر من ذكرك كما اتى على الملوك الذين كانوا من قبلك فهل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا فكيف تبيعين يا نفس ما يبقى ابد الاباد بما لا يبقى اكثر من خمسين سنه ان بقي هذا ان كنت ملكا من ملوك الارض سلم لك الشرق والغرب حتى اذا عنت لك الرقاب وانتظمت لك الاسباب كيف ويأبى ادبارك وشقاوتك ان يسلم لك امر محلتك بل امر دارك فضلا من محلتك فان كنت يا نفس لا تتركين الدنيا رغبه في الاخره لجهلك وعمى بصيرتك فما لك لا تتركينها ترفعا عن خسه شركايها وتنزها عن كثره عنايها وتوقيعا عن سرعه فنايها اوما لك لا تزهدين في قليلها بعد ان زهد فيك كثيرها وما لك تفرحين بدنيا ان ساعدتك فلا تخلو

بلدك عن جماعه من اليهود والمجوس يسبقونك بها ويزيدون عليك في نعيمها وزينتها فاف لدنيا تسبقك بها هولاء الاخسا فما اجهلك واخس همتك واسقط رايك اذ رغبت عن ان تكوني في زمره المقربين من الصديقين والنبيين في جوار رب العالمين ابد الاباد لتكوني في صف النعال من جمله الحمقى الجاهلين اياما قلايل فيا حسره عليك اذ خسرت الدنيا والدين فبادري ويحك يا نفس فقد اشرفت على الهلاك واقترب الموت وورد النذير فمن ذا يصلي عنك بعد الموت ومن ذا يصوم عنك بعد الموت ومن ذا يرضي عنك ربك بعد الموت ويحك يا نفس ما لك الا اياما معدوده وهي بضاعتك ان اتجرت فيها ربحت فما بقي وقد ضيعت اكثرها فلو بكيت بقيه عمرك على ما ضيعتيه لكنت مقصره في حق نفسك فكيف اذا ضيعت البقيه واصررت على عادتك اما تعلمين يا نفس ان الموت موعدك والقبر بيتك والتراب فراشك والدود انيسك والفزع الاكبر بين يديك اما علمت ان عسكر الموتى على باب البلد ينتظرونك وقد آلوا كلهم على انفسهم بالايمان المغلظه انهم لا يبرحون من مكانهم ما لم ياخذوك معهم اما تعلمين يا نفس انهم يتمنون الرجعه الى الدنيا يوما ليشتغلوا بتدارك

ما فرط منهم وانت في امنيتهم ويوم من عمرك لو بيع منهم بالدنيا بحذافير
لاشتروه لو قدروا عليه وانت تضيعين ايامك في الغفله والبطاله
ويحك يا نفس اما تستحيين تزينين ظاهرك للخلق وتبارزين الله في السر
بالعظايم افتستحيين من الخلق ولا تستحيين من الخالق ويحك ما
اهون الناظرين عليك اتامرين الناس بالخير وانت متلطخه بالرذايل
تدعين الى البر وانت عنه فاره وتذكرين الله وانت له ناسيه اما تعلمين
يا نفس ان المذنب انتن من العذره وان العذره لا تطهر غيرها فلم
تطمعين في تطييب غيرك وانت غير طيبه في نفسك ويحك يا نفس
لو عرفت نفسك حق المعرفه لظننت ان الناس ما يصيبهم بلا الا
بشومك ويحك يا نفس قد جعلت نفسك حمارا لابليس يقودك
الى حيث يريد ويسخر بك ومع هذا فتعجبين بعملك مع كثره خطاياك
وقد لعن الله ابليس بخطيه واحده بعد ان عبد مايتي الف سنه
واخرج ادم من الجنه بخطيه واحده مع كونه نبيه وصفيه ويحك
يا نفس ما اغدرك ويحك يا نفس ما اوقحك ويحك يا نفس ما اجهلك
وما اجراك على المعاصي ويحك لم تعقدين فتنقضين ويحك لم تعاهدين
فتغدرين ويحك يا نفس انشتغلين مع هذه الخطايا بعمارة دنياك
كانك غير مرتحله عنها اما تنظرين الى اهل القبور كيف كانوا

جمعوا كثيرا وبنوا مشيدا واملوا بعيدا فاصبح جمعهم بورا وبنيانهم
قبورا واملهم غرورا ويحك يا نفس اما لك بهم عبره اما لك
اليهم نظره اتظنين انهم دعوا الى الاخره وانت من المخلدين هيهات
هيهات سا ما تتوهمين ما انت الا في هدم عمرك منذ سقطت من بطن
امك فابني على وجه الارض قصرك فان بطنها عن قليل يكون قبرك
اما تخافين اذا بلغت منك النفس التراقي ان تبدو رسل ربك منحدره
اليك بسواد الالوان وكلح الوجوه وبشرى العذاب فهل ينفعك
حينيذ الندم او يقبل منك الحزن او يرحم منك البكا والعجب
كل العجب منك يا نفس انك مع هذا تدعين البصيره والفطنه ومن
فطنتك انك تفرحين كل يوم بزياده مالك ولا تحزنين بنقصان
عمرك وما ينفع مال يزيد وعمر ينقص ويحك يا نفس تعرضين عن
الاخره وهي مقبله عليك وتقبلين على الدنيا وهي معرضه عنك فكم
من مستقبل يوما لم يستكمله وكم من مومل غدا لم يبلغه وانت تشاهدين
ذلك في اخوانك واقاربك وجيرانك وترين تحسرهم عند الموت
ثم لا ترجعين عن جهالتك فاحذري ايتها النفس المسكينه يوما
آلى الله فيه على نفسه ان لا يترك عبدا امره في الدنيا ونهاه حتى
يساله عن عمله دقيقه وجليله سره وعلانيته فانظري يا نفس

باي بدنٍ تقفين بين يديه وباي لسانٍ تجيبين فاعدي للسؤال
جوابًا وللجواب صوابًا واعلمي ان بقيه عمرك في ايام قصار لايام طوال
وفي دار زوال لدار مقامه وفي دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود
اعملي قبل ان لا تعملي اخرجي من الدنيا احسانا اخروج الاحرار قبل
ان تخرجي منها على الاضطرار ولا تفرحي بما يساعدك من زهرات
الدنيا فرب مسرورٍ مغبون ورب مغبون لا يشعر فويل لمن له الويل
ثم لا يشعر يضحك ويفرح ويلهو ويمرح وياكل ويشرب وقد حق
له في كتاب الله تعالى انه من وقود النار فليكن نظرك يا نفس
الى الدنيا اعتبارًا وسعيك لها اضطرارًا ورفضك لها اختيارًا
وطلبك للاخره ابتدارًا ولا تكوني ممن يعجز عن شكر ما اوتي ويبتغي
الزياده فيما بقي وينهى الناس ولا ينتهي واعلمي يا نفس انه ليس
للدين عوض ولا للايمان بدل ولا للجسد خلف ومن كانت مطيته
الليل والنهار فانه يسار به وان لم يسر فاتعظي يا نفس بهذه
الموعظه واقبلي هذه النصيحه فان من اعرض عن الموعظه فقد رضي
بالنار وما اراك بها راضيه ولا لهذه الموعظه راعيه فان كانت
القساوه تمنعك عن قبول الموعظه فاستعيني عليها بدوام التهجد
والقيام فان لم تزل فبالمواظبة على الصيام فان لم تزل فبقله المخالطه

والكلام فان لم تزل فبصلة الارحام واللطف بالايتام فان لم تزل
فاعلمي ان الله قد طبع على قلبك واقفل عليه وانه قد تراكمت عليه
ظلمة الذنوب على ظاهره وباطنه فوطني نفسك على النار فقد خلق
الله الجنه وخلق لها اهلًا وخلق النار وخلق لها اهلًا وكل ميسر لما
خلق له فان لم يبق فيك مجال للوعظ فاقنطي من نفسك والقنوط
كبيره من الكباير نعوذ بالله من ذلك فلا سبيل لك الى القنوط
ولا سبيل لك الى الرجا مع انسداد طرق الخير فان ذلك اغترار
وليس رجا فانظري الان هل ياخذك حزن على هذه المصيبه التي
ابتليت بها وهل تسمح عينك بدمعه رحمه منك على نفسك فان
سمحت فمستقى الدمع من بحر الرحمه فقد بقي فيك موضع الرجا فواظبي
على النياحه والبكا واستغيثي بارحم الراحمين واشتكي الى اكرم
الاكرمين وادمي الاستغاثه ولا تملي طول الشكايه لعله ان يرحم
ضعفك ويغيثك فان مصيبتك قد عظمت وبليتك قد تفاقمت
وتماديك قد طال وقد انقطعت منك الحيل وزاحت عنك العلل
فلا مذهب ولا مطلب ولا مستغاث ولا مهرب ولا منجا ولا ملجا
الا الى مولاك فافزعي اليه بالتضرع واخشعي في تضرعك على
قدر عظم جهلك وكثره ذنوبك لانه المتذلل المتضرع ويغيث

يرحم

الطالب المتلهف وتجيب دعوة المضطر وقد اصبحت والله مضطر
والي رحمته محتاجه قد ضاقت لك السبل وانسدت عليك الطرق
وانقطعت منك الحيل ولم تنجع فيك العظات ولم يكسرك التوبيخ
والمطلوب منه كريم والمسئول جواد والمستغاث به روف والرحمه
واسعه والكرم فايض والعفو شامل وقولي يا ارحم الراحمين يا رحمن
يا رحيم يا حليم يا عظيم يا كريم انا المذنب المصر انا الجري الذي لا
اقلع انا المتمادي الذي لا يستحيي هذا مقام المتضرع المسكين
والبايس الفقير والضعيف الحقير والهالك الغريق فعجل اغاثتي
وفرجي وارني اثار رحمتك واذقني برد عفوك ومغفرتك
وارزقني قوة عصمتك يا ارحم الراحمين اقتدا بابيك ادم عليه السلام
فقد قال وهب بن منبه لما اهبط الله عز وجل ادم الي الارض
من الجنه مكث لا يرقا له دمعه فاطلع الله عليه في اليوم السابع
وهو محزون كظيم منكس راسه فاوحي الله اليه يا ادم ما هذا الجهد
الذي اري بك قال يا رب عظمت مصيبتي واحاطت بي خطيئتي
واخرجت من ملكوت ربي فصرت في دار الهوان بعد الكرامه وفي
دار الشقا بعد السعاده وفي دار النصب بعد الراحه وفي دار
السلامه بعد العافيه وفي دار الزوال بعد القرار وفي دار الموت والفنا

بعد الخلود والبقا فكيف لا ابكي علي خطيتي فاوحي الله تعالى اليه
يا ادم الم اصطفيك لنفسي واحللتك داري وخصصتك بكرامتي
وحذرتك سخطي الم اخلقك بيدي ونفخت فيك من روحي واسجدت
لك ملايكتي فعصيت امري ونسيت عهدي ونقضت عقدي وتعرضت
لسخطي فوعزتي لو ملات الارض رجالا كلهم مثلك يعبدوني ويسبحوني
ثم عصوني لانزلتهم منازل العاصين فبكي ادم عند ذلك ثلثمايه
عام ٭ وكان عبد الله البجلي كثير البكا يقول في بكايه طول الليل
الاهي انا الذي كلما طال عمري زادت ذنوبي انا الذي كلما
هممت بترك خطيه عرضت لي شهوه اخري واعبيداه خطيه لم
تبل وصاحبها في طلب اخري واعبيداه ان كانت لك النار مقيلا
وماوي واعبيداه ان كانت المقامع لراسك نصبا واعبيداه قضيت
حاجه الطالبين ولعل حاجتك لا تقضي ٭ وقال منصور بن عمار سمعت
في بعض الليالي بالكوفه عابدا يناجي ربه وهو يقول يا رب ما اردت
بمعصيتك مخالفتك ولا عصيتك اذ عصيتك وانا بمكانك
جاهل ولا لعقوبتك متعرض ولا لنظرك مستخف ولكن
سولت لي نفسي واعانني علي ذلك شقوتي وغرني سترك المرخي
علي فعصيتك بجهلي وخالفتك بفعلي فمن عذابك الان من يستنقذني

او نجعل من اعتصم ان قطعت حبلك عني واسوا تاه من الوقوف
بين يديك غدا اذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا امع المخفين
اجوز ام مع المثقلين احط ويلي كلما كبرت سني كثرت ذنوبي ويلي
كلما طال عمري كثرت معاصي فالى متى اتوب والى متى اعود اما آن
لي ان استحيي من ربي فهذه طرق القوم في مناجاتهم مولاهم وفي
معاتبتهم نفوسهم وانما مطلبهم وغرضهم من المناجاة الاسترضا
ومقصدهم من المعاتبه التنبيه والاسترعا فمن اهمل المعاتبه والمناجاه
لم يكن لنفسه مراعيا ويوشك ان لا يكون الله تعالى عنه راضيا والسلام

تم كتاب المراقبه والمحاسبه ويليه كتاب
التفكر ان شا الله تعالى

كتاب التفكر وهو الكتاب التاسع
من ربع المنجيات من احيا علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي لم يقدر لانتهاء
عزته نحوا ولا قدرا، ولم يجعل لمرقي اقدام الاوهام ومرمى سهام الافهام
الى عظمته مجرى بل ترك قلوب الطالبين في ابتداء كبريايه والهة
حيرى كلما اهتزت لنيل مطلوبها ردتها سبحات الجلال قسرا، واذا
همت بالانصراف آيسه نوديت من سرادقات الجمال صبرا صبرا ،

ثم قيل لها اجيلي في ذل العبوديه منك فكرا، لانك لو تفكرت في
جلال الربوبيه لم تقدري له قدرا، وان طلبت ما وراء التفكر
في صفاتك امرا، فانظري في نعم الله واياديه كيف توالت
عليك تترا، وجددي لكل نعمه منها ذكرا وشكرا، وتاملي في
بحار المقادير كيف فاضت على العالمين خيرا وشرا ونفعا وضرا
وعسرا ويسرا وفوزا وخسرانا وجبرا وكسرا وطيا ونشرا
وايمانا وكفرا وعرفانا ونكرا، وان جاوز النظر في الصفات
الى النظر في الذات فقد حاولت امرا امرا، وخاطرت بنفسك
مجاوزا حد طاقة البشريه ظلما وجورا، فقد انبهرت العقول
دون مبادي اشراقه وانتكصت على اعقابها اضطرارا وقهرا ،
والصلاه على محمد سيد ولد ادم وان كان لم يعد في سيادته فخرا ،
صلاة تبقى لنا في عرصات القيمه عدة وذخرا، وعلى آله واصحابه
الذين اصبح كل واحد منهم في سماء الدين بدرا، ولطوايف المسلمين
صدرا وسلم كثيرا **اما بعد** فقد وردت السنه بان
تفكر ساعه خير من عبادة سنه، وكثر الحث في كتاب الله
عز وجل على التدبر والاعتبار، والنظر والافتكار، ولا
يخفى ان الفكر هو مفتاح الانوار، ومبدا الاستبصار، وهو

شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم واكثر الناس
قد عرفوا فضله ورتبته ولكن جهلوا حقيقته ومعرفته
ومصدره ومورده ومجراه ومسرحه وطريقته وكيفيته
ولم يعلم انه كيف يتفكر وفيما ذا يتفكر ولماذا يتفكر وما
الذي يطلب به اهو مراد لعينه او لثمرة تستفاد منه وان
كان لثمرة فما تلك الثمرة اهي من العلوم او من الاحوال
او منهما جميعا وكشف جميع ذلك مهم ونحن نذكر اولا
فضيلة التفكر ثم حقيقة التفكر ثم مجاري التفكر
ومسارحه ان شاء الله تعالى ۞ **فضيلة التفكر** ۞
قد امر الله تعالى بالتفكر والتدبر في كتابه العزيز في مواضع
لا تحصى واثنى على المتفكرين فقال الذين يتفكرون في
خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقد قال
ابن عباس ان قوما تفكروا في الله عز وجل فقال عليه السلام
تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله فانكم لا تقدرون
قدره ۔ وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج على قوم ذات
يوم وهم يتفكرون فقال ما لكم لا تتكلمون قالوا نتفكر في
خلق الله قال فكذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تتفكروا

فيه فان بهذا المغرب ارضا بيضا نورها بياضها او بياضها
نورها مسيرة الشمس اربعين يوما بها خلق من خلق الله لم
يعصوا الله طرفة عين قالوا يا رسول الله فاين الشيطان عنهم
قال ما يدرون خلق الشيطان ام لا قالوا من ولد ادم قال
لا يدرون خلق ادم ام لا ۔ وعن عطاء قال انطلقت انا وعبيد
ابن عمير الى عائشة رضي الله عنها وبيننا وبينها حجاب فقالت
يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا قال قول النبي صلى الله عليه وسلم
زر غبا تزدد حبا قال ابن عمير فاعجب شيء رايتيه من رسول
خبرنا با
الله صلى الله عليه وسلم قال فبكت وقالت كل امره كان
عجبا اتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي ثم قال ذريني اتعبد
لربي فقام الى القربة وتوضا منها ثم قام وصلى وبكى حتى بل لحيته
ثم سجد حتى بل الارض ثم اضطجع على جنبه حتى اتى بلال يوذنه
بصلاة الصبح فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله
لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال ويحك يا بلال وما
يمنعني ان ابكي وقد انزل الله تعالى علي في هذه الليلة ان في
خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي
الالباب ثم قال ويل لمن قراها ولم يتدبر فيها ۔ فقيل للاوزاعي

ما غاية التفكر فيهن قال تقرؤهن وتعقلهن ، وعن محمد بن
واسع ان رجلا من اهل البصرة ركب الى ام ذر بعد موت
ابي ذر فسالها عن عبادة ابي ذر فقالت كان نهاره اجمع في
ناحية البيت متفكرا ، وعن الحسن قال تفكر ساعة خير من
قيام ليلة ، وعن الفضيل قال الفكرة مراة تريك حسناتك
وسياتك ، وقيل لابرهيم انك تطيل الفكرة فقال الفكرة
مخ العقل ، وكان سفين الثوري كثيرا ما يتمثل ويقول

، اذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة ،

وعن طاوس قال قال الحواريون لعيسى بن مريم يا روح الله
هل على الارض اليوم مثلك قال نعم من كان منطقه ذكرا
وصمته فكرا ونظره عبرة فانه مثلي ، وقال الحسن من
لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا
فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو ، وفي قوله
عز وجل ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق
قال امنع قلوبهم من التفكر في امري ، وعن ابي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطوا اعينكم حظها
من العبادة قالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة قال

النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجايبه ، وعن
امراة كانت تسكن البادية قريبا من مكة انها قالت لو
تطالعت قلوب المتقين بفكرها الى ما قد ذخر في حجب
الغيوب من خير الاخرة لم يصف لهم في الدنيا عيش ولم يقر
لهم في الدنيا عين ، وكان لقمن يطيل الجلوس وحده وكان
يمر به مولاه فيقول يا لقمن انك تديم الجلوس وحدك فلو
جلست مع الناس كان انس لك فيقول لقمن ان طول الوحدة
افهم للفكرة وطول الفكرة دليل على طريق الجنة ، وقال
وهب بن منبه ما طالت فكرة امرء قط الا علم ولا علم قط الا
عمل ، وقال عمر بن عبد العزيز الفكرة في نعم الله تعالى من
افضل العبادة ، وقال عبد الله بن المبارك يوما لسهل بن
علي وراه ساكتا متفكرا اين بلغت قال الصراط ، وقال
بشر لو تفكر الناس في حلمه الله تعالى ما عصوا الله تعالى ،
وعن ابن عباس ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام
ليلة بلا قلب ، وبينا ابن شريح يمشي اذ جلس فتقنع بكسايه
فجعل يبكي فقلنا ما يبكيك قال تفكرت في ذهاب عمري
وقلة عملي واقتراب اجلي ، وقال ابو سليمان عودوا اعينكم

البكاء وقلوبكم التفكر، وقال الفكر في الدنيا حجاب عن
الآخرة وعقوبة لأهل الولاية والفكر في الآخرة يورث الحكمة
ويحيي القلوب، وقال حاتم من العبرة يزيد العلم ومن الذكر
يزيد الحب ومن التفكر يزيد الخوف، وقال ابن عباس التفكر
في الخير يدعوا الى العمل به والندم على الشر يدعوا الى تركه،
ويروى ان الله تعالى قال في بعض كتبه اني لست اقبل كلام
كل حكيم ولكن انظر الى همه وهواه فاذا كان همه وهواه
لي جعلت صمته فكرا وكلامه حمدا وان لم يتكلم، وقال
الحسن ان اهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر
وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة،
وقال اسحق بن خلف كان داود الطائي على سطح في ليلة قمراء
فتفكر في ملكوت السموات والارض وهو ينظر الى السماء
ويبكي حتى وقع في دار جار له قال فوثب صاحب الدار
من فراشه عريانا وبيده سيف وظن انه لص فلما نظر
الى داود رجع ووضع السيف وقال من الذي طرحك من
السطح قال ما شعرت بذلك، وقال الجنيد اشرف المجالس الشغف
واعلاها الجلوس مع الفكر في ميدان التوحيد والتنسم بنسيم

المعرفة والشرب بكاس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن
الظن بالله ثم قال يا لها من مجالس ما اجلها ومن شراب ما
الذه طوبى لمن رزقه، وقال الشافعي استعينوا على الكلام
بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر، وقال ايضا صحة النظر
في الامور نجاة من الغرور، والعزم في الراي سلامة من التفريط
والندم والروية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة،
ومشاورة الحكما ثبات في اليقين وقوة في البصيرة، ففكر
قبل ان تعزم، وتدبر قبل ان تهجم وشاور قبل ان تقدم، وقال
ايضا الفضايل اربع احداها الحكمة وقوامها الفكر، والثانية
العفة وقوامها في الشهوة، والثالثة القوة وقوامها في الغضب
والرابعة العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس فهذه اقاويل
العلماء في الفكر وما شرع احد منهم في ذكر حقيقته وبيان
مجاريه

بيان حقيقة الفكر وثمرته

اعلم ان معنى الفكر هو احضار معرفتين في القلب ليستثمر
منهما معرفة ثالثة، ومثاله ان من مال الى العاجلة وآثر الحياة
الدنيا واراد ان يعرف ان الآخرة اولى بالايثار فله طريقان
احدهما ان يسمع من غيره ان الآخرة اولى بالايثار فيقلده

ويصدقه من غير تبصير بحقيقة الأمر فيميل بعمله إلى
ايثار الاخرة اعتمادا على مجرد قوله، وهذا يسمى تقليدا ولا
يسمى معرفة، والطريق الثاني ان يعرف ان الابقى اولى بالايثار
ثم يعرف ان الاخرة ابقى فيحصل له من هاتين المعرفتين
معرفة ثالثة وهو ان الاخرة اولى بالايثار ولا يمكن تحقق
المعرفة بان الاخرة اولى بالايثار الا بالمعرفتين السابقتين
واحضار المعرفتين السابقتين في القلب للتوصل به الى المعرفة
الثالثة يسمى تفكرا واعتبارا وتذكرا وتأملا وتدبرا
اما التدبر والتأمل والتفكر فعبارات مترادفة على معنى
واحد ليس تحتها معان مختلفة، واما اسم التفكر والاعتبار
والنظر فهي مختلفة المعاني وان كان اصل المسمى واحدا
كما ان اسم الصارم والمهند والسيف يتوارد على شي واحد
ولكن باعتبارات مختلفة فالصارم يدل على السيف من حيث
هو قاطع والمهند يدل عليه من حيث نسبته الى موضعه
والسيف يدل دلالة مطلقة من غير اشعار بهذه الزوائد
فكذلك الاعتبار ينطلق على احضار المعرفتين من حيث انه
يعبر منهما الى معرفة ثالثة فان لم يقع العبور لم يكن الا

الوقوف على المعرفتين فينطلق عليه اسم التذكر لا اسم
الاعتبار، واما النظر والتفكر فيقع عليه من حيث ان فيه
طلب معرفة ثالثة فمن ليس يطلب المعرفة الثالثة لا يسمى
ناظرا فكل متفكر فهو متذكر وليس كل متذكر متفكرا
وفائدة التذكار تكرار المعارف على القلب لترسخ وتثبت
ولا تنمحي عن القلب وفائدة التفكر تكثير العلم واستجلاب
معرفة ليست حاصلة فهذا هو الفرق بين التذكر والتفكر
فالمعارف اذا اجتمعت في القلب وازدوجت على ترتيب مخصوص
اثمرت معرفة اخرى فالمعرفة نتاج المعرفة فاذا حصلت معرفة
اخرى وازدوجت مع معرفة اخرى حصل من ذلك نتاج
آخر وهكذا يتمادى النتاج وتتمادى العلوم بتمادي الفكر
الى غير نهاية وانما ينسد طريق زيادة المعارف بالموت او
العوائق هذا لمن يقدر على استثمار العلوم ويهتدي الى
طريق التفكر فاما اكثر الناس فانما منعوا الزيادة في
العلوم لفقدهم راس المال وهو المعارف التي تستثمر
منها العلوم كالذي لا بضاعة له فانه لا يقدر على الربح
وقد يملك البضاعة ولكن لا يحسن صناعة التجارة فلا يربح

شيئا وكذلك قد يكون معه من المعارف ما هو راس مال
العلوم ولكنه ليس يحسن استعمالها وتاليفها وايقاع الازدواج
المفضي الى النتاج منها ومعرفة طريق الاستعمال والاستثمار
تارة يكون بنور الهي في القلب يحصل بالفطرة كما كان للانبياء
عليهم السلام وذلك عزيز جدا وقد يكون بالتعلم والممارسة
وهو الاكثر ثم المتفكر قد يحضره هذه المعارف ويحصل له
الثمرة وهو لا يشعر بكيفية حصولها ولا يقدر على التعبير عنها
لقلة ممارسته لصناعة التعبير والايراد فكم من انسان يعلم
ان الاخرة اولى بالايثار علما حقيقيا ولو سئل عن سبب معرفته
لم يقدر على ايراده والتعبير عنه مع انه لم يحصل معرفته الا
عن المعرفتين السابقتين وهو ان الابقى اولى بالايثار وان
الاخرة ابقى من الدنيا فيحصل له معرفة ثالثة وهو ان الاخرة
اولى بالايثار فرجع حاصل الفكر الى احضار معرفتين ليتوصل
بهما الى معرفة ثالثة ٥ وامّا ثمرة الفكرة فهي العلوم
والاحوال والاعمال ولكن ثمرته الخاصة العلم لا غير
نعم اذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب واذا تغير حال
القلب تغيرت اعمال الجوارح فالعمل تابع الحال والحال تابع العلم

والعلم تابع الفكر وانه خير من الذكر والتذكر لان في الفكر
ذكرا وزيادة وذكر القلب خير من عمل الجوارح بل شرف العمل
لما فيه من الذكر فاذن التفكر من جملة الاعمال فلذلك قيل
تفكر ساعة خير من عبادة سنة فقيل هو الذي ينقل من المكاره
الى المحاب ومن الرغبة والحرص الى الزهد والقناعة وقيل هو
الذي يحدث مشاهدة وتقوى ولذلك قال تعالى لعلهم
يتقون او يحدث لهم ذكرا وان اردت ان تفهم كيف تغير الحال
بالفكر فمثاله ما ذكرناه من امر الاخرة فان الفكر فيه يعرفنا
ان الاخرة اولى بالايثار فاذا رسخت هذه المعرفة يقينا في قلوبنا
تغيرت القلوب الى الرغبة في الاخرة والزهد في الدنيا وهذا
ما عنيناه بالحال اذ كان القلب قبل هذه المعرفة حب العاجلة
والميل فيها والنفرة عن الاخرة وقلة الرغبة فيها وهذه المعرفة
تغير حال القلب وتبدلت ارادته وقلبه ورغبته ثم اثمر
تغير الارادة اعمال الجوارح في اطراح الدنيا والاقبال على اعمال
الاخرة فهاهنا خمس درجات اولها التذكر وهو احضار
المعرفتين في القلب وثانيها التفكر وهو طلب المعرفة المقصودة
منها والثالثة حصول المعرفة المطلوبة واستنارة القلب بها والرابعة

تغير احوال القلب عما كان بسبب حصول نور المعرفة والخامسة خدمة الجوارح للقلب بسبب ما تجدد له من الحال فكما يضرب بالحجر على الحديد فيخرج منه نار يستضيء بها الموضع فتصير العين مبصرة بعد ان لم تبصر وتنتهض الاعضا للعمل فكذلك زناد نور المعرفة هو الفكر فيجمع بين المعرفتين كما يجمع بين الحجر والحديد ويؤلف بينهما تاليفا مخصوصا كما يضرب الحجر على الحديد ضربا مخصوصا فينبعث نور المعرفة كما تنبعث النار من الحديد ويتغير القلب بسبب هذا النور حتى يميل الى ما لم يكن يميل اليه كما يتغير البصر بنور النار فيرى ما لم يره ثم تنتهض الاعضاء للعمل بمقتضى حال القلب كما ينتهض العاجز عن العمل بسبب الظلمة عند ادراك البصر ما لم يكن يبصره فاذن ثمرة الفكر العلوم والاحوال والعلوم لا نهاية لها والاحوال التي تتصور ان تتقلب على القلب لا يمكن حصرها ولهذا لو اراد مريد ان يحصر فنون الفكر ومجاريه وانه فيما ذا يتفكر لم يقدر عليه لان مجاري الفكر غير محصورة وثمراته غير متناهية نعم نحن نجتهد في ضبط مجاريه بالاضافة الى مهمات العلوم الدينية وبالاضافة الى الاحوال التي هي مقامات السالكين ويكون ذلك ضبطا جمليا

فان تفصيل ذلك يستدعي شرح العلوم كلها وجملة هذه الكتب كالشرح لبعضها فانها مشتملة على علوم تستفاد من افكار مخصوصة فلنشر الى ضبط المجامع فيها فيه يحصل الوقوف على مجاري الفكر

بيان مجاري الفكر اعلم ان الفكر قد يجري في امر يتعلق بالدين وقد يجري فيما يتعلق بغير الدين وانما غرضنا ما يتعلق بالدين فلنترك القسم الآخر ونعني بالدين المعاملة التي بين العبد وبين الرب تعالى فجميع افكار العباد اما ان تتعلق بالعبد وصفاته واحواله واما ان تتعلق بالمعبود وصفاته وافعاله لا يخلو عن هذين القسمين وما يتعلق بالعبد اما ان يكون نظرا فيما هو محبوب عند الرب تعالى او فيما هو مكروه ولا حاجة الى الفكر في غير هذين القسمين اما ما يتعلق بالرب اما ان يكون نظرا في ذاته وصفاته واسمائه الحسنى واما ان يكون نظرا في افعاله وملكه وملكوته وجميع ما في السموات والارض وما بينهما وينكشف لك انحصار الفكر في هذه الاقسام بمثال وهو ان حال السائرين الى الله تعالى المشتاقين الى لقائه يضاهي حال العشاق فلنتخذ العاشق المستهتر مثالنا فنقول العاشق

المستغرق الهم بعشقه لا يعدو فكره من ان يتعلق بمعشوقه او
يتعلق بنفسه فان تفكر في معشوقه فاما ان يتفكر في جماله وحسن
صورته في ذاته ليتنعم بالفكر فيه وبمشاهدته واما ان يتفكر
في افعاله اللطيفة الحسنة الدالة على اخلاقه وصفاته لتكون
ذلك مضعفا للذته ومقويا لمحبته وان تفكر في نفسه فيكون
فكره في صفاته التي تسقطه من عين محبوبه حتى يتنزه عنها او
في الصفات التي تقربه منه وتحببه اليه حتى يتصف بها فان
تفكر في شيء خارج عن هذه الاقسام فذلك خارج عن حد العشق
وهو نقصان فيه لان العشق التام الكامل ما يستغرق العاشق ٥
ويستوفي القلب حتى لا يبقى فيه متسعا لغيره فمحب الله ينبغي ان
يكون كذلك فلا يعدو نظره وتفكره محبوبه ومهما كان تفكره
محصورا في هذه الاقسام الاربعة لم يكن خارجا عن مقتضى المحبة
اصلا فلنبدا بالقسم الاول وهو تفكره في صفات نفسه وافعال
نفسه لنميز المحبوب منها عن المكروه فان هذا الفكر هو الذي يتعلق
بعلم المعاملة الذي هو مقصود هذا الكتاب واما القسم الاخر
فيتعلق بعلم المكاشفة ثم كل واحد مما هو مكروه عند الله او محبوب
ينقسم الى ظاهر كالطاعات والمعاصي والى باطن كالصفات المنجيات

والمهلكات التي محلها القلب وذكرنا تفصيلها في ربع المهلكات
والمنجيات والطاعات والمعاصي تنقسم الى ما يتعلق بالاعضاء السبعة
والى ما ينسب الى جميع البدن كالفرار عن الزحف وعقوق الوالدين
والسكون في المسكن الحرام ويجب في كل واحد من المكاره التفكر
في ثلاثة امور الاول التفكر في انه هل هو مكروه عند الله ام لا فرب
شيء لا يظهر كونه مكروها بل يدرك بدقيق النظر والثاني التفكر
في انه ان كان مكروها فما طريق الاحتراز منه والثالث ان هذا
المكروه هل هو متصف به في الحال فيتركه او متعرض له في الاستقبال
فيحترز عنه او قارفه فيما مضى من الاحوال فيحتاج الى تداركه
وكذلك واحد من هذه المحبوبات ينقسم الى هذه الانقسامات
فاذا جمعت هذه الاقسام زادت مجاري الفكر في هذه الاقسام
على مائة والعبد مدفوع الى التفكر اما في جميعها او في اكثرها وشرح
احاد هذه الاقسام يطول ولكن انحصر هذا القسم اعني علم المعاملة
في اربعة انواع المعاصي والطاعات والصفات المهلكات والصفات
المنجيات فلنذكر في كل نوع مثالا ليقيس به المريد سائرها
وينفتح له باب الفكر ويتسع عليه طريقه ٥ النوع الاول
المعاصي ينبغي ان يفتش العبد صبيحة كل يوم جميع اعضائه السبعة

تفصيلاً ثم بدنه على الجملة هل هو في الحال لمعصية يشتهي بها
فيتركها او لا يشتهيها بالامس فيتداركها بالترك والندم او متعرض
لها في غد فيستعد للاحتراز والتباعد عنها فينظر في اللسان
ويقول انه متعرض للغيبة والكذب وتزكية النفس والاستهزاء
بالغير والمماراة والممازحة والخوض فيما لا يعني الى غير ذلك من
المكاره فيقرر اولاً في نفسه انها مكروهة عند الله تعالى ويتفكر
في شواهد القران والسنة على شدة العذاب فيها ثم يتفكر في احواله
انه كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر ثم يتفكر انه كيف يحترز منها
ويعلم انه لا يتم ذلك الا بالعزلة والانفراد وبان لا يجالس الا
صالحاً تقياً ينكر عليه مهما تكلم بما يكرهه الله والا فيضع حجراً
في فيه اذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكراً فهكذا تكون
الحيلة في كيفية الاحتراز ويتفكر في سمعه انه يصغي به
الى الغيبة والكذب وفضول الكلام والى اللهو والبدعة وان
ذلك انما يسمعه من زيد ومن عمرو وانه كيف ينبغي ان يحترز عنهم
بالاعتزال او بالنهي عن المنكر مهما سمع ذلك ٥ ويتفكر في بطنه
انه انما يعصي الله فيه بالاكل والشرب اما بكثرة الاكل من الحلال
فان ذلك مكروه عند الله ومقوي للشهوة التي هي سلاح الشيطان

عدو الله او باكل الحرام والشبهة فينظر من اين مطعمه ومشربه
وملبسه ومسكنه ويتفكر في طرق الحلال ومداخله ثم يتفكر
في وجوه الحيلة في الاكتساب منه والاحتراز من الحرام ويقرر
على نفسه ان العبادات كلها ضايعة مع اكل الحرام فان اكل الحلال
هو اساس العبادات كلها وان الله تعالى لا يقبل
صلاة عبد في ثمن ثوبه درهم حرام كما ورد الخبر به وهكذا
يتفكر في اعضايه وفي هذا المقدار كفاية عن الاستقصاء فمهما
حصل بالفكر حقيقة المعرفة بهذه الاحوال اشتغل بالمراقبة
طول النهار حتى يحفظ الاعضاء عنها ٥ واما النوع الثاني
وهو الطاعات فينظر اولاً في الفرايض المكتوبة عليه
انه كيف يوديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير او كيف
يجبر نقصانها بكثرة النوافل ثم يرجع الى عضو عضو فيتفكر في
الافعال الصادرة عنه التي تتعلق بها مما يحبه الله تعالى فيقول
مثلاً العين خلقت للنظر في ملكوت السموات والارض عبرة
ولتستعمل في طاعة الله وتنظر في كتاب الله وسنة رسوله
وانا قادر على ان اشغل العين بمطالعة القران والسنة فلم لا
افعله وانا قادر على ان انظر الى فلان المطيع بعين التعظيم فادخل

السرور في قلبه وانظر الى فلان الفاسق بعين الازدراء فازجره
عن ذلك بمعصيته فلم لا افعله وكذلك يقول في سمعه اني
قادر على استماع كلام ملهوف او استماع حكمة وعلم او استماع ذكر
فلما ذا اعطله وقد انعم الله تعالى به واودعنيه لاشكره فما
لي اكفر نعمة الله فيه بتضييعه وتعطيله وكذلك يتفكر في
اللسان ويقول اني قادر على ان اتقرب الى الله تعالى بالتعليم
والوعظ وبالتودد الى قلوب اهل الصلاح وبالسؤال عن
احوال الفقراء وادخال السرور على قلب زيد الصالح وعمرو العالم
بكلمة طيبة وكل كلمة طيبة فانها صدقة وكذلك يتفكر في ماله
ويقول انا قادر على ان اتصدق بالمال الفلاني فاني مستغن عنه
ومهما احتجت اليه رزقني الله تعالى مثله وان كنت محتاجا الان
فانا الى ثواب الايثار احوج مني الى ذلك المال وهكذا يفتش
عن اعضائه وجملة بدنه وامواله بل عن دوابه وغلمانه واولاده
فان كل ذلك ادواته واسبابه ويقدر على ان يطيع الله بها
فيستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة بها ويتفكر
فيما يرغبه في البدار الى تلك الطاعات ويتفكر في اخلاص
النية فيها ويطلب لها مامضى من الاستحقاق حتى يزكو بها

عمله وقس على هذا سائر الطاعات ه **واما النوع الثالث**
فهو الصفات المهلكة التي محلها القلب فتعرفها فيما ذكرناه مع
ربع المهلكات وهو استيلاء الشهوة والغضب والبخل والكبر
والعجب والريا والحسد وسوء الظن والغفلة والغرور وغير ذلك
ويتفقد من قلبه هذه الصفات فان ظن ان قلبه منزه عنها فيتفكر
في كيفية امتحانه والاستشهاد بالعلامات عليها فان النفس ابدا
تعد بالخير من نفسها ثم تخلف فاذا ادعت التواضع والبراءة من
الكبر فينبغي ان تجرب بحمل حزمة حطب في السوق كما كان الاولون
يجربون به انفسهم واذا ادعت الحلم تعرض لغضب يناله من
غيره ثم تجربها في كظم الغيظ وكذلك في سائر الصفات وهذا
تفكر في انه هل هو موصوف بالصفة المكروهة ام لا وكذلك
علامات ذكرناها في ربع المهلكات فاذا دلت العلامة على وجودها
فكر في الاسباب التي تقبح تلك الصفات عنده وتبين ان
منشاها من الجهل والغفلة وخبث الدخلة كما لو راى في نفسه
عجبا بالعمل فيتفكر ويقول انما عملي ببدني وجارحتي وبقدرتي
وبارادتي وكل ذلك ليس مني ولا الي وانما هو من خلق الله وفضله
علي فهو الذي خلقني وخلق جارحتي وخلق قدرتي وارادتي

وهو الذي حرك اعضاي بقدرته وقدرني واراد في فكيف
اعجب بعملي او بنفسي ولا قوام لنفسي بنفسي فاذا احس في نفسه
بالكبر قرر على نفسه ما فيه من الحماقة ويقول لها لم ترين نفسك
الكبر والكبير من هو كبير عند الله عز وجل وذلك ينكشف بعد
الموت وكم من كافر في الحال يموت متقربا الى الله عز وجل بنزوعه
عن الكفر وكم من مسلم يموت شقيا بتغير حاله عند الموت لسوء
الخاتمة فاذا عرف ان الكبر مهلك وان اصله الحماقة يتفكر
في ازالة ذلك بان يتعاطى افعال المتواضعين واذا وجد في نفسه
شهوة الطعام وشرهه تفكر في ان هذه صفة البهايم ولو كان في
شهوة الطعام والوقاع كمال لكان ذلك من صفات الله وصفات
الملايكة كالعلم والقدرة ولما اتصف به البهايم ومهما كان الشره
عليه اغلب كان بالبهايم اشبه وعن الملايكة المقربين ابعد وكذلك
يقرر على نفسه في الغضب ثم يتفكر في طريق العلاج وكل ذلك
ذكرناه في هذه الكتب فمن يريد ان يتسع له طريق الفكر فلا بد
من تحصيل ما هذه الكتب ٥ اما النوع الرابع وهو المنجيات
فهو التوبة والندم على الذنوب والصبر على البلاء والشكر على
النعماء والخوف والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص والصدق

اكبر

الطاعات

في الطاعات ومحبة الله وتعظيمه والرضى بافعاله والشوق اليه والخشوع
له والتواضع له وكل ذلك ذكرناه في هذا الربع وذكرنا اسبابه
وعلاماته فليتفكر العبد كل يوم في قلبه ما الذي يعوزه من هذه
الصفات التي هي المقربة الى الله تعالى فاذا افتقر الى شيء منها فليعلم
انها احوال لا يثمرها الا علوم وان العلوم لا يثمرها الا افكار فاذا
اراد ان يكتسب لنفسه حال التوبة والندم فليفتش ذنوبه اولا
وليتفكر فيها وليجمعها على نفسه وليعظمها في قلبه ثم لينظر في
الوعيد والتشديد الذي ورد في الشرع فيها وليتحقق عند نفسه
انه متعرض لمقت الله به حتى ينبعث له حال الندم واذا اراد
ان يستثير من قلبه حال الشكر فلينظر في احسان الله تعالى
اليه واياديه عليه وفي ارساله جميل ستره عليه على ما شرحنا
بعضه في كتاب الشكر واذا اراد حال المحبة والشوق فلينظر
في جلال الله وجماله وعظمته وكبريايه وذلك بالنظر في
عجايب حكمته كما سنشير الى طرف منه في القسم الثاني من
الفكر واذا اراد الخوف فلينظر اولا في ذنوبه الظاهرة والباطنة
ثم لينظر في الموت وسكراته وفيما بعده من سوال منكر ونكير
وعذاب القبر وحياته وعقاربه وديدانه ثم في هول النداء

عند نفخة الصور ثم في هول المحشر عند جمع الخلايق على صعيد
واحد ثم في المناقشه والحساب والمضايقه في النقير والقطمير
ثم في الصراط ودقته وحدته ثم في خطر الامر عنده انه يصرف
الي الشمال فيكون من اصحاب النار او يصرف الي اليمين فينزل
في دار القرار ثم ليحضر في قلبه بعد احوال القيمه صورة جهنم
ودركاتها ومقامعها واهوالها واغلالها وزقومها وصديدها
وانواع العذاب فيها وقبح صورة الزبانيه الموكلين بها وانه
كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها وانهم كلما ارادوا
ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وانهم اذا راوها من مكان بعيد
سمعوا لها تغيظا وزفيرا وهلم جرا الي جميع ما ورد في القران
من شرحها، واذا اراد ان يستجلب حال الرجا فلينظر الي
الجنه ونعيمها واشجارها وانهارها وحورها وولدانها ونعيمها
المقيم وملكها الدايم فهذا طريق الفكر الذي يطلب بها العلوم
التي تثمر اجتلاب احوال محبوبه والتنزه عن صفات مذمومه
وقد ذكرنا في كل واحد من هذه الاحوال كتابا مفردا يستعان
به على تفصيل الفصل اما نذكر مجامعه فلا يوجد فيه انفع من
قراة القران بالتفكر فانه جامع لجميع المقامات والاحوال

وفيه شفا للعالمين وفيه ما يورث الخوف والرجا والصبر والشكر
والمحبه والشوق وساير الاحوال وفيه ما يزجر عن ساير الصفات
المذمومه فينبغي ان يقراه العبد ويردد الايه التي هو يحتاج
الى التفكر فيها مرة بعد اخري ولو مايه مرة فقراة ايه بتفكر
وفهم خير من ختمه بغير تدبر وفهم وليتوقف في التامل فيها
ولو ليله واحده فان تحت كل كلمه منها اسرارا لا تنحصر ولا
يوقف عليها الا بدقيق الفكر على صفا القلب بعد صدق المعامله
وكذلك مطالعة اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قد
اوتي جوامع الكلم وكل كلمه من كلماته بحر من بحور الحكمه
لو تاملها العالم حق التامل لم ينقطع فيها نظره طول عمره وشرح
احاد الحديث والايات والاخبار يطول فانظر الي قوله
صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي احبب من
احببت فانك مفارقه وعش ما شيت فانك ميت واعمل ما شيت
فانك مجزي به فان هذه الكلمات جامعه حكم الاولين وهي
كافيه للمتاملين فيها طول العمر اذ لو وقفوا على معانيها وغلبت
على قلوبهم غلبة يقين لاستغرقتهم ولحال ذلك بينهم وبين
التلفت الي الدنيا بالكليه فهذا هو طريق الفكر في علوم

المعامله وصفات العبد من حيث هي محبوبه عند الله او
مكروهه والمبتدي ينبغي ان يكون مستغرق الوقت في
هذه الافكار حتى يعمر عليه بالاخلاق المحموده والمقامات
الشريفه وينزه باطنه وظاهره عن المكاره واعلم ان هذا مع
انه افضل من سائر العبادات فليس هو غاية المطلب بل
المشغول به محجوب عن مطلب الصديقين وهو التنعم بالفكر
في جلال الله وجماله واستغراق القلب بحيث يفنى عن نفسه اي
ينسى نفسه واحواله ومقاماته وصفاته فيكون مستغرق
الهم بالمحبوب كالعاشق المستهتر عند لقاء الحبيب فانه لا
يتفرغ للنظر في احوال نفسه واوصافه بل يبقى كالمبهوت
الغافل عن نفسه وهو منتهى لذة العشاق فاما ما ذكرناه
فهو تفكر في عمارة الباطن ليصلح للقرب والوصال فاذا ضيع
عمره في اصلاح نفسه فمتى يتنعم بالقرب ولذلك كان
الخواص رحمه الله يدور في البوادي فلقيه الحسين ابن منصور
وقال فيم انت فقال ادور في البوادي اصحح حالي في التوكل
فقال افنيت عمرك في عمران باطنك فاين الفناء في التوحيد
فالفناء في الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين ومنتهى نعيم

الصديقين واما التنزه عن الصفات المهلكه تجري مجرى الخروج
عن العده في النكاح واما الاتصاف بالصفات المنجيات وسائر
الطاعات تجري مجرى تهيئة المراة جهازها وتنظيفها وجهها
ومشطها شعرها لتصلح بذلك للقاء زوجها فاذا استغرقت
في تبريد الرحم وتزيين الوجه كان ذلك حجابا لها عن لقاء المحبوب
فهكذا ينبغي ان تفهم طريق الدين ان كنت من اهل المجالسه وان
كنت كالعبد السوء لا يتحرك الا خوفا من الضرب وطمعا في
الاجره فدونك واتعاب البدن بالاعمال الظاهره فان بينك
وبين القلب حجابا كثيفا فاذا قضيت حق الاعمال كنت من
اهل الجنه ولكن للمجالسه اقوام آخرون واذا عرفت مجال
الفكر في علوم المعامله التي بين العبد وبين ربه فينبغي ان تتخذ
ذلك عادتك ودابك صباحا ومساء فلا تغفل عن نفسك
وعن صفاتك المبعده من الله تعالى والاحوال المقربه الى الله
بل كل مريد فينبغي ان يكون له جريده يثبت عليها جمله
الصفات المهلكات وجملة الصفات المنجيات وجملة
المعاصي والطاعات ويعرض نفسه عليها كل يوم ويكفيه
من المهلكات النظر في عشره فانه ان سلم منها سلم من غيرها

وهي البخل والكبر والعجب والريا والحسد وشدة الغضب
وشره الطعام وشره الوقاع وحب المال وحب الجاه ، ومن
المنجيات عشرة الندم على الذنوب والصبر على البلا والرضى
بالقضا ، والشكر على النعما واعتدال الخوف والرجا والزهد
في الدنيا والاخلاص في الاعمال وحسن الخلق مع الخلق
وحب الله تعالى والخشوع له ، فهذه عشرون خصلة عشرة
منها محموده وعشرة مذمومه فمهما كفي من المذمومات واحدة
فيخط عليها في جريدته ويدع الفكر فيها ويشكر الله تعالى على
كفايته اياها وتنزيه قلبه عنها ويعلم ان ذلك لم يتم الا
بتوفيق الله تعالى وعونه له ولو وكله الى نفسه لم يقدر على
محو اقل الرذايل عن نفسه فيقبل على التسع الباقيه ، وهكذا
يفعل حتى يخط على الجميع ، وكذلك يطالب نفسه بالاتصاف
بالمنجيات واذا اتصف بواحدة منها كالتوبه والندم مثلا
خط عليها واشتغل بالباقي وهذا يحتاج اليه المريد المتشمر
واما اكثر الناس من المعدودين الصالحين فينبغي ان يثبتوا
في جرايدهم المعاصي الظاهره كاكل الشبهه واطلاق اللسان
بالغيبه والنميمه والمرا والثنا على النفس والافراط في معاداه

الاعدا وموالاه الاوليا والمداهنه مع الخلق في ترك
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان اكثر الناس من يعد
نفسه من وجوه الصالحين لا ينفك من جمله من هذه المعاصي
في جوارحه ما لم تطهر الجوارح عن الاثام لا يمكن الاشتغال
بعمارة الباطن الى القلب وتطهيره بل كل فريق من الناس
يغلب عليهم نوع من المعصيه فينبغي ان يكون تفقدهم لها وتفكرهم
فيها لا في معاص هم بمنزل عنها ٥ مثاله العالم الورع فانه
لا يخلو في غالب الامر عن اظهار نفسه بالعلم وطلب الشهرة
وانتشار الصيت اما بالتدريس او بالوعظ ومن فعل ذلك
تصدى لفتنة عظيمة لا ينجو منها الا الصديقون فانه ان
كان كلامه مقبولا حسن الوقع في القلوب لا ينفك عن
الاعجاب والخيلا ، والتزين والتصنع وذلك من المهلكات
وان رد كلامه لم تخل عن انفه وغيظ وحقد على من يرده
هو اكثر من غيظه على من يرد كلام غيره وقد يلبس الشيطان
عليه ويقول له ان غيظك من حيث انه رد الحق وانكره
فان وجد تفرقة بين ان يرد عليه كلامه او يرد على عالم اخر
فهو مغرور وضحكة الشيطان ثم مهما كان له ارتياح بالقبول

وفرح بالثناء واستنكاف من الرد والاعراض لم يخل عن
تكلف وتصنع لتحسين اللفظ والايراد حرصا على استجلاب
الثناء والله لا يحب المتكلفين والشيطان قد يلبس عليه
ويقول انما حرصك على تحسين الالفاظ والتكلف فيها
لينتشر الحق ويحسن موقعه من القلب اعلاء لدين الله
فان كان فرحه بتحسين الفاظه وثناء الناس عليه اكثر
من فرحه بثناء الناس على واحد من اقرانه فهو مخدوع وانما
يدندن حول طلب الجاه وهو يظن ان مطلبه الدين ومهما
اختلج ضميره بهذه الصفات المذمومة ظهر على ظاهره ذلك
حتى يكون للموقر له والمعتقد لفضله اكثر احتراما ويكون
بلقائه اشد استبشارا ممن يغلو في موالاة غيره وان كان
ذلك الغير مستحقا للموالاة وربما ينتهي الامر باهل العلم
الى ان يتغايروا تغاير النساء فيشق على احدهم ان يختلف
بعض تلامذته الى غيره وان كان يعلم انه منتفع بغيره
ومستفيد منه في دينه وكل هذا رشح الصفات المهلكات
المستكنة في سر القلب التي قد يظن العالم النجاة منها وهو
مغرور فيها وانما ينكشف ذلك بهذه العلامات ففتنة العالم

عظيمة وهو اما مالك واما هالك ولا مطمع له في سلامة العوام
فمن احس في نفسه بهذه الصفات فالواجب عليه الانفراد
والعزلة وطلب الخمول والمدافعة بالفتاوى مهما سئل فقد
كان المسجد يحوي في زمن الصحابة جمعا من الصحابة اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم مفتون وكانوا
يتدافعون الفتوى وكل من كان يفتي يود ان يكفيه غيره
وعند هذا ينبغي ان تتقى شياطين الانس اذ قالوا لا تفعل
هذا فان هذا الباب لو فتح لاندرست العلوم من بين الخلق
وليقل لهم ان دين الاسلام مستغن عني فانه كان معمورا قبلي
وكذلك يكون بعدي ولو مت لم تنهدم اركان الاسلام فالدين
مستغن عني وانا فلست مستغنيا عن اصلاح قلبي فاما
اداء ذلك الى اندراس العلم فخيال يدل على غاية الجهل فان
الناس لو حبسوا في السجن وقيدوا بالقيود وتوعدوا بالنار
عن طلب العلم لكان حب العلو والرياسة يحملهم على كسر القيود
وهدم حيطان الحصون والخروج منها والاشتغال بطلب العلم
فالعلم لا يندرس ما دام الشيطان يحبب الى الناس الرياسة
والشيطان لا يفتر عن عمله الى يوم القيمه بل ينهض لنشر العلم

اقوام لا نصيب لهم في الاخرة كما قال عليه السلام ان الله يؤيد
هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل
الفاجر فلا ينبغي ان يغتر العالم بهذه التلبيسات فيشتغل
بمخالطة الخلق حتى يتربى في قلبه حب الجاه والثناء والتعظيم
فان ذلك بذر النفاق قال عليه السلام حب الجاه والمال
ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال عليه السلام
ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا من حب
الجاه والمال في دين المرء المسلم ولا ينعدم حب الجاه من القلب
الا بالاعتزال عن الناس والهرب عن مخالطتهم وترك كل ما
يزيد جاهه في قلوبهم فليكن فكر العالم في التفطن لخفايا هذه
الصفات من قلبه وفي استنباط طريق الخلاص منها وهذه
وظيفة العالم التقي فاما امثالنا فينبغي ان يكون تفكرنا
فيما يقوي ايماننا بيوم الحساب اذ لو رآنا السلف الصالحون
لقالوا قطعا ان هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب فما اعمالنا
اعمال من يؤمن بالجنة والنار فان من خاف شيئا هرب منه ومن
رجا شيئا طلبه وقد علمنا ان الهرب من النار بترك الشبهات
والحرام وبترك المعاصي ونحن منهمكون فيها وان طلب الجنة

بتكثير نوافل العبادات ونحن مقصرون في الفرائض منها
فلم يحصل من ثمرة العلم الا انه يقتدى بنا في الحرص على الدنيا
والتكالب ويقال لو كان هذا مذموما لكان العلماء اولى باجتنابه
منا فليتنا كنا كالعوام اذا متنا ماتت معنا ذنوبنا فما اعظم
الفتنة التي تعرضنا لها لو تفكرنا فنسأل الله ان يصلحنا ويصلح
بنا ويوفقنا للتوبة قبل ان يتوفانا فانه الكريم اللطيف بنا المنعم
علينا • فهذه مجاري افكار العلماء والصالحين في علم المعاملة
فان فرغوا منها انقطع التفاتهم عن انفسهم وارتقوا منها الى
التفكر في جلال الله وعظمته والتنعم بمشاهدته بعين القلب
ولا يتم ذلك الا بعد الانفكاك من جميع المهلكات والاتصاف
بجميع المنجيات وان ظهر شيء منه قبل ذلك كان مدخولا معلولا
مكدرا مقطوعا وكان ضعيفا كالبرق الخاطف لا يثبت ولا
يدوم كالعاشق الذي خلا بمعشوقه ولكن تحت ثيابه عقارب
تلدغه مرة بعد اخرى فتتنغص عليه لذة المشاهدة ولا طريق
له في كمال التنعم الا باخراج العقارب من ثيابه وهذه الصفات
المذمومة عقارب وحيات وهن موذيات ومشوشات وفي القبر
يزيد الم تلدغها على لدغ العقارب والحيات فهذا القدر كاف

فى التنبيه على مجاري فكر العبد فى صفات نفسه المحبوبة
والمكروهة عند ربه عز وجل ٥

القسم الثاني

الفكر فى جلال الله وعظمته وكبريائه ٥

وفيه مقامان المقام الاعلى الفكر فى ذاته وصفاته ومعاني
اسمائه وهذا مما منع منه حيث قيل تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا
فى ذات الله وذلك لأن العقول تتحير فيه فلا يطيق مد البصر
اليه الا الصديقون ثم لا يطيقون دوام النظر بل سائر الخلق
احوال ابصارهم بالاضافة الى جلال الله كحال بصر الخفاش بالاضافة
الى نور الشمس فانه لا يطيقه البته بل يختفي نهارا وانما يتردد ليلا
ينظر فى بقية نور الشمس اذا وقع على الارض واحوال الصديقين
كحال الانسان فى النظر الى الشمس فانه يقدر على النظر اليها ولا
يطيق دوامه ويخشى على بصره لو دام النظر ونظره المختطف
اليها يورث العمش ويفرق البصر فكذلك النظر الى ذات الله يورث
الحيرة والدهشة واضطراب العقل فالصواب اذا ان لا يتعرض
لمجاري الفكر فى ذات الله وصفاته فان اكثر العقول لا تحتمله
بل القدر اليسير الذي صرح به بعض العلماء وهو ان الله تعالى
مقدس عن المكان ومنزه عن الاقطار والجهات وانه ليس

داخل العالم ولا خارجه ولا هو متصل بالعالم ولا منفصل عنه
قد حير عقول اقوام حتى انكروه اذ لم يطيقوا سماعه ومعرفته
بل ضعفت طائفة عن احتمال اقل من هذا اذ قيل لهم انه متعالي
عن ان يكون له راس ورجل ويد وعين وعضو وان يكون
جسما متشخصا له مقدار وحجم فانكروا هذا وظنوا ان ذلك
قدح فى عظمة الله وجلاله حتى قال بعض الحمقى من العوام
ان هذا وصف بطيخ هندي لا وصف الاله لظن المسكين
ان الجلال والعظمة فى هذه الاعضاء وهذا لان الانسان لا
يعرف الا نفسه ولا يستعظم الا نفسه فكل ما لا يساويه
فى صفاته فلا يفهم العظمة فيه نعم غايته ان يقدر نفسه جميل الصورة
جالسا على سرير بين يديه غلمان يمتثلون امره فلا جرم غايته
ان يقدر ذلك فى حق الله تعالى وتقدس حتى يفهم العظمة بل لو
كان للذباب عقل وقيل له ليس لخالقك جناحان ولا يد
ولا رجل ولا له طيران لانكر ذلك وقال كيف يكون خالقي
انقص مني افيكون مقصوص الجناح او يكون زمنا لا يقدر على
الطيران او يكون لي آلة وقدرة ولا يكون له مثلها وهو خالقي ٥
ومصوري وعقول اكثر الخلق قريب من هذا العقل وان الانسان

ظلوم جهول كفار ولذلك أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه لا تخبر عبادي بصفاتي فينكرون ولكن أخبرهم عني بما يفهمون ولما كان النظر في ذات الله تعالى وصفاته مخطرا من هذا الوجه اقتضى أدب الشرع وصلاح الخلق أن لا نتعرض لمجاري الخلق فيه لكنا نعدل إلى المقام الثاني وهو النظر إلى أفعاله وعجائب صنعه وبدائع أمره في خلقه فإنها تدل على جلاله وكبريائه وتقدسه وتعاليه وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيئته وقدرته فينظر إلى الصفات من آثار صفاته فإنا لا نطيق النظر إلى الصفات كما أنا لا نطيق النظر إلى الأرض مهما استنارت بنور الشمس ونستدل بذلك على عظم نور الشمس بالإضافة إلى نور القمر وسائر الكواكب لأن نور الأرض من آثار نور الشمس والنظر في الأثر يدل على المؤثر دلالة ما وإن كان لا يقوم مقام النظر في نفس المؤثر وجميع موجودات الدنيا أثر من آثار قدرة الله تعالى ونور من أنواره بل لا ظلمة أشد من العدم ولا نور أظهر من الوجود ووجود الأشياء كلها نور من أنوار ذاته تعالى وتقدس إذ قوام وجود الأشياء بذات القيوم بنفسه كما أن قوام نور الأجسام بنور الشمس المضيئة بنفسها ومهما انكسف بعض الشمس فقد جرت العادة بأن يوضع

طست ماء حتى يرى الشمس فيه ويمكن النظر إليها فيكون الماء واسطة بعض قليلا من نور الشمس حتى يطاق النظر إليها فكذلك الأفعال واسطة نشاهد فيها صفات الفاعل ولا نبهر نور الذات بعد أن تباعدنا عنها بواسطة الأفعال فهذا من قوله تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله ه

بيان كيفية التفكر في خلق الله تعالى

اعلم أن كل ما في الوجود مما سوى الله تعالى فهو فعل الله وخلقه وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف ففيها عجائب وغرائب يظهر بها حكمة الله وقدرته وجلاله وعظمته وإحصاء ذلك غير ممكن لأنه لو كان البحر مدادا لذلك لنفد البحر قبل أن ينفد عشر عشير ذلك ولكنا نشير إلى جمل منه ليكون ذلك كالمثال لما عداه **فنقول** الموجودات المخلوقة منقسمة إلى ما لا نعرف أصلها فلا يمكننا التفكر فيها وكم من الموجودات التي لا نعلمها كما قال الله تعالى سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون وقال وننشئكم فيما لا تعلمون وإلى ما نعرف أصلها وجملتها ولا نعرف تفصيلها فيمكننا أن نتفكر في تفصيلها وهي منقسمة إلى ما أدركناه بحس البصر وإلى ما لا ندركه بالبصر

وكالملايكة والجن والشياطين والعرش والكرسي وغير ذلك
ومجال التفكر في هذه الاشياء مما يدق ويغمض فلنعدل الى الاقرب
الى الافهام وهي المدركات بحس البصر وذلك هو السموات السبع
والارض وما بينهما والسموات مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها
وحركتها ودورانها في طلوعها وغروبها والارض مشاهدة فيها
من جبالها ومعادنها وانهارها وبحارها وحيواناتها ونباتها وما بين
السماء والارض وهو الجو مدرك بغيومها وامطارها وثلوجها
ورعدها وبرقها وصواعقها وشهبها ومعاصف رياحها فهذه
هي الاجناس المشاهدة من السموات والارض وما بينهما وكل
جنس منها ينقسم الى انواع وكل قسم ينقسم الى اقسام ويتشعب
كل قسم الى اصناف ولا نهاية لانشعاب ذلك وانقسامه في
اختلاف صفاته وهيئاته ومعانيه الظاهرة والباطنة وكل ذلك
مجال الفكر فلا يتحرك ذرة في السموات والارض من جماد ولا نبات
ولا حيوان ولا كوكب الا والله تعالى هو محركها وفي حركتها حكمة
او حكمتان او عشرة او الف حكمة كل ذلك شاهد لله بالوحدانية
ودال على جلاله وكبريائه وهي الايات الدالة عليه وقد ورد القران
بالحث على التفكر في هذه الايات كما قال الله تعالى ان في اختلاف

الليل والنهار لايات وكما قال ومن اياته من اول القران الى اخره
فلنذكر كيفية الفكر في بعض الايات ومن اياته خلق الانسان
من نطفة واقرب شيء اليك نفسك وفيك من العجايب الدالة على
عظمة الله تعالى ما تنقضي الاعمار في الوقوف على عشر عشيره
وانت غافل عنه فيا من هو غافل عن نفسه وجاهل به كيف تطمع
في معرفة غيرك وقد امرك الله تعالى بالتدبر في نفسك في كتابه
العزيز فقال وفي انفسكم افلا تبصرون وذكر انك مخلوق من
نطفة قذرة فقال قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره
ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره وقال تعالى ومن
اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون وقال تعالى
الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه
الزوجين الذكر والانثى وقال تعالى الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه
في قرار مكين الى قدر معلوم وقال اولم ير الانسان انا خلقناه من
نطفة فاذا هو خصيم مبين وقال انا خلقنا الانسان من نطفة
امشاج نبتليه ثم ذكر كيف جعل النطفة علقة والعلقة مضغة
والمضغة عظاما فقال تعالى ولقد خلقنا الانسان الاية فتكرير
ذكر النطفة في كتابه العزيز ليس لتسمع لفظه وتترك التفكر في معناه

فانظر الآن الى النطفه وهي قطرة من الماء قذرة لو تركت ساعه
ليضربها الهوا فسدت وانتنت كيف اخرجها رب الارباب من الصلب
والترايب وكيف جمع بين الذكر والانثى والقى الالفه والمحبه
في قلوبهم وكيف قادهم بسلسله المحبه والشهوه الى الاجتماع وكيف
استخرج النطفه من الرجل بحركه الوقاع وكيف استجلب دم الحيض
من اعماق العروق وجمعه في الرحم ثم كيف خلق المولود من النطفه
وسقاه بما الحيض وغذاه حتى نمي وربي وكبر وكيف جعل النطفه
وهي بيضا مشرقه علقه حمرا ثم كيف جعلها مضغه ثم كيف
قسم اجزاء النطفه وهي متشابهه متساويه الى العظام والاعصاب
والعروق والاوتار واللحم ثم كيف ركب من اللحم والعظام والاعصاب
والعروق الاعضاء الظاهره ودور الراس وشق السمع والبصر والانف
والفم وساير المنافذ ثم مد اليد والرجل وقسم رؤسها بالاصابع وقسم
الاصابع بالانامل ثم كيف ركب الاعضاء الظاهره الباطنه من
القلب والمعده والكبد والطحال والريه والرحم والمثانه والامعا
كل واحد على شكل مخصوص ومقدار مخصوص ثم كيف قسم كل عضو
من هذه الاعضاء باقسام اخر فركب العين من سبع طبقات
لكل طبقه وصف مخصوص وهيئة مخصوصه لو فقدت طبقه منها

او زالت صفه من صفاتها تعطلت العين عن الابصار فلو ذهبنا نصف
ما في احاد هذه الاعضاء من العجايب والايات لانقضى فيه الاعمار
فانظر الان الى العظام وهي اجسام قويه صلبه كيف خلقها من نطفه
سخيفه رقيقه ثم جعلها قواما للبدن وعمادا له ثم قدرها بمقادير
مختلفه واشكال مخالفه فمنه صغير وكبير وطويل وقصير ومستدير
ومجوف ومصمت وعريض ودقيق ولما كان الانسان محتاجا
الى الحركه بجمله بدنه وببعض اعضايه للتردد في حاجاته لم يجعل
عظمه عظما واحدا بل عظاما كثيره بينها مفاصل حتى تتيسر بها الحركه
وقدر شكل كل واحد منها على وفق الحركه المطلوبه بها ثم وصل مفاصلها
وربط بعضها بالبعض باوتار انبتها من احد طرفي العظم والصق
بالطرف الاخر كالرباط له ثم خلق في احد طرفي العظم زوايد خارجه
منه وفي الاخر حفرا غايصه فيها موافقه لشكل الزوايد ليدخل فيها
وتنطبق عليها فصار العبد ان اراد تحريك عضو من بدنه لم يمتنع عليه
ولولا المفاصل لتعذر عليه ذلك ثم انظر كيف خلق عظام الراس
وكيف جمعها وركبها وقد ركبها من خمسه وخمسين عظما مختلفه الاشكال
والصور فالف بعضها الى البعض بحيث استوى به كره الراس كما تري فمنها
سته تخص القحف واربعه عشر للحي الاعلى واثنان للحي الاسفل والبقيه

هي الاسنان بعضها عريضه تصلح للطحن وبعضها حاده تصلح للقطع
وهي الانياب والاضراس والثنايا ثم جعل الرقبه مركبا للراس
وركبها من سبع خرزات مجوفات مستديرات فيها تجويفات وزيادات
ونقصانات لينطبق بعضها على بعض ويطول وجه ذكر الحكمه فيها ثم
ركب الرقبه على الظهر وركب الظهر من اسفل الرقبه الى منتهى عظم
الفخذ من اربع وعشرين خرزه وركب عظم الفخذ من ثلاثة اجزاء ووصل
عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف وعظام اليدين وعظام
العانه وعظام الفخذ ثم عظام الفخذين والساقين واصابع الرجلين
فلا نطول بذكر غير ذلك ومجموع عدد العظام في بدن الانسان
مايتا عظم وثمانيه واربعون عظما سوى العظام الصغار التي حشي بها
تلك المفاصل فانظر كيف خلق جميع ذلك من نطفة سخيفه رقيقه
وليس المقصود من ذكر اعداد العظام ان تعرف عددها فان هذا علم
قريب يعرفه الاطباء والمشرحون وانما الغرض ان ينظر منها في مدبرها
وخالقها انه كيف قدرها ودبرها وخالف بين اشكالها واقدارها
وخصصها بهذا العدد المخصوص لانه لو زاد عليها واحدا لكان زايدا
على الانسان يحتاج الى قلعه ولو نقص منها واحد لكان نقصانا
يحتاج الى جبره فالطبيب ينظر فيها ليعرف وجه العلاج في جبرها

واهل

واهل البصاير ينظرون فيها ليستدلوا بها على جلاله خالقها
ومصورها فشتان بين النظرين ثم انظر كيف خلق الله تعالى الالات
لتحريك العظام وهي العضلات فخلق في بدن الانسان خمسمايه عضله
وتسعا وعشرين عضله والعضله هي مركبه من لحم وعصب ورباط
واغشيه وهي مختلفه المقادير والاشكال بحسب اختلاف مواضعها
وحاجاتها فاربعه وعشرون عضله منها لتحريك حدقه العين واجفانها
لو نقصت واحده من جملتها اختل امر العين وكذلك لكل عضو
عضلات بعدد مخصوص وقدر مخصوص وامر الاعصاب والعروق
والاورده والشراين وعددها ومنابتها وانشعاباتها اعجب من هذا
كله وشرح هذا يطول فللتفكر مجال في احاد هذه الاجزاء ثم
في احاد الاعضاء ثم في جمله البدن وكل ذلك نظر الى عجايب
اجسام البدن وعجايب المعاني والصفات التي لا تدرك بالحواس
اعظم فانظر الان الى ظاهر الانسان وباطنه والى بدنه وصفاته
فترى فيه من الصنعه ما يقضي به العجب وكل ذلك صنع الله تعالى
في قطره ماء قذره فترى من هذا صنعه في قطره ماء فما صنعه في
ملكوت السموات والارض وكواكبها وما حكمه في اوضاعها واشكالها
واعدادها واجتماع بعضها وتفرق بعضها واختلاف صورها وتفاوت

مشارقها ومغاربها فلا تظنن ان ذرة من ملكوت السموات
تنفك عن حكمة وحكم بل هي احكم خلقا واتقن صنعا واجمع
للعجايب من بدن الانسان بل لا نسبة لجميع ما في الارض الى
عجايب السموات ولذلك قال الله تعالى أأنتم اشد خلقا أم
السماء بناها فارجع الان الى النطفة وتامل حالها اولا وما
صارت اليه ثانيا وتامل لو اجتمع الانس والجن على ان يخلقوا
للنطفة سمعا وبصرا او عقلا او قدرة او علما او روحا
او يخلقوا فيها عظما او عرقا او عصبا او جلدا او شعرا هل
يقدرون على ذلك بل لو ارادوا ان يعرفوا كنه حقيقته
وكيفية خلقته بعد ان خلق الله تعالى ذلك لعجزوا عنه
والعجب منك لو نظرت الى صورة انسان مصور على حايط تانق
النقاش في تصويرها حتى قرب ذلك من صورة الانسان
وقال الناظر اليها كانه انسان عظم تعجبك من صنعة النقاش
وحذقه وخفة يده وتمام فطنته وعظم في قلبك محله مع انك
تعلم ان الصورة انما تمت بالصبغ والقلم وبالحايط وباليد وبالقدرة
والارادة وليس شي من ذلك من فعل النقاش ولا خلقه بل هو
من خلق غيره وانما منتهى فعله ان جمع بين الصبغ والحايط على

ترتيب مخصوص فيكثر تعجبك منه وتستعظمه وانت ترى النطفة ١٠
القذرة كانت معدومة فخلقها خالقها في الاصلاب والترايب
ثم اخرجها منها وشكلها فاحسن تشكيلها وقدرها فاحسن
تقديرها وتصويرها وقسم اجزاها المتشابهة الى اجزاء مختلفة
فاحكم العظام في ارجايها وحسن اشكال اعضايها وزين ظاهرها
وباطنها ورتب عروقها واعصابها وجعلها مجرى لغذايها ليكون
ذلك سببا لبقايها وجعلها سميعة بصيرة عالمة ناطقة وخلق
لها الظهر اساسا لبدنها والبطن حاويا لالات غذايها والراس
جامعا لحواسها ففتح العينين ورتب طبقاتها واحسن شكلها
ولونها وهيأتها ثم حماها بالاجفان لتسترها وتحفظها
وتصقلها وتدفع الاقذاء عنها ثم اظهر في مقدار عدسة منها
صورة السموات مع اتساع اكنافها وتباعد اقطارها وهو ينظر
اليها ثم شق اذنيه واودعهما ماء مرا لحفظ سمعها وتدفع الهوام
عنها وحوطها بصدفة الاذن لتجمع الصوت فترده الى صماخها
ولتحس بدبيب الهوام اليها وجعل فيها تحريفا واعوجاجات
لتكثر حركة ما يدب فيها ويطول طريقه فيتنبه عن النوم صاحبها
اذا قصدها دابة في حال النوم ثم رفع الانف من وسط الوجه

واحسن شكله وفتح منخريه واودع فيها حاسة الشم ليستدل
باستنشاق الروايح على مطاعمه واغذيته ويستنشق بمنفذ
المنخرين روح الهوا غذاء لقلبه وترويحا لحرارة باطنه ۝
وفتح الفم واودعه اللسان ناطقا وترجمانا ومعربا عما في
القلب وزين الفم بالاسنان ولتكون آلة للطحن والكسر
والقطع فاحكم اصولها وحدد روسها وبيض الوانها ورتب
صفوفها متساوية الروس متناسبة الترتيب كانها الدر المنظوم
وخلق الشفتين وحسن لونها وشكلها لتنطبق على الفم
فتسد منفذه وليتم بها حروف الكلام ثم خلق الحنجرة وهياها
لخروج الصوت وخلق اللسان قدرة الحركات والتقطيعات
ليقطع الصوت في مخارج مختلفة تختلف بها الحروف ليتسع
طريق النطق بكثرتها ثم خلق الحناجر مختلفة الاشكال في الضيق
والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول
والقصر حتى اختلفت بسببها الاصوات فلا يتشابه صوتان
بل يظهر بين كل صوتين فرقان حتى يميز السامع بعض
الناس عن بعض بمجرد الصوت في الظلمة ثم زين الراس بالشعور
والاصداغ وزين الوجه باللحية وزين الجبهة بالحاجبين وزين

الحاجب بدقة الشعر واستقواس الشكل وزين العينين بالاهداب
ثم خلق الاعضاء الباطنة وسخر كل واحد لفعل مخصوص ۝
فسخر المعدة لنضج الغذا والكبد لاحالة الغذا الى الدم والطحال
والمرارة والكلية لخدمة الكبد فالطحال يخدمه بجذب السودا
عنه والمرارة تخدمه بجذب الصفرا والكلية تخدمه بجذب المائية
والمثانة تخدم الكلية بقبول الماء عنها ثم تخرجه بطريق الاحليل
والعروق تخدم الكبد في ايصال الدم الى ساير اطراف البدن
ثم خلق اليدين ليمتد الى المقاصد وعرض الكف وقسم الاصابع
الخمس وقسم كل اصبع بثلاثة مفاصل ووضع الاربع في
جانب والابهام في جانب ليدور الابهام على الجميع فلو اجتمع
الاولون والاخرون على ان يستنبطوا بدقيق الفكر وجها
آخر في وضع الاصابع سوى ما وضعت عليه من بعد الابهام
عن الاربع وتفاوت الاربع في الطول وترتيبها في صف واحد
لم يقدروا عليه اذ بهذا الترتيب صلحت اليد للقبض والاعطا
فان بسطت كانت له طبقا يضع عليها ما يريد وان جمعها كانت
له آلة للضرب وان ضمها ضما غير تام كانت مغرفة وان بسطها
وضم اصابعها كانت مجرفة له ثم خلق الاظفار على روسها زينة

للانامل وعمادًا لها من ورآئها حتى لا ينقطع وليلتقط بها الاشيآ
الدقيقه التي لا يتناولها الانامل وليحك بها بدنه عند الحاجه
فالظفر الذي هو اخس الاعضا لو عدمه الانسان وظهر به حكه
لكان اضعف الخلق واعجزهم فلم يقم احد مقامه في حك بدنه
ثم هدى اليد الى موضع الحك حتى تمتد اليه ولو في النوم
والغفله من غير حاجه الى طلب ولو استعان بغيره لم يعثر
على موضع الحك الا بتعب طويل ثم خلق هذا كله من النطفه
وهو في داخل الرحم في ظلمات ثلاث ولو كشف الغطا والغشا
وامتد البصر اليه لكان يرى التخطيط والتصوير يظهر عليها
شيئًا شيئًا ولا يرى المصور ولا آلته فهل رايت مصورًا وفاعلًا
لا يمس آلته مصنوعه ولا يلاقيه وهو يتصرف فيه فسبحانه ما
اعظم شانه واوضح برهانه ثم انظر مع كمال قدرته الى تمام رحمته
فانه لما ضاق الرحم على الصبي لما كبر كيف هداه السبيل حتى
تنكس وتحرك وخرج من ذلك المضيق وطلب المنفذ كانه عاقل
بصير بما يحتاج اليه ثم لما خرج واحتاج الى الغذا كيف هداه
الى التقام الثدي ثم لما كان بدنه سخيفا لا يحتمل الاغذيه
الكثيفه كيف دبر له في خلق اللبن اللطيف واستخرج من بين

الفرث والدم لبنا خالصا سايغا للشاربين وكيف خلق
الثديين وجعل فه اللبن وانبت لهما حلمتين على قدر ما فيهما
ينطبق عليه فم الصبي ثم فتح في حلمة الثدي ثقبا ضيقا جدا
حتى لا يخرج اللبن منه الا بعد المص تدريجا فان الطفل لا يطيق
منه الا القليل ثم كيف هداه للامتصاص حتى يستخرج من
ذلك المص اللبن الكثير عند الجوع ثم انظر الى عطفه ورحمته كيف
اخر خلق الاسنان الى تمام الحولين لانه في الحولين لا يتغذى
الا باللبن ويستغني عن السن واذا كبر لم يوافقه اللبن السخيف
ويحتاج الى طعام غليظ ويحتاج الى المضغ والطحن فانبت له
الاسنان عند الحاجه لا قبلها ولا بعدها فسبحانه كيف اخرج
تلك العظام الصلبه من تلك اللثات اللينه ثم حنن قلوب الوالدين
عليه للقيام بتدبيره في الوقت الذي كان عاجزا عن تدبير نفسه فلو لم
يسلط الله الرحمه على قلوبهما لكان الطفل اعجز الخلق عن تدبير
نفسه ثم انظر كيف رزقه القدره والتمييز والعقل والهدايه
تدريجا حتى بلغ وتكامل فصار مراهقا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا
اما كفورا او شكورا مطيعا او عاصيا مومنا او كافرا تصديقا
لقوله هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا

انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا
بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا فانظر الى
اللطف والكرم ثم انظر الى القدرة والحكمة تبهرك عجايب
الحضرة الربانية فالعجب كل العجب ممن يرى خطا حسنا او نقشا
على حايط فيستحسنه فتنصرف جميع همته الى التفكر في النقاش
والخطاط وانه كيف نقشه وخطه وكيف اقتدر عليه ولا
يزال يستعظمه ويقول ما احذقه وما اكمل صنعته واحسن
قدرته ثم ينظر الى هذه العجايب في نفسه وفي غيره ثم يغفل عن
صانعه ومصوره فلا يدهشه عظمته ولا يحيره جلالته وحكمته
وهذه نبذة من عجايب بدنك التي لا يمكن استقصاوها فهو اقرب
مجال لفكرك واجلى شاهد على عظمة خالقك وانت غافل
عن ذلك مشغول ببطنك وفرجك ولا تعرف من نفسك الا
ان تجوع فتاكل وتشبع فتنام وتشتهي فتجامع وتغضب فتقاتل
والبهايم كلها تشاركك في معرفة ذلك وانما خاصية الانسان
التي حجبت البهايم عنها معرفة الله تعالى بالنظر في ملكوت السموات
والارض وعجايب الافاق والانفس اذ بها يدخل العبد في
زمرة الملايكة المقربين ويحشر في زمرة النبيين والصديقين

مقربا من حضرة رب العالمين وليس هذه المنزلة للبهايم ولا
للانسان الذي رضي من الدنيا بشهوات البهايم فانه شر من
البهايم بكثير اذ لا قدرة للبهيمة على ذلك اما هو فقد خلق الله
له القدرة ثم عطلها وكفر نعمة الله تعالى فيها فاولئك كالانعام
بل هم اضل سبيلا، واذا عرفت طريق الفكر في نفسك فتفكر
في الارض التي هي مقرك ثم انهارها وبحارها وجبالها ومعادنها
ثم ارتفع منها الى ملكوت السماء، اما الارض فمن آياته ان خلق
الارض فراشا ومهادا وسلك فيها سبلا فجاجا وجعلها ذلولا
لتمشوا في مناكبها وجعلها قارة لا تتحرك وارسى فيها الجبال
اوتادا لها تمنعها من ان تميد بهم ثم وسع في اكنافها حتى عجز
الادميون عن بلوغ جميع جوانبها وان طالت اعمارهم وكثر
تطوافهم فقال تعالى والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون
والارض فرشناها فنعم الماهدون وقال تعالى هو الذي جعل
لكم الارض فراشا وقد اكثر في كتابه من ذكر الارض ليتفكر
في عجايبها فظهرها مقر للاحياء وبطنها مرقد للاموات وقال
الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا فانظر الى الارض وهي
ميتة فاذا انزل عليها الماء اهتزت وربت واخضرت وانبتت

عجايب النبات وخرجت منها اصناف الحيوانات ثم انظر كيف
احكم جوانب الارض بالجبال الراسيات الشوامخ الصم الصلاب
وكيف اودع المياه تحتها فجر العيون واسال الانهار تجري
على وجهها واخرج من الحجارة اليابسة ومن التراب الكدر
ماء رقيقا عذبا صافيا زلالا وجعل به كل شي حيا فاخرج
به فنون الاشجار والنبات من حب وعنب وقضب وزيتون
ونخل ورمان وفواكه كثيرة لا تحصى مختلفة الاشكال
والالوان والطعوم والصفات والارايح نفضل بعضها على
بعض في الاكل تسقى بماء واحد وتخرج من ارض واحدة فان
قلت ان اختلافها لاختلاف بذورها واصولها فمتى كان
في النواة نخلة مطوقة بعناقيد الرطب ومتى كانت في حبة
واحدة سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ثم انظر الى اراضي
البوادي وفتش ظاهرها وباطنها فتراها ترابا متشابها فاذا
انزل عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج الوانا
مختلفة ونباتا متشابها وغير متشابه ولكل واحد طعم وريح
ولون وشكل يخالف الاخر فانظر الى كثرتها واختلاف اصنافها
وكثرة اشكالها ثم اختلاف طبايع النبات وكثرة منافعه وكيف

اودع الله تعالى العقاقير والمنافع الغريبة فهذا النبات
يغذي وهذا يقوي وهذا يحيي وهذا يقتل وهذا يبرد وهذا
يسخن وهذا اذا حصل في المعدة قمع الصفرا من اعماق العروق
وهذا يستحيل الى الصفرا وهذا يقمع البلغم والسودا وهذا
يستحيل اليهما وهذا يصفي الدم وهذا يستحيل دما وهذا يفرح
وهذا ينوم وهذا يقوي وهذا يضعف فلم ينبت في الارض ورقة
ولا نبتة الا وفيها منافع لا يقوى البشر على الوقوف على كنهها
وكل واحد من هذا النبات يحتاج الفلاح في تدبيره الى
عمل مخصوص فالنخيل يوبر والكرم يكسح والزرع ينقى عن الحشيش
والدغل وبعض ذلك يستنبت نبت البذر في الارض وبعضه
بغرس الاغصان وبعضه يركب في الشجر ولو اردنا ان نذكر اختلاف
اجناس النبات وانواعه ومنافعه واحواله وعجايبه لانقضت
الايام في وصف ذلك فيكفيك من كل جنس نبذ يسير فذلك
على طريق الفكر فهذه عجايب النبات ۞ ومن آياته الجواهر
المودعة تحت الجبال والمعادن الحاصلة تحت الارض ففي الارض
قطع متجاورات مختلفة فانظر الى الجبال كيف تخرج منها الجواهر
النفيسة من الذهب والفضة والفيروزج والبلور وغيرها وبعضها

منطبعة تحت المطارق كالذهب والفضة والنحاس والرصاص
والحديد وبعضها لا ينطبع كالفيروزج واللعل وكيف هدى الناس
الى استخراجها وتنقيتها واتخاذ الاواني والالات والنقود والحلي
ثم انظر الى معادن الارض من النفط والكبريت والقير وغيرها
واقلها الملح ولا يحتاج اليه الا لتطييب الطعام ولو خلت عنه
بلد لتسارع الهلاك اليها فانظر الى رحمة الله كيف خلق
بعض الاراضي سبخة بجوهرها بحيث يجتمع فيها الماء الصافي من
المطر فيستحيل ملحا مالحا محرقا لا يمكن تناول مثقال ذرة منه
ليكون ذلك تطييبا لطعامك اذا اكلته فيتهنا عيشك وما
من جماد ولا حيوان ولا نبات الا وفيه حكمة وحكم من هذا
الجنس ما خلق شيئا منها عبثا ولا لعبا ولا هزلا بل خلق الكل بالحق
وكما ينبغي على الوجه الذي ينبغي وكما ينبغي لجلاله وكرمه ولطفه
ولذلك قال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين
ما خلقناهما الا بالحق ۝ ومن اياته اصناف الحيوانات
وانقسامها الى ما يطير والى ما يمشي وانقسام ما يمشي الى ما
يمشي على رجلين والى ما يمشي على اربع وعلى عشرة وعلى مئة كما
تشاهد في بعض الحشرات ثم انقسامها في المنافع والصور والاشكال

والاخلاق والطباع فانظر الى طيور الجو والى وحوش البر
والى البهائم الاهلية ترى فيها من العجائب ما لا تشك معها في
عظمة خالقها وقدرة مقدرها وحكمة مصورها وكيف يمكن
ان نستقصي ذلك بل لو اردنا ان نذكر عجائب البقة او النملة
او النحلة او العنكبوت وهي من صغار الحيوانات في بنائها
بيتا وفي جمعها غذاءها وفي الفها لزوجها وفي ادخارها لنفسها
وفي حذقها في هندسة بيتها وفي هدايتها الى حاجاتها لم نقدر
على ذلك فترى العنكبوت يبني بيته على طرف نهر فيطلب موضعين
متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونه حتى يمكنه ان يصل
بالخيط بين طرفيه ثم يبتدي ويلقي اللعاب الذي هو خيطه على
جانب ليلتصق به ثم يعدو الى الجانب الاخر فيحكم الطرف الاخر
من الخيط ثم كذلك يردد ثانيا وثالثا ويجعل بعد ما بينهما
شيئا شيئا تناسبا هندسيا حتى اذا احكم معاقد القمط ورتب
به الخيوط كالسدى اشتغل باللحمة فيضع اللحمة على السدى
ويضيف بعضه الى بعض ويحكم العقد على موضع التقاء اللحمة
بالسدى ويراعي في جميع ذلك تناسب الهندسة ويجعل
ذلك شبكة يقع فيها البق والذباب ويقعد في زاوية مترصد

لوقوع الصيد في الشبكة فاذا وقع الصيد بادر الى اخذه
واكله فان عجز عن الصيد لذلك طلب لنفسه زاوية من
حايط ووصل بين طرفي الزاوية بخيط ثم علق نفسه منها بخيط
آخر وبقي منكسًا في الهواء ينتظر ذبابًا تطير فاذا طار ذباب
رمى نفسه اليه واخذه ولف خيطه عليه وعلى رجليه واحكمه ثم
اكله وما من حيوان صغير ولا كبير الا وفيه من هذه العجايب
ما لا يحصى افترى انه تعلم هذه الصنعة من نفسه او يكون بنفسه
او كونه ادمي او علمه او لا هادي له ولا معلم افيشك ذو
بصيرة في انه مسكين ضعيف عاجز بل الفيل العظيم شخصه
الظاهر قوته عاجز عن امر نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف
افلا يشهد هو بشكله وصورته وحركته وهدايته وعجايبه
وعجايب صنعه لفاطره الحكيم وخالقه القادر العليم فالبصير
يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق المدبر وجلاله
وكمال قدرته وحكمته ما تتحير فيه الالباب والعقول فضلًا عن
ساير الحيوانات وهذا الباب ايضا لا حصر له فان الحيوانات
واشكالها واخلاقها وطباعها غير محصورة وانما تعجب القلوب
لانسها بكثرة المشاهدة نعم اذا راى حيوانا غريبا ولو دودا تجدد

تعجبه وقال سبحان الله ما اعجبه والانسان اعجب الحيوانات
وليس يتعجب من نفسه بل لو نظر الى الانعام التي الفها ونظر
الى اشكالها وصورها ثم الى منافعها وفوايدها من جلودها
واصوافها واوبارها واشعارها التي جعلها لباسًا لخلقه واكنانًا
لهم في ظعنهم واقامتهم وآنية لاشربتهم واوعية لاغذيتهم وصونًا
لاقدامهم وجعل لحومها والبانها اغذية لهم ثم جعل بعضها زينة
للركوب وبعضها حاملة للاثقال قاطعة للبوادي والمفازات
لاكثر الناظر التعجب من حكمة خالقها ومصورها فانه ما خلقها
الا بعلم محيط بجميع منافعها سابق على خلقه اياها فسبحان
من الامور مكشوفة في علمه من غير تفكر ومن غير تامل وتدبر
ومن غير استعانة بوزير ومشير فهو العليم الخبير الحكيم القدير
فقد استخرج تاملًا القليل مما خلقه صدق الشهادة من قلوب
العارفين بتوحيده فما للخلق الا الاذعان لقهره وقدرته
والاعتراف بربوبيته والاقرار بالعجز عن معرفة جلاله وعظمته
فمن الذي يحصي ثناء عليه بل هو كما اثنى على نفسه وانما غاية
معرفتنا الاعتراف بالعجز عن معرفته فنسأل الله تعالى ان يكرمنا
بهدايته بمنه ورافته ه ومن آياته البحار العميقة المكتنفة

لاقطار الارض التي هي قطعه من البحر الاعظم المحيط بجميع
الارض حتى ان جميع المكشوف من الجبال والبراري عن الماء
بالاضافة الى الماء كجزيرة صغيرة في بحر عظيم وبقية الارض
مستورة بالماء قال النبي صلى الله عليه وسلم الارض في البحر
كالاصطبل في الارض فانسب اصطبلا الى جميع الارض
واعلم ان الارض بالاضافة الى البحر مثله وقد شاهدت عجايب
الارض وما فيها فتامل الان عجايب البحر فان عجايب ما فيه من
الحيوان والجواهر اضعاف عجايب ما تشاهده على وجه الارض
كما ان سعته اضعاف سعة الارض ولعظم البحر كان فيه من
الحيوانات العظام ما ترى ظهورها فتظنها جزيرة فينزل
الركبان عليه وربما يحس بالنيران اذا اشتعلت فيتحرك فيعلم
انه حيوان وما من صنف من اصناف حيوان البر من فرس او طير
او بقر او انسان الا وفي البحر امثاله واضعافه وفيه اجناس
لا يعهد لها نظير في البر وقد ذكرنا اوصافها في مجلدات وجمعها
اقوام عنوا بركوب البحر وجمع عجايبه ثم انظر كيف خلق اللولو
ودوره في صدفه تحت الماء وانظر كيف انبت المرجان من صم
الصخور تحت الماء وانما هو نبات على هيئة شجر تنبت من الحجر

ثم تامل ما عداه من العنبر واصناف النفايس التي يقذفها
البحر ويستخرج منه ثم انظر الى عجايب السفن كيف امسكها
الله تعالى على وجه الماء وسيرها التجار وطلاب الاموال وغيرهم
وسخر لهم الفلك ليحمل اثقالهم ثم ارسل الرياح لتسوق السفن ثم
عرف الملاحين موارد الرياح ومهابها ومواقيتها ولا يستقصي
على الجملة عجايب صنع الله تعالى في البحر في مجلدات واعجب
من ذلك كله ما هو اظهر من كل ظاهر وهو كيفية كثرة الماء
وهو جسم رقيق لطيف سيال مشف متصل الاجزاء كانه
شي واحد لطيف التركيب سريع القبول للتقطيع كانه
منفصل مسخر للتصرف قابل للاتصال والانفصال به حياة
كل ما على وجه الارض من حيوان ونبات فلو احتاج العبد
الى شربة ماء ومنع منه لبذل جميع خزاين الارض في تحصيلها لو
ملك ذلك ثم اذا شربها لو منع من اخراجها لبذل جميع خزاين
الارض وملك الدنيا في اخراجها فالعجب من الادمي كيف
يستعظم الدينار والدرهم ونفايس الجواهر ويغفل عن نعمة الله
تعالى في شربة ماء اذا احتاج الى شربها والاستفراغ عنها
بذل جميع المال فيها فتامل في عجايب المياه والانهار والابار

والبحار وفيها متسع للفكر ومجال وكل ذلك شواهد متظاهرة
وآيات متناصرة ناطقة بلسان حالها مفصحة عن جلال باريها
معربة عن كمال حكمته فيها منادية ارباب القلوب بنغماتها قايلة
لكل ذي لب اما تراني وترى صورتي وتركيبي وصفاتي
ومنافعي واختلاف حالاتي وكثرة فوايدي اتظن اني تكونت
بنفسي او خلقني احد من جنسي اوما تستحيي تنظر في كلمة
مرقومة من ثلاثة احرف فتقطع بانه صنعة ادمي عالم قادر
مريد متكلم ثم تنظر الى عجايب الخطوط الالهية المرقومة على صفحات
وجهي بالقلم الالهي الذي لا يدرك بالابصار ذاته ولا حركته
ولا اتصاله بمحل الخط ثم ينفك قلبك عن جلالة صانعه وتقول
النطفة لارباب السمع والقلب لا للذين هم عن السمع لمعزولون
توهمني في ظلمة الاحشاء مغموسة في دم الحيض في الوقت الذي
يظهر على التخطيط والتصوير على وجهي فينقش النقاش حدقتي
واجفاني وجبهتي وخدي وشفتي فترى النقوش تظهر
شيا شيا على التدريج ولا ترى داخل النطفة نقاشا ولا خارجها
ولا داخل الرحم ولا خارجه ولا خبر منها للام والاب ولا للنطفة
ولا للرحم افما هذا النقاش اعجب مما تشاهده ينقش بالقلم صورة

عجيبة لو نظرت اليها مرة او مرتين لتعلمته فهل تقدر على ان
تتعلم هذا الجنس من النقش والتصوير الذي يعم ظاهر النطفة
وباطنها وجميع اجزايها من غير ملامسة ومن غير اتصال بها ولا
من داخل ولا من خارج فان كنت لا تتعجب من هذه العجايب
ولا تفهم ان الذي صور ونقش وقدر لا نظير له ولا يساويه نقاش
ولا مصور كما ان نقشه وصنعه لا يساويه نقش وصنع فبين
الفاعلين من المباينة والتباعد ما بين الفعلين فان كنت
لا تتعجب من هذا ولا تفهم فتعجب من عدم تعجبك فانه اعجب من
كل عجب فان الذي اعمى بصيرتك مع هذا الوضوح ومنعك
من التبين مع هذا البيان جدير بان تتعجب منه فسبحان
من هدى واضل واغوى وارشد واشقى واسعد وفتح بصاير
احبابه فشاهدوه في جميع ذرات العالم واجزايه واعمى قلوب
اعدايه واحتجب عنهم بعزه وعلايه فله الخلق والامر
والامتنان والفضل واللطف والقهر لا راد لحكمه ولا معقب
لقضايه ۞ **ومن آياته الهواء اللطيف** بين مقعر السماء
ومحدب الارض لا يدرك بحس اللمس عند هبوب الريح جسمه
ولا يرى بالعين شخصه وجملته مثل البحر الواحد والطيور

مختلفة في جو السما محلقة سابحة فيها باجنحتها كما تسبح حيوانات
البحر في الما تضطرب جوانبه وامواجه عند هبوب الرياح
كما تضطرب امواج البحر فاذا حرك الله تعالى الهوا ريحا هابة
فان شا جعله نشرا بين يدي رحمته كما قال تعالى وارسلنا
الرياح لواقح فيصل لحركته روح الهوا الى الحيوانات والنبات
فتستعد للنما وان شا جعله عذابا على العصاة من خليقته
كما قال سبحانه وتعالى انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم
نحس مستمر تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر ثم انظر الى
لطف الله في شد الهوا وقوته مهما ضبط في الما فالزق المنفوخ
يتحامل عليه الرجل القوي ليغمسه في الما فيعجز عنه والحديد
الصلب تضعه على وجه الما فيرسب فيه فانظر كيف مقبض
الهوا من الما لقوته مع لطافته وبهذه الحكمة امسك الله
السفن على وجه الما وكذلك كل مجوف فيه هوا لا يغوص في
الما لان الهوا ينقبض عن الغوص في الما فلا ينفصل عن السطح
الداخل عن السفينة فتبقى السفينة الثقيلة مع قوتها وصلابتها
معلقة من الهوا اللطيف كالذي يقع في البير فيتعلق بذيل
رجل قوي ممتنع عن الهوا في البير فالسفينة بمقعرها تتشبث

باذيال

باذيال الهوا القوي فتمتنع من الهوي والغوص في الما فسبحان
من علق المركب الثقيل من هوا لطيف من غير علاقة تشاهد
وعقدة تشد ثم انظر الى عجايب الجو وما يظهر فيه من الغيوم
والرعود والبروق والامطار والثلوج والشهب والصواعق
فهي عجايب ما بين السما والارض وقد اشار القران الى جملة
ذلك في قوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين
واشار الى تفصيله في مواضع شتى حيث والسحاب المسخر بين السما
والارض وحيث تعرض للرعد والبرق والشهاب والمطر فاذا
لم يكن لك حظ من هذه الجملة الا ان ترى المطر بعينك وتسمع
الرعد باذنك والبهيمة تشاركك في هذه المعرفة فارتفع من حضيض
عالم البهايم الى عالم الملا الاعلا وقد فتحت عينك فادركت ظاهرها
فغمض عينك الظاهرة فانظر ببصيرتك الباطنة لترى عجايب باطنها
وعجايب اسرارها وهذا ايضا يطول الفكر فيه ولا تطمع في استقصايه
وتامل السحاب الكثيف المظلم كيف تراه يجتمع في جو صاف لا كدرة
فيه وكيف يخلقه الله تعالى اذا شا ومتى شا وهو مع رخاوته حامل
للما الثقيل وممسك له في جو الهوا الى ان ياذن الله تعالى في
ارسال الما وتقدير القطرات كل قطرة بالقدر الذي اراده الله وعلى

الشكل الذي شاءه فترى السحاب يرش على الارض ويرسله
قطرات متفاصلة لا يدرك قطر منها قطرة ولا تتصل واحدة
باخرى بل ينزل كل واحد في الطريق الذي رسم لها لا تعدل عنه
لا يتقدم المتاخر ولا يتاخر المتقدم حيث يصب الارض قطرة قطرة
فلو اجتمع الاولون والاخرون على ان يخلقوا منها قطرة او
يعرفوا عدد ما ينزل منها في بلدة واحدة او في قرية واحدة
لعجز حساب الجن والانس فلا يعلم عددها الا الذي اوجدها
ثم كل قطرة منها عينت لكل جزء من الارض ولكل حيوان فيها
من طير ووحش وجميع الحشرات والدواب مكتوب على تلك
القطرة بخط الهي لا يدرك بالبصر الظاهر الذي هو رزق
الدار الفلاني الذي هو في ناحية الجبل الفلاني ليصل اليه عند
عطشه في الوقت هذا مع ما في انعقاد البرد الصلب من الماء
اللطيف وفي تناثر الثلوج كالقطن المندوف من العجايب
التي لا تحصى كل ذلك فضل من الجبار القادر وقهر من الخلاق
القاهر ما لاحد من الخلق فيه شرك ولا مدخل بل ليس للمومنين
من خلقه الا الاستكانة والخضوع تحت جلاله وعظمته ولا للعميان
الجاحدين الجاهلين الا الجهل بكيفيته ورجم الظن بذكر شبيه

وعلته وقول الجاهل المغرور انما ينزل الماء لانه ثقيل بطبعه وانما
هذا سبب نزوله وهو يظن ان هذه معرفة انكشفت له ويفرح
به ولو قيل له ما معنى الطبع ومن الذي خلقه ومن الذي خلق
الماء الذي طبعه ثقيل وما الذي رقى الماء المصبوب في اسافل
الاشجار الى اعالي الاغصان وهو ثقيل بطبعه فكيف هوى الى
اسفل ثم ارتفع الى فوق في داخل تجويف الاشجار شيئا شيئا بحيث
لا يرى ولا يشاهد حتى ينتشر في جميع اطراف الاوراق فيغذي
كل جزء من كل ورقة ويجري اليها في تجاويف عروق شعرية صغار
يرى منه العرق الذي هو اصل الورق ثم ينتشر من ذلك الى
العرق الكبير الممدود في طول الورقة عروق صغار فكان الكبير نهر
وانشعب منه جداول ثم يتشعب من الجداول سواقي اصغر منها
ثم ينتشر منها خيوط عنكبوتيه دقيقه تخرج من ادراك البصر
حتى تنبسط في جميع عرض الورقة فيصل الماء من اجوافها الى
ساير اجزاء الورقة ليغذيها وينميها ويربيها ويبقى طراها وطراوتها
وكذلك الى ساير اجزاء الفواكه فان كان الماء يتحرك بطبعه
الى اسفل فكيف يتحرك الى فوق فان كان ذلك بجذب جاذب
فما الذي يسخر الجاذب فان كان ينتهي بالاخرة الى خالق السموات

والارض وجبار الملك والملكوت فلا تجال عليه في اول الامر
فنهاية الجاهل بداية العاقل ومن اياته ملكوت السموات
وما فيها من الكواكب وهو الامر كله ومن ادرك الكل وفاته
عجايب السموات فقد فاته الكل تحقيقا فالارض والبحار والهوا
وكل جسم سوى السموات بالاضافة الى السموات كقطرة في بحر
واصغر ثم انظر كيف عظم الله تعالى امر السموات والنجوم في
كتابه فما من سورة الا وتشتمل على تعجبها في مواضع وكم من قسم
في القران بها كقوله تعالى والسماء ذات البروج والسماء والطارق
وما ادراك ما الطارق والسماء ذات الحبك والسماء وما بناها
وقوله والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها وكقوله فلا اقسم بالخنس
الجوار الكنس وقوله والنجم اذا هوى فلا اقسم بمواقع النجوم
وانه لقسم لو تعلمون عظيم فقد علمت ان عجايب النطفة القذرة عجز
عن معرفتها الاولون والاخرون وما اقسم الله بها فما ظنك بما اقسم
الله به واحال الارزاق عليه واضافها اليه فقال وفي السماء رزقكم
وما توعدون واثنى على المتفكرين فيه فقال ان في خلق السموات
ويتفكرون في خلق السموات والارض وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويل لمن قرا هذه الاية ثم مسح بها سبلته اي تجاوزها

من غير فكر وذم المعرضين عنها فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا
وهم عن اياتها معرضون فاي نسبة لجميع البحار والارض الى السماء
وهن متغيرات على القرب والسموات صلاب شداد محفوظات
عن التغير الى ان يبلغ الكتاب اجله ولذلك سماه الله تعالى محفوظا
فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال وبنينا فوقكم سبعا
شدادا وقال انتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسواها
واغطش ليلها واخرج ضحاها فانظر الى الملكوت لترى عجايب
العز والجبروت ولا تظنن ان معنى النظر الى الملكوت بان تمد
البصر اليه وترى زرقة السماء وضوء الكواكب فان البهايم تشاركك
في هذا النظر فان كان هذا هو المراد فلم مدح الله ابرهيم عليه
السلام بقوله وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض
بل كلما يدرك بحاسة البصر فالقران يعبر عنه بالملك
والشهادة وما غاب عن الابصار فيعبر عنه بالغيب والملكوت
ولا يحيط احد بشي من علمه الا بما شاء وهو عالم الغيب فلا يطلع
على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فاجل ايها المغرور
فكرك في الملكوت فعسى تفتح لك ابواب السماء فتجول
بقلبك في اقطارها الى ان يقوم قلبك بين يدي عرش الرحمن

فعند ذلك ربما يرجى لك ان تبلغ رتبة عمر بن الخطاب حيث
قال راى قلبي ربي جل جلاله وهذا لان بلوغ الاقصى لا
يكون الا بعد مجاوزة الادنى وادنى شي اليك نفسك ثم
الارض التي هي مقرك ثم الهواء المكتنف ثم النبات والحيوان
وما على وجه الارض ثم عجايب الجو وهو ما بين السماء والارض
ثم السموات السبع بكواكبها ثم الكرسي والعرش ثم الملايكة الذين
هم حملة العرش وخزان السموات ثم منه تجاوز النظر الى رب
العرش والسموات والارض وما بينهما فبينك وبينه هذه
المفاوز الفيح والمسافات الشاسعة والعقبات الشاهقة
وانت بعد لم تفرغ من العقبة القريبة النازلة وهي معرفة
ظاهر نفسك ثم صرت تطلق اللسان بوقاحتك وتدعي معرفة
ربك وتقول قد عرفته وعرفت خلقه ففيماذا اتفكر وفي ماذا
اتطلع فارفع الان راسك الى السماء وانظر اليها وفي كواكبها
وفي دورانها وطلوعها وغروبها وشمسها وقمرها واختلاف مشارقها
ومغاربها ودووبها في الحركة على الدوام من غير فتور في حركتها ومن
غير تغير في سيرها بل تجري جميعها في منازل مرتبة بحساب مقدر
لا يزيد ولا ينقص الى ان يطويها الله تعالى كطي السجل للكتاب

وتدبر عدد كواكبها وكثرتها واختلاف الوانها فبعضها يميل الى الحمرة
وبعضها الى البياض وبعضها الى لون الرصاص ثم انظر كيف اشكالها
فبعضها على صورة الحمل وبعضها على صورة العقرب وبعضها على
صورة الجمل والسرطان والثور والاسد والانسان وما من
صورة في الارض الا ولها منازل في السماء ثم انظر الى مسير الشمس
في فلكها في مدة سنة ثم هي تطلع في كل يوم وتغرب بسير اخر
سخرها خالقها ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار
واطبق الظلام على الدوام او الضياء على الدوام وكان لا يتميز وقت
المعاش عن وقت الاستراحة فانظر كيف جعل الله الليل لباسا
والنوم سباتا والنهار معاشا وانظر الى ايلاجه الليل في النهار والنهار
في الليل وادخاله الزيادة والنقصان عليهما على ترتيب مخصوص
وانظر الى امالته مسير الشمس عن وسط السماء حتى اختلف بسببه
الصيف والشتاء والربيع والخريف فاذا انخفضت الشمس من
وسط السماء برد الهوى وظهر الشتا واذا استوت في وسط
السماء اشتد القيظ واذا كان فيما بينهما اعتدل الزمان
وعجايب السموات لا مطمع في معرفة عشر عشير جزء من اجزايها
وانما هذا تنبيه على طريق التفكر واعتقد على الجملة انه ما من

كوكب من الكواكب الا ولله تعالى فيه حكم كثيرة في خلقه ثم
في مقداره وشكله ثم في لونه ثم في وضعه من السماء وقربه من
وسط السماء وبعده وقربه من الكواكب التي بجنبه وبعده وقس
ذلك بما ذكرناه من اعضاء بدنك اذ ما من جزء الا وفيه
حكمة بل حكم كثيرة وامر السماء اعظم بل لا نسبة لعالم الارض
الى عالم السماء لا في كبر جسمه ولا في كثرة معانيه وقس التفاوت
الذي بينهما في كثرة المعاني بما بينهما من التفاوت في كبر الارض
فانت تعرف كبر الارض واتساع اطرافها لانه لا يقدر آدمي
عليه يعني ان يدور جوانبها وقد اتفق الناظرون على ان الشمس
مثل الارض مائة ونيفا وستين مرة، وفي الاخبار ما يدل على
عظمها والكواكب التي تراها اصغرها هو مثل الارض ثمان مرات
واكبرها تنتهي الى قريب من مائة وعشرين مرة مثل الارض
وبهذا يعرف ارتفاعها وبعدها اذ للبعد صارت ترى
صغارا ولذلك اشار الى بعدها فقال رفع سمكها فسواها
وفي الاخبار ان بين كل سماء الى الاخرى مسيرة خمسمائة عام فاذا
كان هذا مقدار كوكب واحد من الارض فانظر الى كثرة
الكواكب ثم الى السماء التي الكواكب مركوزة فيها والى عظمها

ثم انظر الى سرعة حركتها وانت لا تحس بحركتها فضلا عن ان
تدرك سرعتها ولكن لا تشك في انها في لحظة تسير مقدار
عرض الكواكب لان الزمان من طلوع اول جزء من كوكب الى تمامه
يسير وذلك الكوكب مائة مرة وزيادة فقد دار الفلك في هذه
اللحظة مثل الارض مائة مرة وهكذا يدور على الدوام وانت
غافل عنه وانظر كيف عبر جبريل عليه السلام عن سرعة
حركته حيث قال له النبي صلى الله عليه وسلم هل زالت الشمس
قال لا نعم فقال كيف لا نعم فقال من حيث قلت لا الى ان قلت ان م
نعم سارت الشمس مسيرة خمسمائة عام فانظر الى عظم شخصها
ثم الى خفة حركتها ثم انظر الى قدرة الله الفاطر الحكيم كيف
اثبت صورها مع اتساع اكنافها في حدقة عين مع صغرها
حتى تجلس على الارض وتفتح عينيك نحوها فترى جميعها
فهذه السماء بعظمها وكثرة كواكبها لا تنظر اليها بل انظر
الى باريها جل جلاله كيف خلقها ثم امسكها من غير عمد ترونها
ومن غير علاقة من فوقها وكل العالم كبيت واحد والسماء سقفه
والعجب منك انك تدخل بيت غني فتراه مزوقا بالصبغ مموها
بالذهب فلا ينقطع تعجبك منه ولا تزال تذكره وتصف حسنه

طول عمرك وانت تنظر ابدا الى هذا البيت العظيم والى ارضه
والى سقفه والى هوايه والى عجايب امتعته وغرايب حيواناته
وبدايع نقوشه ثم لا تتحدث فيه ولا تلتفت بقلبك اليه فما هذا
البيت دون الذي تصفه بل ذلك البيت ايضا جزء من الارض
التي هي اخس اجزاء هذا البيت ومع ذلك فلا تنظر اليه ليس
له سبب الا انه بيت ربك الذي انفرد ببنيانه وترتيبه وانت
قد نسيت نفسك وربك وبيت ربك واشتغلت ببطنك وفرجك
ليس لك هم الا شهوتك او حشمتك وغاية شهوتك ان تملا
بطنك ولا تقدر على ان تاكل عشر ما ياكله بهيمة فتكون
البهيمة فوقك بعشر درجات وغاية حشمتك ان يقبل عليك
عشرة او مائة من معارفك فينافقون بالسنتهم بين يديك ويضمرون
خبايث الاعتقادات عليك وان صدقوك في مودتهم اياك
فلا يملكون لك ولا لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة
ولا نشورا وقد يكون في بلدك من اغنياء اليهود والنصارى
من يزيد جاهه على جاهك وقد اشتغلت بهذا الغرور وغفلت
عن النظر في ملكوت السموات والارض ثم عن التنعم بالنظر الى
جلال مالك الملكوت والملك وما مثلك ومثل غفلتك الا

كمثل النملة تخرج من جحرها الذي في قصر مشيد من قصور
الملك رفيع الملك والبنيان حصين الاركان مزين بالجواري
والغلمان وانواع الذخاير والنفايس فانها اذا خرجت من
جحرها ولقيت صاحبتها لم تتحدث لو قدرت على النطق الا
عن بيتها وغذايها وكيفية ادخارها واما حال القصر
والملك الذي في القصر فهي بمعزل عنه وعن التفكر فيه بل لا قدرة
لها على المجاوزة عن النظر الى نفسها وغذايها وبيتها الى غيره
وكما غفلت النملة عن القصر وعن ارضه وسقفه وحيطانه
وفي ساير بنيانه وغفلت ايضا عن سكانه فانت ايضا غافل عن
بيت الله وعن ملايكته الذين هم سكان سمواته ولا تعرف
من السماء الا ما تعرفه النملة من سقف بيتك ولا تعرف من
ملايكة السموات الا ما تعرفه النملة منك ومن سكان بيتك
نعم ليس للنملة طريق الى ان تعرفك وتعرف عجايب قصورك
وبدايع صنع الصانع فيه واما انت فلك قدرة على ان تجول
في الملكوت وتعرف من عجايبه ما الخلق غافلون عنه ولنقبض
عنان الكلام عن هذا النمط فانه مجال لا اخر له ولو استقصينا
اعمارا طويلة لم نقدر على شرح ما تفضل الله به علينا بمعرفته

فكل ما عرفناه قليل نزر بالاضافه الى ما عرفه الانبيا وجمله
ما عرفوه قليل بالاضافه الى ما عرفه نبينا عليه السلام وما
عرفه الانبياء قليل بالاضافه الى ما عرفه الملايكه المقربون
كاسرافيل وجبريل وغيرهما ثم جميع علوم الملايكه والجن والانس
اذا اضيف الى علم الله تعالى لم يستحق ان يسمى علما بل هو الى
ان يسمى دهشا وحيره وقصورا وعجزا اقرب فسبحان من
عرف عباده ما عرف ثم خاطب جميعهم فقال وما اوتيتم من
العلم الا قليلا، فهذا بيان معاقد الجمل التى تجول فيها فكر
المتفكرين في خلق الله وليس فيها فكر في ذات الله ولكن
يستفاد من الفكر في الخلق لا محاله معرفة الخالق وعظمته
وجلاله وقدرته وكلما استكثرت من معرفة عجايب صنع الله تعالى
كانت معرفتك بجلاله وعظمته اتم وهذا كما انك تعظم عالما
بسبب معرفتك بعلمه فلا تزال تطلع على غريبه من تصنيفه
او شعره فتزداد به معرفه وتزداد بحسبه له توقيرا وتعظيما
واحتراما حتى ان كل كلمة من كلماته وكل بيت عجيب من ابيات
شعره يزيده محلا في قلبك ويستدعي التعظيم له في نفسك فهكذا
تامل في خلق الله تعالى وتصنيفه وتاليفه وكل ما في الوجود من

خلق الله وتصنيفه وتاليفه والنظر والفكر فيه لا يتناهى ابدا
وانما لكل عبد منه بقدر ما رزق ولنقتصر على ما ذكرناه ولنضف
الى هذا ما فصلناه في كتاب الشكر فانا نظرنا في ذلك الكتاب
في فعل الله تعالى من حيث هو احسان وانعام علينا وفي هذا الكتاب
نظرنا فيه من حيث انه فعل الله فقط وكل ما نظرنا فان الطبيعي
ينظر فيه ويكون نظره سبب ضلالته وشقاوته والموفق ينظر
فيه فيكون سبب هدايته وسعادته وما من ذرة في السما والارض
الا والله سبحانه وتعالى يضل بها من يشا ويهدي من يشا فمن
نظر في هذه الامور من حيث انها فعل الله وصنعه استفاد
منه المعرفه بجلال الله وعظمته واهتدى ومن نظر فيها قاصرا
للنظر عليها من حيث تاثير بعضها في بعض لا من حيث ارتباطها
بمسبب الاسباب فقد شقي وارتدى فنعوذ بالله من الضلال
ونساله ان يجنبنا مزلة اقدام الجهال بمنه وفضله

تم كتاب الفكر بعون الله تعالى وحسن توفيقه
ويتلوه كتاب ذكر الموت ان شا الله تعالى

كتاب ذكر الموت وما بعده وهو

الكتاب العاشر من ربع المنجيات من احيا علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم ٥ الحمد لله الذي قصم
بالموت رقاب الجبابرة، وكسر به ظهور الاكاسرة، وقصر به
امال القياصرة، الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة، حتى
جاءهم الوعد الحق فاذاهم في الحافرة، فنقلوا من القصور الى القبور
ومن ضياء المهود الى ظلمة اللحود، ومن ملاعبة الجواري والغلمان
الى مقاساة الهوام والديدان ومن التنعم بالشراب الى التمرغ
في التراب ومن انس العشرة الى وحشة الوحدة، ومن المضجع
الوثير الى المصرع الوبيل، فانظر هل وجدوا من الموت حصنا
او اتخذوا من دونه حجابا وحرزا، هل تحس منهم من احد او تسمع
لهم ركزا، فسبحان من تفرد بالقهر والاستيلاء، واستاثر
باستحقاق البقاء، واذل اصناف الخلق بما كتب عليهم من الفناء،
ثم جعل الموت مخلصا للاتقياء، وموعدا في حقهم للقاء، وجعل
القبر سجنا للاشقياء، وحبسا ضيقا عليهم الى يوم الفصل والقضاء
فله الانعام بالنعم المتظاهرة، وله الانتقام بالنقم القاهرة، وله
الشكر في السموات والارض وله الحمد في الاولى والاخرة ٥
وصلى الله على محمد ذي المعجزات الظاهرة، والايات الباهرة، وعلى
اله واصحابه وسلم كثيرا ٥ اما بعد فجدير لمن الموت مصرعه

والتراب مضجعه، والدود انيسه، ومنكر ونكير جليسه، والقبر
مقره، وبطن الارض مستقره، والقيامة موعده، والجنة
والنار مورده، ان لا يكون له فكر الا في الموت ولا ذكر الا له،
ولا استعداد الا لاجله، ولا تدبير الا فيه، ولا تطلع الا اليه،
ولا تعريج الا عليه، ولا اهتمام الا به، ولا حوم الا حوله، ولا
انتظار وتربص الا له، وحقيق بان يعد نفسه من الموتى
ويراها من اصحاب القبور، فان ما هو ات قريب والبعيد ما ليس
بات، وقد قال عليه السلام الكيس من دان نفسه وعمل لما
بعد الموت، ولن يتيسر الاستعداد الا عند تجدد ذكره على القلب
ولا يتجدد ذكره الا عند التذكر بالاصغاء الى المذكرات له، والنظر
في المنبهات عليه، ونحن نذكر من امر الموت ومقدماته ولواحقه
واحوال القيمة والاخرة والجنة والنار ما لا بد للعبد من
تذكاره على التكرار، وملازمته بالافكار والاستبصار، ليكون
ذلك مستحثا على الاستعداد بعد قرب الرحيل، فما بقي من
العمر الا قليل والخلق غافلون، اقترب للناس حسابهم وهم
في غفلة معرضون، ونحن نذكر ما يتعلق بالموت في شطرين ٥
الشطر الاول في مقدماته وتوابعه الى نفخة الصور

وفيه ثمانية ابواب الباب الاول في فضل ذكر
الموت والترغيب فيه الباب الثاني في ذكر طول
الامل وقصره الباب الثالث في سكرات الموت
وشدته وما يستحب من الاحوال عند الموت الباب
الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء
الراشدين بعده الباب الخامس في كلام المحتضرين
من الخلفاء والامراء والصالحين الباب السادس
في اقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور
الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر
الى نفخة الصور ٥ الباب الثامن فيما عرف من احوال
الموتى بالمكاشفة في المنام ٥

الباب الاول في ذكر الموت والترغيب في

الاكثار من ذكره ، اعلم ان المنهمك في الدنيا المكب على غرورها
المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محاله عن ذكر الموت فلا يذكره
واذا ذكر به كرهه ونفر منه واولئك هم الذين قال الله تعالى
فيهم قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون
الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ، ثم الناس

اما منهمك او تائب مبتدئ او عارف منتهي اما المنهمك فلا
يذكر الموت وان ذكره فيذكره للتاسف على دنياه ويشتغل
بمذمته وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعدا ، واما التائب
فانه يكثر ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية
فيفي بتمام التوبه وربما يكره الموت خيفة من ان يختطفه
قبل تمام التوبه وقبل اصلاح الزاد وهو معذور في كراهة
الموت ولا يدخل هذا تحت قوله عليه السلام من كره لقاء الله
كره الله لقاءه فان هذا ليس يكره الموت ولقاء الله وانما
يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره وهو كالذي يتاخر
عن لقاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد على وجه يرضاه ولا
يعد كارها للقائه وعلامة هذا ان يكون دائم الاستعداد
له لا شغل له سواه والا التحق بالمنهمك في الدنيا ، واما
العارف فانه يذكر الموت دائما وانما يذكره لانه موعد لقائه
بحبيبه والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب وهذا في غالب
الامر يستبطئ مجيء الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين
وينتقل الى جوار رب العالمين كما روي عن حذيفة انه لما حضرته
الوفاه قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم اللهم ان كنت

تعلم ان الفقر احب الي من الغني والسقم احب الي من الصحه
والموت احب الي من الحياة فسهل علي الموت حتي القاك ٥
فاذن التايب معذور في كراهه الموت وهذا معذور في حب
الموت وتمنيه ، واعلي رتبه من فوض امره الي الله تعالي فصار
لا يختار لنفسه موتا ولا حياة ولا بل يكون احب الاشيا اليه
احبها الي مولاه فهذا قد انتهي بفرط الحب والولاء الي مقام
التسليم والرضا وهو الغايه والمنتهي ، وعلي كل حال ففي ذكر
الموت ثواب وفضل فان المنهمك في الدنيا ايضا يستفيد بذكر
الموت التجافي عن الدنيا اذ ينغص عليه نعيمه ويكدر عليه صفو
لذاته وكلما يكدر علي الانسان اللذات والشهوات فهو من
اسباب النجاة ٥ **بيان فضل ذكر الموت كيفما كان**
قال عليه السلام اكثروا ذكر هادم اللذات معناه نغصوا بذكره
اللذات حتي ينقطع ركونكم اليها فتقبلوا علي الله تعالي وقال
عليه السلام لو تعلم البهايم من الموت ما يعلم ابن ادم ما
اكلتم منها سمينا وقالت عايشه يا رسول الله هل يحشر مع
الشهداء احد قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليله عشرين
مره وانما سبب هذه الفضيله كلها ان ذكر الموت يوجب التجافي

عن دار الغرور ويتقاضي الاستعداد للاخره والغفله عن
الموت تدعو الي الانهماك في شهوات الدنيا ، وقال عليه
السلام تحفة المومن الموت ، وانما قال هذا لان الدنيا سجن
المومن اذ لا يزال فيها في عناء من مقاساة نفسه ورياضة شهواته
ومدافعه شيطانه فالموت اطلاق له من هذا العذاب والاطلاق
تحفه في حقه ، وقال عليه السلام الموت كفارة لكل مسلم واراد
بهذا المسلم حقا المومن صدقا الذي يسلم المسلمون من لسانه
ويده ويتحقق فيه اخلاق المومنين ولم يتدنس من المعاصي الا
باللمم والصغاير فالموت يطهره ويكفرها بعد اجتنابه الكباير
واقامته الفرايض ، وقال عطا الخراساني مر رسول الله صلي
الله عليه وسلم بمجلس قد استعلاه الضحك فقال شوبوا مجلسكم
بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت ، وقال
انس بن مالك قال رسول الله صلي الله عليه وسلم كفي بالموت
مفرقا ، وقال عليه السلام كفي بالموت واعظا ، وخرج رسول
الله صلي الله عليه وسلم الي المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون
فقال اذكروا الموت اما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ، وذكر عند رسول الله صلي الله

عليه وسلم رجل فاحسنوا الثنا عليه فقال كيف كان ذكر
صاحبكم الموت قالوا اما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال
فان صاحبكم ليس هنالك، وقال ابن عمر اتيت النبي صلى الله
عليه وسلم عاشر عشره فقال رجل من الانصار من اكيس
الناس واكرم الناس يا رسول الله فقال اكثرهم للموت ذكرا
واشدهم له استعدادا اوليك هم الاكياس ذهبوا بشرف
الدنيا وكرامة الاخره ٥ واما الاثار فقد قال الحسن
فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحا، وقال الربيع بن خثيم
ما غايب ينتظره المومن خيرا له من الموت، وكان يقول لا تشعروا
بي احدا وسلوني الى ربي سلا، وكتب بعض الحكما الى رجل من
اخوانه يا اخي احذر الموت في هذه الدار قبل ان تصير الى دار
تتمنى فيها الموت فلا تجده، وكان ابن مسعود اذا ذكر عنده الموت
مات كل عضو منه، وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليله الفقها
فيتذاكرون الموت والقيامه والاخره ثم يبكون حتى كان بين
ايديهم جنازه، وقال ابرهيم التيمي شيان قطعا عني لذاذه
الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله عز وجل، وقال كعب
رحم الله من عرف الموت هانت عليه مصايب الدنيا وهمومها،

وقال مطرف

وقال مطرف رايت فيما يرى النايم كان قايلا يقول في وسط
مسجد البصره قطع ذكر الموت قلوب الخايفين فوالله ما تراهم
الا والهين، وقال اشعث كنا ندخل على الحسن وانما هو في
ذكر النار وذكر الاخره وامر الاخره وذكر الموت، وقالت صفيه
ان امراه شكت الى عايشه قساوه قلبها فقالت اكثري ذكر
الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها فجات تشكر عايشه، وكان
عيسى عليه السلام اذا ذكر عنده الموت يقطر جلده دما، وكان
داود عليه السلام اذا ذكر الموت والقيامه بكى حتى تخلع اوصاله
فاذا ذكر الرحمه رجعت اليه نفسه، وقال الحسن ما رايت عاقلا
قط الا اصبته من الموت حذرا وعليه حزينا، وقال عمر بن
عبد العزيز لبعض العلما عظني فقال انت اول خليفه يموت قال
زدني قال ليس احد من ابايك الى ادم الا ذاق الموت وقد
جات نوبتك فبكى عمر بن عبد العزيز، وكان الربيع بن خثيم قد
حفر قبرا في داره وكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم بذلك
ذكر الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت قلبي ساعه لفسد،
وقال مطرف بن عبد الله ان هذا الموت قد نغص على اهل النعيم
نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه، وقال عمر بن عبد العزيز لعنبسه

اكثر ذكر الموت فان كنت واسع العيش ضيقه عليك وان
كنت ضيق العيش وسعه عليك، وقال ابو سليمان الداراني
قلت لام هارون اتحبين الموت قالت لا قلت لم قالت لو عصيت
ادميًا ما اشتهيت لقاه فكيف احب لقاه وقد عصيته ٥

بيان الطريق الى تحقيق ذكر الموت على القلب

اعلم ان الموت هايل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلة
فكرهم فيه وذكرهم له ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ بل
بقلب مشغول بشهوات الدنيا فلا ينجع ذكر الموت في قلبه ٥
فالطريق فيه ان يفرغ العبد قلبه من كل شي الا من ذكر
الموت الذي هو بين يديه كالذي يريد ان يسافر الى مفازة
مخطرة او يركب البحر فانه لا يتفكر الا فيه فاذا باشر ذكر
الموت قلبه فيوشك ان يوثر فيه وعند ذلك يقل فرحه
وسروره بالدنيا وينكسر قلبه واوقع طريق فيه ان يكثر ذكر
اشكاله واقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصارعهم
تحت التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم واحوالهم ويتامل كيف
محى التراب حسن صورهم وكيف تبددت اجزاوهم في قبورهم
وكيف ارملوا نساهم وايتموا اولادهم وضيعوا اموالهم

130 وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم وانقطعت اثارهم فمهما تذكر
رجلا رجلا وفصل في قلبه حاله وكيفية موته وتوهم صورته
وتذكر نشاطه وتردده وامله للعيش والبقا ونسيانه للموت
وانخداعه بمواتات الاسباب وركونه الى القوة والشباب
وميله الى الضحك واللهو وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع
والهلاك السريع وانه كيف كان يتردد والان كيف تهدمت
رجلاه ومفاصله وكيف كان ينطق وقد اكل الدود لسانه
وكيف كان يضحك وقد اكل التراب اسنانه وانه كيف كان
يدبر لنفسه ما لا يحتاج اليه في عشر سنين في وقت لم يكن
بينه وبين الموت الا شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاه الموت
في وقت لم يحتسبه وانكشف له صورة الملك وقرع سمعه الندا
اما بالجنة او بالنار فعند ذلك ينظر في نفسه انه مثلهم وغفلته
كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم، وقال ابو الدردا رضي
الله عنه اذا ذكرت الموتى فعد نفسك كاحدهم، وقال
ابن مسعود السعيد من وعظ بغيره، وقال عمر بن عبد العزيز الا
ترون انكم تجهزون كل يوم غاديا ورايحا الى الله تضعونه في
صدع من الارض قد توسد التراب وخلف الاحباب وقطع

الاسباب فملازمة هذه الافكار وامثالها مع دخول المقابر
ومشاهدة المرضى هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب حتى
يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه فعند ذلك يوشك ان
يستعد له ويتجافى عن دار الغرور والا فالذكر بظاهر القلب
وعذبة اللسان قليل الجدوى في التحذير والتنبيه ومهما
طاب قلبه بشيء من الدنيا ينبغي ان يتذكر في الحال انه لا بد
من مفارقته. نظر ابن مطيع ذات يوم الى داره فاعجبه حسنها
ثم بكى ثم قال والله لولا الموت لكنت بك مسرورا ولولا ما نصير
اليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا اعيننا ثم بكى بكاء شديدا
حتى ارتفع صوته ه

الباب الثاني في طول الامل، وفضيلة قصر الامل وسبب طوله وكيفية معالجته

بيان فضيلة قصر الامل قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لعبد الله بن عمر اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء
واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك
ومن صحتك لسقمك فانك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدا.
وروي عن علي رضي الله عنه انه عليه السلام قال ان ما اخاف عليكم
خصلتان اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فانه

يعدل عن الحق واما طول الامل فانه يحبب الدنيا ثم قال الا
ان الله يعطي الدنيا لمن يحب ويبغض واذا احب عبدا اعطاه
الايمان الا ان للدنيا ابنا وللاخرة ابنا وللدين ابنا فكونوا
من ابناء الدين ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا ان الدنيا قد
ارتحلت مولية الا ان الاخرة قد ارتحلت مقبلة الا وانكم
في يوم عمل ليس فيه حساب الا وانكم يوشكون في يوم حساب
ليس فيه عمل. وقالت ام المنذر اطلع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذات عشية الى الناس فقال ايها الناس اما تستحيون
قالوا وما ذاك يا رسول الله قال تجمعون ما لا تاكلون وتاملون
ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون. وقال ابو سعيد الخدري
اشترى اسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار الى شهر
فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا تعجبون
من اسامة المشتري الى شهر ان اسامة لطويل الامل والذي نفسي
بيده ما طرفت عيناي الا ظننت ان شفري عيني لا يلتقيان حتى
يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي وظننت اني واضعه حتى
اقبض ولا لقمت لقمة الا ظننت اني اسيغها حتى اغص بها من
الموت. ثم قال يا بني ادم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم من

الموتي والذي نفسي بيده انما توعدون لآت وما انتم بمعجزين
وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج
يهريق الماء فيتمسح بالتراب فاقول له يا رسول الله ان الماء منك
قريب فيقول ما يدريني لعلي لا ابلغه، ويروي انه عليه السلام اخذ
ثلاثة اعواد فغرز عودا بين يديه والآخر الى جنبه واما الثالث
فابعده وقال هل تدرون ما هذا فقالوا الله ورسوله اعلم قال
هذا الانسان وهذا الاجل وذلك الامل فيتعاطاه ابن ادم
فيختلجه الاجل دون الامل، وقال عليه السلام مثل ابن ادم
والى جنبه تسعة وتسعون منية ان اخطاته المنايا وقع في الهرم
وقال ابن مسعود هذا المرء وهذه الحتوف شوارع اليه والهرم
ورا الحتوف والامل ورا الهرم فهو مايل وهذه الحتوف
شوارع اليه فايها امر به اخذه فان اخطاته الحتوف قتله الهرم
وهو ينظر الى الامل، وقال عبد الله خط لنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم خطا مربعا وخط وسطه خطا وخط خطوطا
الى جانب الخط وخط خطا خارجا فقال اتدرون ما هذا
قلنا الله ورسوله اعلم قال هذا الانسان للخط الذي في
الوسط وهذا الاجل محيط به وهذه الاعراض للخطوط التي

حوله تنهشه ان اخطاه هذا نهشه هذا وذاك الامل يعني
الخط الخارج، وقال انس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يهرم ابن ادم ويبقى معه اثنان الحرص والامل، وفي رواية
ويشب معه اثنان الحرص على المال والحرص على العمر، وقال
عليه السلام نجا اول هذه الامة باليقين والزهد ويهلك آخر
هذه الامة بالبخل والامل، وقال بينا عيسى عليه السلام جالس
وشيخ يعمل بمسحاة يثير بها الارض فقال عليه السلام اللهم
انزع منه الامل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة فقال
عيسى اللهم اردد اليه الامل فقام فجعل يعمل فساله عيسى عليه
السلام عن ذلك فقال بينا انا اعمل اذ قالت لي نفسي الى متى
تعمل وانت شيخ كبير فالقيت المسحاة واضطجعت ثم قالت لي
نفسي والله لا بد لك من عيش ما بقيت فقمت الى مسحاتي، فقال
الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم اكلكم يحب ان يدخل الجنة
قالوا نعم يا رسول الله قال قصروا من الامل وثبتوا آجالكم بين
ابصاركم واستحيوا من الله حق الحيا، وكان عليه السلام يقول
في دعايه اللهم اني اعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة واعوذ بك
من حياة تمنع خير الممات واعوذ بك من امل يمنع خير العمل ه

الاثار قال مطرف بن عبد الله لو علمت متى اجلي لخشيت
على ذهاب عقلي ولكن الله تعالى منّ على عباده بالغفلة عن
الموت ولولا الغفلة ما تهنوا بعيش ولا قامت بينهم الاسواق
وقال الحسن السهو والامل نعمتان عظيمتان على بني ادم ولولا
هما ما مشى المسلمون في الطرق وقال الثوري بلغني ان الانسان
خلق احمق لولا ذلك لم يهنيه العيش وقال سعيد بن عبد الرحمن
انما عمرت الدنيا لقلة عقول اهلها وقال سلمن ثلاث اعجبتني يعني سلمان الفارسي
حتى اضحكتني مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل ليس يغفل عنه
وضاحك بملء فيه لا يدري اساخط عنه رب العالمين ام راض
وثلاث احزنتني حتى ابكتني فراق محمد وحزبه الاحبة وهول
المطلع والوقوف بين يدي ربي لا ادري الى الجنة يؤمر بي
او الى النار وقال بعضهم رايت زرارة بن اوفى بعد موته في
المنام فقلت اي الاعمال ابلغ عندكم قال التوكل وقصر الامل
وقال الثوري الزهد في الدنيا قصر الامل وليس باكل الغليظ
ولا لبس العباء وسال المفضل بن فضاله ربه عز وجل ان يرفع
عنه الامل فذهب عنه شهوة الطعام والشراب ثم دعا ربه عز
وجل ان يرده عليه الامل فرجع الى الطعام والشراب وقيل للحسن

يا ابا سعيد الا تغسل قميصك قال الامر اعجل من ذلك وقال
الحسن الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من وراكم وقال
بعضهم انا كرجل ماد عنقه والسيف عليه ينتظر متى تضرب
عنقه وقال داود الطاي رحمه الله لو املت ان اعيش شهرا
لرايتني قد اتيت عظيما وكيف اومل ذلك واري الفجايع تغشى
الخلايق في ساعات الليل والنهار وحكي انه جا شقيق البلخي
الى استاذ له يقال له ابو هاشم الرماني وفي طرف كسايه شي
مصرور فقال له استاذه ايش هذا معك قال لوزات دفعها
الي اخ لي وقال احب ان تفطر عليها فقال يا شقيق وانت
تحدث نفسك انك تبقى الى الليل لا كلمتك ابدا قال
فاغلق في وجهي الباب ودخل وقال عمر بن عبد العزيز في
خطبته ان لكل سفر زادا لا محالة فتزودوا لسفركم من الدنيا
الى الاخرة التقوى وكونوا كمن عاين ما اعد الله من ثوابه
وعقابه ترغبوا وترهبوا ولا يطولن عليكم الامل فتقسو قلوبكم
وتنقادوا لعدوكم فانه والله ما بسط امل من لا يدري لعله
لا يصبح بعد مسايه ولا يمسي بعد صباحه وربما كانت بين
ذلك خطفات المنايا وكم رايت ورايتم من كان بالدنيا مغترا

وانما تقر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله تعالى وانما
يفلح من امن من اهوال يوم القيمه فاما من لا يداوي كلما الا
اصابه جارح من ناحية اخرى فكيف يفرح اعوذ بالله ان
امركم بما انهى عنه نفسي فتخسر صفقتي وتظهر غيبتي وتبدو
مسكنتي في يوم يبدو فيه الغني والفقر الموازين فيه منصوبه
لقد عنيتم بامر لو عنيت به النجوم انكدرت او عنيت به الجبال
لذابت ولو عنيت به الارض لتشققت اما تعلمون انه ليس
بين الجنه والنار منزله وانكم صايرون الى احديهما ، وكتب
رجل الى اخ له اما بعد فان الدنيا حلم والاخره يقظه والمتوسط
بينهما الموت ونحن في اضغاث احلام والسلام ، وكتب اخ الى
اخ له ان الحزن على الدنيا طويل والموت من الانسان قريب
وللنقص في كل يوم منه نصيب وللبلى في جسمه دبيب فبادر قبل
ان ينادي بالرحيل والسلام ، وقال الحسن كان ادم عليه السلام
قبل ان يخطي امله خلف ظهره واجله بين عينيه فلما اصاب
الخطيه حول فجعل امله بين عينيه واجله خلف ظهره ، وقال
عبد الله بن شميط سمعت ابي يقول ايها المغتر بطول صحته اما
رايت ميتا قط من غير سقم ايها المغتر بطول المهله اما رايت

ماخوذا قط من غير عده لو فكرت في طول عمرك لنسيت ما قد
تقدم من لذاتك ابالصحه تغترون ام بطول العافيه تمرحون
ام من الموت تامنون ام على ملك الموت تجترون ان ملك
الموت اذا جاك لا تمنعه منك ثروة مالك ولا كثرة احتشادك
اما علمت ان ساعه الموت ذات كرب وغصص وندامه على التفريط
ثم يقول رحم الله عبدا عمل لما بعد الموت رحم الله عبدا نظر لنفسه
قبل نزول الموت ، وقال ابو زكريا التيمي بينما سليمان بن عبد الملك
في المسجد الحرام اذ اتي بحجر منقوش فطلب من يقروه فاتي بوهب بن
منبه فاذا فيه ابن ادم انك لو رايت قرب ما بقي من اجلك لزهدت
في طول املك ولرغبت في الزياده من عملك لقصرت من حرصك
وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك وقد زلت بك قدمك واسلمك
اهلك وحشمك فيفارقك الولد والقريب ورفضك الوالد
والنسيب فلا انت الى دنياك عايد ولا في حسناتك زايد فاعمل
ليوم القيمه قبل الحسره والندامه فبكى سليمان بكا شديدا ، وقال
بعضهم رايت كتابا من محمد بن يوسف الى عبد الرحمن بن يوسف
سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد
فاني احذرك متحولك من دار مهلتك الى دار اقامتك وجزاء

اعمالك فمصيرك في قرار باطن الارض بعد ظاهرها فياتيك
منكر ونكير فيقعدانك وينتهرانك فان يكن الله معك فلا
باس ولا وحشة ولا فاقه وان يك غير ذلك فاعاذني
الله واياك من سوء مصرع وضيق مضجع ثم يبلغك صيحة
الحشر ونفخ الصور وقيام الجبار لفصل قضاء الخلايق وخلا
الارض من اهلها والسموات من سكانها فباحت الاسرار واسعرت
النار ووضعت الموازين وجيء بالنبيين والشهداء وقضي
بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين فكم من مفتضح ومستور
وكم من هالك وناج وكم من معذب ومرحوم فياليت شعري ما
حالي وحالك يوميذ ففي هذا ما هدم اللذات وسلى عن
الشهوات وقصر عن الامل وايقظ النايمين وحذر الغافلين
اعاذنا الله واياك عن هذا الخطر العظيم واوقع الدنيا والاخرة
من قلبي وقلبك موقعهما من قلوب المتقين فانما نحن به وله
والسلام . وخطب عمر بن عبد العزيز فحمد الله واثنى عليه وقال
ايها الناس انكم لن تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى وان
لكم معادا يجمعكم الله فيه للحكم والفصل فيما بينكم فخاب
وشقي عبد اخرجه الله تعالى من رحمته التي وسعت كل شيء

وجنته التي عرضها السموات والارض وانما يكون الامان غدا
لمن خاف واتقى وباع قليلا بكثير وفانيا بباق وشقوه بسعاده
الاترون انكم في اسلاب الهالكين وسيخلف بعدكم الباقون
الاترون انكم في كل يوم تشيعون غاديا ورايحا الى الله عز
وجل وقد قضى نحبه وانقطع امله فتضعونه في بطن صدع
من الارض غير موسد ولا ممهد قد خلع الاسباب وفارق
الاحباب وايم الله اني لاقول مقالتي هذه ولا اعلم عند احد
منكم من الذنوب اكثر مما اعلم من نفسي ولكنها سنن من الله
تعالى عادله امر فيها بطاعته ونهى فيها عن معصيته واستغفر
الله ووضع كمه على وجهه وبكى حتى بلت دموعه لحيته
وما عاد الى مجلسه حتى مات . وقال القعقاع بن حكيم قد استعددت
للموت ثلاثين سنه فلو اتاني ما احببت تاخير شيء عن شيء .
وقال الثوري رحمه الله رايت شيخا في مسجد الكوفه يقول انا
في هذا المسجد منذ ثلاثين سنه انتظر الموت ان ينزل بي
لو اتاني ما امرته بشيء ولا نهيته عن شيء ولا لي على احد شيء
ولا لاحد عندي شيء . وقال عبد الله بن ثعلبة تضحك ولعل
اكفانك قد خرجت من عند القصار . وقال ابو محمد الزاهد

خرجنا في جنازة بالكوفة وخرج فيها داود الطاي فانتبذ
فقعد ناحيه وهي تدفن فجيت فقعدت قريبا منه فتكلم وقال
من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال امله ضعف عمله
وكلما هو آت قريب واعلم يا اخي ان كل شي شغلك عن ربك فهو
عليك مشوم اعلم ان اهل الدنيا جميعا من اهل القبور وانما
يندمون على ما يخلفون ويفرحون بما يقدمون فما ندم عليه اهل
القبور اهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه عند
القضاه يختصمون ○ وروي ان معروفا الكرخي اقام الصلاة قال
محمد بن ابي توبه فقال لي تقدم فقلت ان صليت بكم هذه الصلاة
لم اصل بكم غيرها قال معروف وانت تحدث نفسك انك تصلي
صلاة اخري نعوذ بالله من طول الامل فانه يمنع خير العمل وقال
عمر بن عبد العزيز في خطبته ان الدنيا ليست بدار قراركم كتب الله
عليها الفنا وكتب على اهلها الظعن فكم من عامر موثق عما قليل يخرب
وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن فاحسنوا رحمكم الله منها الرحله
باحسن ما يحضركم من النقله وتزودوا فان خير الزاد التقوى
انما الدنيا كفي ظلال قلص فذهب بينا ابن ادم في الدنيا ينافس
وهو بها قرير العين اذ دعاه الله تعالى فقدره ورماه بيوم حتفه

فسلبه اثاره ودنياه وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه
ان الدنيا لا تسر بقدر ما تضر انها تسر قليلا وتحزن طويلا ○
وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه كان يقول في
خطبته اين الوضاه الحسنه وجوههم المعجبون بشبابهم
اين الملوك الذين بنوا المداين وحصنوها بالحيطان اين
الذين كانوا يعطون الغلبه في مواطن الحرب قد تضعضع بهم
الدهر فاصبحوا في ظلمات القبور الوحي الوحي ثم النجا النجا ○

بيان السبب في طول الامل اعلم ان طول الامل له
سببان احدهما الجهل والاخر حب الدنيا اما حب الدنيا فهو انه   الدنيا م
اذا انس بها وبشهواتها ولذاتها وعلايقها ثقل على قلبه
مفارقتها فامتنع قلبه عن الفكر في الموت الذي هو سبب
مفارقتها وكل من كره شيا دفعه عن نفسه والانسان
مشغوف بالاماني الباطله فيمني نفسه ابدا بما يوافق مراده
وانما يوافق البقا في الدنيا فلا يزال يتوهمه ويقدره في نفسه
ويقدر توابع البقا وما يحتاج اليه من اهل ومال ودار واصدقا
ودواب وساير اسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفا على هذا
الفكر موقوفا عليه فيلهو عن ذكر الموت ولا يقدر قربه فان خطر

لهُ في بعض الاحوال امر الموت والحاجة الى الاستعداد سوّف
ووعد نفسهُ وقال الايام بين يديك فالى ان تكبر ثم تتوب
فاذا كبر فيقول الى ان اصير شيخاً فاذا صار شيخاً قال الى ان
تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعه او ترجع من هذه
السفره او تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له
او تفرغ عن قهر هذا العدو الذي يشمت بك فلا يزال يسوّف
ويوخر ولا يخوض في شغل الا ويتعلق باتمام ذلك الشغل عشرة
اشغال اخر وهكذا على التدريج يوخر يوماً بعد يوم ويفضي به
شغل الى شغل بل الى اشغال الى ان تختطفهُ المنيه فيطول عند
ذلك حسرته واكثر اهل النار صياحهم من سوف يقولون واحزناه
من سوف والمسوف المسكين لا يدري ان الذي يدعوه الى التسويف
اليوم هو معهُ غداً وانما يزداد بطول المدة قوه ورسوخاً ويظن
ان الذي يمحو انهُ يتصور ان يكون للخائض في الدنيا فراغ قط
وهيهات ما فرغ منها الا من اطرحها ولذلك قيل

، فما قضى احد منها لبانتهُ ولا انتهى ارب الا الى ارب ،

واصل هذه الاماني كلها حب الدنيا والانس بها والغفلة عن
قوله السلام احبب من احببت فانك مفارقهُ ٥ واما الجهل

فهو ان الانسان قد يعول على شبابه فيستبعد قرب الموت مع
الشباب فليس يتفكر المسكين ان مشايخ بلده لو عدوا لكانوا
اقل من عشر رجال البلد وانما قلوا لان الموت في الشباب اكثر
فالى ان يموت شيخ يموت الف صبي وشاب وقد يستبعد الموت
بصحته ويستبعد الموت فجاه ولا يدري ان ذلك غير بعيد وان
كان ذلك بعيداً فالمرض فجاه غير بعيد وكل مرض فانما يقع فجاه
واذا مرض لم يكن الموت بعيداً ولو تفكر هذا الغافل وعلم ان
الموت ليس لهُ وقت مخصوص من شباب وشيب وكهوله ومن
صيف وشتا وخريف وربيع ومن ليل ونهار لعظم استشعاره
واشتغل بالاستعداد لهُ ولكن الجهل بهذه الامور وحب
الدنيا دعواه الى طول الامل والى الغفله عن تقدير الموت
القريب فهو ابداً يظن ان الموت يكون بين يديه ولا يقدر نزوله
به ووقوعه فيه وهو ابداً يظن ان تشيع الجنائز ولا يقدر ان
تشيع جنازته بان هذا قد تكرر عليه والفهُ وهو مشاهد موت
غيره واما موت نفسه فلم يالفهُ ولا يتصور ان يالفه واذا وقع
لم يقع وقعة اخرى بعد فهو الاول وهو الاخر ، وسبيله
ان يقيس نفسهُ بغيره ويعلم انه لا بد ان تحمل جنازته ويدفن في

قبره ولعل اللبن الذي يغطي به لحده قد ضرب وفرغ منه
وهو لا يدري فتسويفه جهل محض واذا عرفت ان سببه الجهل
وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه اما الجهل فيدفع بالفكر
الصافي من الخاصة وسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة
واما حب الدنيا فالعلاج في اخراجه من القلب شديد وهو
الداء العضال الذي اعيى الاولين والاخرين في علاجه ولا
علاج له الا الايمان باليوم الاخر وما فيه من عظيم العقاب
وجزيل الثواب ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه
حب الدنيا فان حب الخطير هو الذي يمحو عن القلب حب الحقير فاذا
راى حقارة الدنيا ونفاسة الاخرة استنكف ان يلتفت الى الدنيا
كلها وان اعطي ملك الارض من المشرق الى المغرب فكيف وليس
لكل عبد من الدنيا الا قدر يسير مكدر منغص فكيف يفرح بها
او يترسخ في القلب حبها مع الايمان بالاخرة فنسال الله تعالى ان
يرينا الدنيا كما اراها الصالحين من عباده ولا علاج في تقرير الموت
في القلب مثل النظر الى من مات من الاقران والاشكال والنظر
كيف جاءهم الموت بغتة في وقت لم يحتسبوا اما من كان مستعدا
فقد فاز فوزا عظيما واما من كان مغرورا بطول الامل فقد خسر

خسرانا مبينا ولينظر الانسان كل ساعة في اطرافه واعضائه
وليتدبر انه كيف يأكلها الديدان لا محالة وكيف تتفتت عظامه
وليتفكر في ان الدود يبدأ بحدقته اليمنى اولا او باليسرى فما على
بدنه شيء الا وهو طعمة للدود وما له من نفسه الا العلم والعمل
الخالص لوجه الله تعالى وكذلك يتفكر فيما سنورده من عذاب
القبر وسؤال منكر ونكير ومن الحشر والنشر واهوال القيمة وقرع
النداء يوم العرض الاكبر فامثال هذه الافكار هي التي تجدد ذكر الموت
على قلبه وتدعوه الى الاستعداد له ه **بيان مراتب
النفس في طول الامل وقصره** اعلم ان الناس في ذلك
يتفاوتون فمنهم من يامل البقاء ويشتهي ذلك ابدا قال الله
تعالى يود احدهم لو يعمر الف سنة ومنهم من يامل البقاء الى
الهرم وهو اقصى العمر الذي شاهده ورآه وهو الذي يحب
الدنيا حبا شديدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشيخ
شاب في حب طلب الدنيا وان التفت ترقوتاه من الكبر الا الذين
اتقوا وقليل ما هم ومنهم من يامل الى سنة فلا يشتغل بتدبير ما
وراءه ولا يقدر في نفسه وجودا في عام قابل ولكن هذا يستعد
في الصيف للشتاء وفي الشتاء للصيف فاذا جمع ما يكفيه لسنته

اشتغل بالعباده، ومنهم من يامل مدة الصيف او الشتا فلا
يدخر في الصيف ثياب الشتاء ولا في الشتاء ثياب الصيف، ومنهم
من يرجع امله الي يوم وليله فلا يستعد الا لنهاره واما الغد
فلا قال عيسى عليه السلام لا تهتموا لرزق غد فان يكن غد
من اجالكم فسياتيكم فيه ارزاقكم مع اجالكم وان لم يكن من اجالكم
فلا تهتموا الاجال غيركم، ومنهم من لا يجاوز امله ساعه كما
قال نبينا عليه السلام يا عبد الله اذا اصبحت فلا تحدث نفسك
بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح، ومنهم من لا
يقدر البقاء ايضا ساعه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيمم
مع القدره على الماء قبل مضي ساعه ويقول لعلي لا ابلغه، ومنهم
من يكون الموت نصب عينيه كانه واقع به فهو ينتظره وهذا
الانسان هو الذي يصلي صلاة مودع، وفيه نقل ما روي عن معاذ
لما ساله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حقيقة ايمانه فقال
ما خطوت خطوة الا ظننت اني لا اتبعها اخرى، وكما نقل عن
الاسود انه كان يصلي ليلا وهو يلتفت يمينا وشمالا فقال له
قايل ما هذا قال انتظر ملك الموت من اي جهة ياتيني، فهذه
مراتب الناس ولكل درجات عند الله فليس من امله مقصود
على شهر

على شهر كمن امله شهر ويوم بل بينهما تفاوت في الدرجه عند الله
تعالى فان الله لا يظلم مثقال ذره ومن يعمل مثقال ذره خيرا
يره ثم يظهر قصر الامل في المبادره الى العمل وكل انسان يدعي
انه قصير الامل وهو كاذب وانما يظهر ذلك باعماله فانه يعتني
باسباب ربما لا يحتاج اليها في سنه فيدل ذلك على طول امله
وانما علامة التوفيق ان يكون الموت نصب عينيه لا يغفل عنه
ساعه فيستعد للموت الذي يرد عليه في الوقت فان عاش الى
المسا شكر الله على طاعته وفرح بانه لم يضيع نهاره بل استوفى منه
حظه وادخر لنفسه ثم يستانف مثله الى الصباح وهكذا
اذا اصبح ولا يتيسر هذا الا لمن فرغ القلب عن الغد وما يكون فيه
فمثل هذا اذا مات سعد وغنم وان عاش سر بحسن الاستعداد
ولذة المناجات فالموت له سعاده والحياه له مزيد فليكن
الموت على بالك يا مسكين فان السير جاد بك وانت غافل عن
نفسك ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافه ولا
يكون كذلك الا بمبادرة العمل اغتناما لكل نفس امهلت
فيه والله الموفق

بيان المبادرة الى العمل وحذر آفة التاخير

اعلم ان من له اخوان غايبان ينتظر قدوم احدهما

غدا وينتظر قدوم الاخر بعد شهر او سنه فلا يستعد للذي
يقدم الى شهر وانما يستعد للذي ينتظر قدومه غدا فالاستعداد
ينتجه قرب الانتظار فمن انتظر مجي الموت بعد سنه اشتغل قلبه
بالسنه ونسي ما وراء المده ثم يصبح كل يوم وهو منتظر للسنه
بكمالها لا ينقص منها اليوم الذي مضى وذلك يمنعه من مبادره
العمل ابدا فانه ابدا يرى لنفسه متسعا في تلك السنه فيوخر
العمل كما قال النبي عليه السلام ما ينتظر احدكم الا غناء مطغيا
او فقرا منسيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا او موتا مجهزا
او الدجال والدجال شر غايب ينتظر او الساعه والساعه
ادهى وامر وقال ابن عباس لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا
قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك
قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وقال
عليه السلام نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحه والفراغ
اي انه لا يغتنمهما ثم يعرف قدرهما بعد زوالهما وقال عليه
السلام من خاف البيات ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعه
الله غاليه الا ان سلعه الله الجنه وقال عليه السلام جاءت
الراجفه تتبعها الرادفه جاء الموت بما فيه وكان عليه السلام

اذا انس من اصحابه غفله او غره نادى فيهم بصوت رفيع 165
اتتكم المنيه راتبه لازمه اما شقاوه واما سعاده وقال
ابو هريره قال عليه السلام انا النذير والموت المغير والساعه
الموعد وقال ابن عمر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
والشمس على اطراف السقف فقال ما بقي من الدنيا الا مثل
ما بقي من يومنا هذا في جنب ما مضى منه وقال عليه السلام
مثل الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى اخره فبقي متعلقا بخيط
في اخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع وقال جابر رضي الله
عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب فذكر
الساعه رفع صوته واحمرت وجنتاه كانه منذر جيش يقول
صبحكم ومساكم ويقول بعثت انا والساعه كهاتين وقرن بين
اصبعيه وقال ابن مسعود تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فقال ان النور
اذا دخل الصدر انفسح فقيل يا رسول الله هل لذلك من
علامه تعرف قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابه الى دار
الخلود والاستعداد قبل نزوله وقال السدي في قوله تعالى
الذي خلق الموت والحياه ليبلوكم ايكم احسن عملا اي ايكم اكثر

للموت ذكرًا واحسن له استعدادًا واشد منه خوفًا وحذرًا ،
وقال حذيفه ما من صباح ولا مسآء الا مناد ينادي ايها
الناس الرحيل الرحيل وتصديق ذلك قوله تعالى انها لاحدى
الكبر نذيرًا للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر في الموت ،
وقال سحيم مولى بني تميم جلست الى عامر بن عبد الله وهو يصلي فاوجز
في صلاته ثم اقبل علي وقال ارحني بحاجتك فاني ابادر قلت
وما تبادر قال ملك الموت رحمك الله قال فقمت عنه وقام
الى الصلاه ، ومر داود الطاي فساله رجل عن حديث فقال
دعني انما ابادر خروج نفسي ، وقال عليه السلام التوده في
كل شي خير الا في اعمال الاخره ، وقال المنذر سمعت مالك بن دينار
يقول لنفسه ويحك بادري قبل ان ياتيك الموت ويحك بادري
قبل ان ياتيك الموت كرر ذلك سبعين مره اسمعه ولا يراني ،
وكان يقول الحسن في موعظته المبادره المبادره فانما هي
الانفاس لو حبست انقطعت عنكم اعمالكم التي تقربون بها
الى الله رحم الله امرًا نظر لنفسه وبكى على ذنوبه ثم قرا انما
نعد لهم عدًا يعني الانفاس اخر العدد خروج نفسك اخر العدد
فراق اهلك اخر العدد دخولك في قبرك ، واجتهد ابو موسى

الاشعري اجتهادًا شديدًا فقيل له لو امسكت ورفقت بنفسك
بعض الرفق فقال ان الخيل اذا ارسلت فقاربت راس مجراها
اخرجت جميع ما عندها والذي بقي من اجلي اقل من ذلك قال
فلم يزل على ذلك حتى مات ، وكان يقول لامراته شدي رحلك
فليس على جهنم معبر ، وقال بعض الخلفا على منبر عباد الله
اتقوا الله ما استطعتم وكونوا قومًا صيح بهم فانتبهوا واعلموا
ان الدنيا ليست لكم بدار فاستبدلوا واستعدوا للموت فقد
اظلكم وترحلوا فقد حل بكم وان غاية تنقصها اللحظة
وتهدمها الساعه لجديره بقصر المده وان غائبًا يحدوه الليل
والنهار لجدير بسرعة الاوبه وان قادمًا يحل بالفوز او الشقوه
لمستحق لافضل العده فاتقى الله امرًا عبد ربه وناصح نفسه
وقدم توبته وغلب شهوته فان اجله مستور عنه واملة خادع
له والشيطان موكل به يمنيه التوبه ليسوفها ويزين له المعصيه
ليرتكبها حتى تهجم منيته عليه اغفل ما كان عنها وانه ما بين
احدكم وبين الجنة والنار منزل الا ان ينزل به فيالها حسره على
ذي غفله ان يكون عمره عليه حجه وان تؤديه ايامه الى شقوه
جعلنا الله واياكم ممن لا تبطره نعمته ولا يقصر به عن طاعة الله معصيه

ولا يحل به بعد الموت حسرة انه سميع الدعا، وانه بيده الخير
وانه فعال لما يشا، وقال بعض المفسرين في قوله تعالى فتنتم
انفسكم قال باللذات والشهوات وتربصتم قال بالتوبة وارتبتم
قال شككتم حتى جا امر الله قال الموت وغركم بالله الغرور،
وقال الحسن تصبروا وسددوا فانما هي ايام قلايل وانما انتم
وقوف يوشك الرجل منكم ان يدعا فيجيب ولا يلتفت فانتقلوا
بصالح ما بحضرتكم، وقال ابن مسعود ما منكم من احد اصبح الا
وهو ضيف وماله عاريه والضيف مرتحل والعاريه موداه
وقال ابو عبيده الناجي دخلنا على الحسن في مرضه الذي مات
فيه فقال مرحبا بكم واهلا وحياكم الله بالسلام واحلنا واياكم
دار المقام هذه علامة حسنة ان صبرتم وصدقتم وايقنتم ولا
يكن حظكم من هذا الخير رحمكم الله ان تسمعوه بهذه الاذن
وتخرجوه من هذه الاذن فانه من راي محمدا صلى الله عليه وسلم
فقد راه غاديا ورايحا لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة
ولكن رفع له علم فشمر اليه الوحي الوحي النجا النجا على ما تعرجون
انتم ورب الكعبة كانكم والامر معا رحم الله امرا جعل العيش عيشا
واحدا فاكل كسرة ولبس خلقا ولزق بالارض واجتهد في العبادة
وبكى على الخطيه وهرب من العقوبه وابتغى الرحمه حتى ياتيه
اجله وهو على ذلك، وقال عاصم الاحول قال لي فضيل الرقاشي
وانا اسايله يا هذا لا يشغلنك كثرة الناس عن نفسك فان الامر
يخلص اليك دونهم ولا تقل اذهب هاهنا وها هنا فينقطع عنك
النهار في لا شي فان الامر محفوظ عليك ولم تر شيا قط احسن
طلبا ولا احسن ادراكا من حسنة حديثة لذنب قديم ٥

الباب الثالث في سكرات الموت

وشدته وما يستحب من الاحوال عند الموت ٥

اعلم انه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول
ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديرا
بان يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه
وغفلته وحقيقا بان يطول فكره ويعظم له استعداده لا
سيما وهو في كل نفس بصدده كما قال بعض الحكما كرب
بيد سواك لا تدري متى يغشاك، وقال لقمن لابنه يا بني
امر لا تدري متى يلقاك استعد له قبل ان يفجاك، والعجب
ان الانسان لو كان في اعظم اللذات واطيب مجالس اللهو
فانتظر ان يدخل عليه جندي فيضربه خمس خشبات لتكدرت

عليه لذته وتشد عليه عيشه وهو في كل نفس بصدد ان
يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع وهو عنه غافل فما
لهذا سبب الا الجهل والغرور واعلم ان شدة الالم في سكرات
الموت لا يعرفها بالحقيقه الا من ذاقها ومن لم يذقها فانما يعرفها
اما بالقياس الى الالام التي ادركها واما بالاستدلال باحوال
الناس في النزع على شدة ما هم فيه فاما القياس الذي يشهد له
فهو ان كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالالم فاذا كان فيه الروح
فالمدرك للالم هو الروح فمهما اصاب العضو جرح او حريق
سرى الاثر الى الروح فبقدر ما يسري الى الروح يتالم والمولم
يتفرق على اللحم والدم وساير الاجزا فلا يصيب الروح الا
بعض الاثر فان كان في الالام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقي
غيره فما اعظم ذلك الالم وما اشده والنزع عبارة عن الم نزل
بنفس الروح فاستغرق جميع اجزايه حتى لم يبق جز من اجزاء
الروح المنتشر في اعماق البدن الا وقد حل به الالم فلو اصابته
شوكه فالالم الذي يجده انما يجري في جز من الروح يلاقي ذلك
الموضع الذي اصابته الشوكه وانما يعظم اثر الاحتراق لان
اجزا النار يغوص في ساير اجزاء البدن فلا يبقى جز من العضو

المحترق ظاهرا وباطنا الا وتصيبه النار فتحسه الاجزاء
الروحانيه المنتشره في ساير اجزاء اللحم واما الجراحه فانما
تصيب الموضع الذي مسه الحديد فقط فكان لذلك الم الجرح
دون الم النار فالم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق
جميع اجزايه فانه المنزوع والمجذوب من كل عرق من العروق
وعصب من الاعصاب وجزء من الاجزا ومفصل من المفاصل
ومن اصل كل شعره وبشره من القرن الى القدم فلا تسال
عن كربه والمه حتى قالوا ان الموت اشد من ضرب بالسيف
ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض لان قطع البدن بالسيف انما
يولم لتعلقه بالروح فكيف اذا كان المتناول المباشر نفس
الروح وانما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته في قلبه وفي
لسانه وانما انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة المه لان
الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه وغلب على كل موضع
منه فهد كل قوه وضعف كل جارحه فلم يترك له قوه الاستغاثه
اما العقل فقد غشيه وشوشه واما اللسان فقد ابكمه واما
الاطراف فقد ضعفها ويود لو قدر على الاستراحه بالانين ٥
والصياح والاستغاثه ولكنه لا يقدر على ذلك فان بقيت فيه قوه

سمعت له عند نزوع الروح وجذبها جؤارًا او غرغرة من حلقه
وصدره وقد تغير لونه وازبد حتى كانه ظهر منه التراب الذي
هو اصل فطرته وقد جذب منه كل عرق على حياله والالم ينتشر في
داخله وخارجه حتى ترتفع الحدقتان الى اعالي اجفانه وتقلص
الشفتان ويتقلص اللسان الى اصله وترتفع الانثيان الى اعالي
موضعهما وتخضر انامله فلا تسال عن بدن يجذب منه كل عرق
من عروقه ولو كان المجذوب عرقًا واحدًا لكان المه عظيمًا فكيف
والمجذوب نفس الروح المتالمه لا من عرق واحد بل من جميع العروق
ثم يموت كل عضو من اعضايه تدريجًا فيبرد اولًا قدماه ثم ساقاه
ثم فخذاه ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها
الى الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا واهلها ويغلق
دونه باب التوبه ويحيط به الحسرة والندامه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تقبل توبة العبد ما لم يغرغر وقال مجاهد في
قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيات حتى اذا حضر
احدهم الموت الايه قال اذا عاين الرسل فعند ذلك تبدو له صفحه
وجه ملك الموت فلا تسال عن طعم مرارة الموت وكربه عند ترادف
سكراته ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم هون

على محمد سكرات الموت والناس انما لا يستعيذون منه ولا
يستعظمونه لجهلهم به فان الاشياء قبل وقوعها انما تدرك
بنور البصيرة والولايه ولذلك عظم خوف الانبياء والاوليا
من الموت حتى قال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين ادعوا
الله تعالى ان يهون علي هذه السكرة يعني الموت فقد خفت الموت
مخافة اوقفني خوفي من الموت على الموت وروي ان نفرًا من
بني اسرايل مروا بمقبرة فقال بعضهم لبعض لو دعوتم الله ان
يخرج لكم من هذه المقبرة ميتًا تسالونه فدعوا الله تعالى فاذا
هم برجل قد قام وبين عينيه اثر السجود وقد خرج من قبر من
القبور فقال يا قوم ما اردتم مني لقد ذقت الموت منذ خمسين سنه
ما سكنت مرارة الموت من قلبي وقالت عايشه لا اغبط احدًا يهون
عليه الموت بعد الذي رايت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وروي انه كان عليه السلام يقول اللهم انك تاخذ الروح
من بين العصب والقصب والانامل اللهم فاعني على الموت وهونه علي
وعن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغصته
والمه فقال هو قدر ثلثمايه ضربه بالسيف وسيل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن الموت وشدته فقال ان اهون الموت بمنزله

جسكه في صوف فهل يخرج الحسكه من الصوف الا ومعها صوف ودخل عليه السلام على مريض ثم قال اني اعلم ما يلقى ما منه عرق الا وياَلم للموت على حدته وكان علي يحض على القتال ويقول ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفس محمد بيده لالف ضربة بالسيف اهون على من موت على فراش وقال الاوزاعي بلغنا ان الميت يجد الم الموت ما لم يبعث من قبره وقال شداد بن اوس الموت افظع هول في الدنيا والاخرة على المومن وهو اشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلي في القدور ولو ان الميت نشر فاخبر اهل الدنيا بالم الموت ما انتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم وعن زيد بن اسلم عن ابيه قال اذا بقي على المومن من درجاته شي لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته في الجنه واذا كان للكافر معروف لم يجز به في الدنيا هون عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير الى النار وعن بعضهم انه كان يسال كثيرا من المرضى كيف تجدون الموت فلما مرض قيل له وانت كيف تجده قال كان السموات مطبقه على الارض وكان نفسي تخرج من نقب ابره وقال عليه السلام موت الفجاه راحه المومن واسف على الفاجر ويروى عن مكحول عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال

لو ان شعره من شعر الميت وضعت على اهل السموات والارض لماتوا باذن الله لان في كل شعره الموت ولا يقع الموت بشي الا مات ويروى لو ان قطره من الم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت وروي ان ابرهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالى له كيف وجدت الموت يا خليلي قال كسفود جعل في صوف رطب ثم جذب فقال اما انا فقد هونا عليك وروي عن موسى عليه السلام انه لما صار روحه الى الله عز وجل قال له ربه يا موسى كيف وجدت الموت قال وجدت نفسي كالعصفور حين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير وروي عنه انه قال وجدت نفسي كشاة حيه يسلخ منه القصاب وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان عنده قدح من ما عند الموت فجعل يدخل يده في الما ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون على سكرات الموت وفاطمه رضي الله عنها تقول واكرباه لكربك يا ابتاه وهو يقول ما على ابيك كرب بعد اليوم وقال عمر لكعب الاحبار يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا امير المومنين الموت كغصن كثير الشوك ادخل في جوف رجل واخذت كل شوكه بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فاخذ ما اخذ وابقى

ما بقي، وقال عليه السلام ان العبد ليعالج كرب الموت وسكرات
الموت وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول السلام عليكم
تفارقني وافارقك الي يوم القيمه فهذه سكرات الموت على اولياء
الله تعالى واحبابه فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي ويتوالي
علينا مع سكرات الموت الدواهي فان دواهي الموت ثلاث الاولي
شدة النزع كما ذكرناه، الداهيه الثانيه مشاهدة
صورة ملك الموت ودخول الخوف والروع منه على القلب فلو
راي صورته التي يقبض عليها صورة العبد المذنب اعظم الرجال
قوم لم يطق قوته فقد روي ان ابرهيم قال لملك الموت هل تستطيع
ان تريني صورتك التي تقبض عليها روح الفاجر قال لا تطيق ذلك
قال بلي قال فاعرض عني فاعرض عنه ثم التفت فاذا هو برجل اسود
قايم الشعر منتن الريح اسود الثياب تخرج من فيه ومناخيره
لهب النار والدخان فغشي على ابرهيم عليه السلام ثم افاق وقد
عاد ملك الموت الى صورته الاولي فقال يا ملك الموت لو لم يلق
الفاجر عند الموت الا صورة وجهك لكان حسبه، وروي ابو
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان داود عليه السلام كان رجلا
غيورا وكان اذا خرج اغلق الابواب فاغلق ذات يوم وخرج

فاشرفت امراته فاذا هي برجل في الدار فقالت من ادخلك
هذه الدار لين جاء داود لتلقين منه عنتا فجاء داود فراه
فقال من انت فقال انا الذي لا اهاب الملوك ولا يمنع مني
الحجاب فقال والله اذن انت ملك الموت ورمل داود مكانه
وروي ان عيسى عليه السلام مر بجمجمة فضربها برجله فقال
تكلمي باذن الله فقالت يا روح الله انا ملك زمان كذا وكذا
بينا انا جالس في ملكي على تاجي وحولي حضور وحشمي على
سرير ملكي اذ بدا لي ملك الموت فزال مني كل عضو على حياله
ثم خرجت نفسي اليه فيا ليت ما كان من ملك الجموع كان فرقه
ويا ليت ما كان من ذلك الانس كان وحشه، فهذه داهية
تلقاها العصاة ويكفاها المطيعون، فقد حكي ان للانبياء
مجرد سكرة النزع دون الروعه التي يدركها من يشاهد صورة
ملك الموت كذلك ولو راها في منامه ليله لتنغص عليه بقية
عمره فكيف برويته في مثل تلك الحال، واما المطيع فانه يراه
في احسن صورة واجملها فقد روي عكرمة عن ابن عباس ان
ابرهيم كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فاذا خرج
اغلقه فرجع ذات يوم فاذا برجل في جوف البيت فقال من

ادخلك داري فقال ادخلها ربها فقال انا ربها فقال
ادخلها من هو املك بها مني ومنك قال فمن انت من الملايكه
قال انا ملك الموت قال هل تستطيع ان تريني الصورة التي
تقبض عليها روح المومن قال نعم فاعرض عني فاعرض ثم التفت
فاذا هو شاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه
فقال يا ملك الموت لو لم يلق المومن عند الموت الا صورتك كان
حسنا ومنها مشاهدة الملكين الحافظين قال وهب بلغنا
انه ما من ميت يموت حتى يتراأى له ملكاه الكاتبان عمله
فان كان مطيعا قالا له جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس
صدق اجلستنا وعمل صالح احضرتنا وان كان فاجرا قالا
لا جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء اجلستنا وعمل غير
صالح قد احضرتنا وكلام قبيح قد اسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيرا
فذاك شخوص بصر الميت اليهما ولا يرجع الى الدنيا ابدا ۝
الداهيه الثالثه مشاهدة العصاة مواضعهم من النار
وخوفهم قبل المشاهده فانهم في حال السكرات قد تخاذلت
قواهم واستسلمت للخروج ارواحهم ولم تخرج ارواحهم ما لم
يسمعوا نغمه ملك الموت باحدى البشريين اما ابشر يا عدو الله

بالنار او ابشر يا ولي الله بالجنه وعن هذا كان خوف ارباب
الالباب وقد قال النبي عليه السلام من احب لقاء الله احب الله
لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالوا كلنا نكره
الموت فقال ليس ذاك بذاك ان المومن اذا فرج بما هو
قادم عليه احب لقاء الله واحب الله لقاءه • وروي ان حذيفه
ابن اليمان قال لابن مسعود وهو لما به من آخر الليل قم فانظر
اي ساعه هي فقام ابن مسعود ثم جاءه فقال قد طلعت الحمراء
فقال حذيفه اعوذ بالله من صباح الى النار • ودخل مروان
الى ابي هريره فقال مروان اللهم خفف عنه فقال ابو هريره اللهم
اشدد ثم بكى ابو هريره فقال والله ما ابكي حزنا على الدنيا ولا
جزعا من فراقكم ولكن انتظر احدى البشريين من ربي عز وجل
بجنه او نار • وروي في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ان الله تعالى اذا رضي عن عبد قال يا ملك الموت اذهب الى
فلان فاتني بروحه لاريحه حسبي من عمله قد بلوته فوجدته
حيث احب فينزل ملك الموت ومعه خمسمايه من الملايكه
معهم قضبان الريحان واصول الزعفران كل واحد منهم يبشر
ببشارة سوى بشارة صاحبه وتقوم الملايكه روحهم صفين
لخروجهم

مع الريحان فاذا نظر اليهم ابليس وضع يده على راسه ثم صرخ
فتقول له جنوده مالك يا سيدنا فيقول اما ترون ما اعطي
هذا العبد من الكرامة اين كنتم عن هذا قالوا قد جهدنا به
فكان معصوما، وقال الحسن لا راحة للمومن دون لقاء الله
تعالى فيوم الموت يوم سروره وفرحه وامنه وعزه وشرفه ،
وقيل لجابر بن زيد عند موته ما تشتهي فقال نظرة الى الحسن
فلما دخل عليه الحسن قيل له هذا الحسن فرفع طرفه اليه ثم قال
يا اخوتاه الساعة والله افارقكم الى النار او الى الجنة، وقال
محمد بن واسع عند الموت يا اخوتاه عليكم السلام الى النار او
يعفو الله وتمنى بعضهم ان يبقى عند النزع وفي النزع ابدا ولا
يبعث لثواب ولا عقاب، فخوف سوء الخاتمة قطع قلوب العارفين
وهي من الدواهي العظيمة عند الموت وقد ذكرنا معنى سوء الخاتمة
وشدة خوف العارفين منه في كتاب الخوف والرجاء وهو لايق
بهذا الموضع ولكنا لا نطول بذكره واعادته ه

بيان ما يستحب من احوال المحتضر عند الموت

اعلم ان المحبوب عند المحتضر من صورة الموت الهدو والسكون
ومن لسانه ان يكون ناطقا بالشهادة ومن قلبه ان يكون حسن
الظن بالله تعالى، اما الصورة فقد روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال ارقبوا الميت عند ثلاث اذا رشح جبينه وذرفت
عيناه ويبست شفتاه فهي من رحمة الله تعالى قد نزلت به،
واذا غط غطيط المخنوق واحمر لونه واربدت شفتاه فهو من
عذاب الله قد نزل به، واما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة
فهي علامة الخير، قال ابو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه
وسلم لقنوا موتاكم لا اله الا الله، وفي رواية حذيفة فانها تهدم
ما قبلها من الخطايا، وقال عثمن قال النبي صلى الله عليه وسلم
من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة وقال عبد الله وهو
يشهد، وقال عثمان رضي الله عنه اذا احتضر الميت فلقنوه
لا اله الا الله فانه ما من عبد يختم له بها عند موته الا كانت
زاده الى الجنة، وقال ابو هريرة سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر في قلبه
فلم يجد فيه شيئا ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه لاصقا
يقول لا اله الا الله فغفر له بكلمة الاخلاص، وينبغي للملقن
ان لا يلح في التلقين وربما لا ينطق لسان المريض ويشق عليه
ذلك ويودي الى استثقاله التلقين وكراهته للكلمة

ويخشى ان يكون ذلك سبب سوء الخاتمة، وانما معنى هذه
الكلمه ان يموت الرجل وليس في قلبه غير الله فاذا لم يكن
له سوى الواحد الحق كان قدومه بالموت على محبوبه غاية النعيم
في حقه وان كان القلب مشغوفا بالدنيا ملتفتا اليها متاسفا
على لذاتها وكانت الكلمه على راس اللسان ولم ينطق على تحقيقها
وقع الامر في خطر المشيه فان مجرد حركة اللسان قليل الجدوى
الا ان يتفضل الله بالقبول، واما حسن الظن فهو مستحب في هذا
الوقت وقد ذكرناه في كتاب الرجا، وقد وردت الاخبار بفضل
حسن الظن بالله تعالى، ودخل واثلة بن الاسقع على مريض فقال
اخبرني كيف ظنك بالله قال اغترتني ذنوب لي واشفيت
على هلكة ولكني ارجو رحمة الله فكبر واثلة بن الاسقع وكبر
اهل الميت بتكبيره وقال الله اكبر سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول قال الله تعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن بي
ما شا، ودخل النبي صلى الله عليه وسلم على شاب وهو يموت فقال
كيف تجدك فقال ارجو الله واخاف ذنوبي فقال عليه السلام
ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا اعطاه الله تعالى
الذي يرجو وامنه من الذي يخاف، وقال ثابت البناني كان

شاب

شاب به حدة وكانت له ام تعظه كثيرا وتقول يا بني
ان لك يوما فاذكر يومك فلما نزل به امر الله اكبت عليه
امه فجعلت تقول له يا بني قد كنت احذرك مصرعك
هذا واقول ان لك يوما فقال يا اماه ان لي ربا كثير
المعروف واني لارجو ان لا يعدمني اليوم بعض معروفه قال
ثابت فرحمه الله بحسن ظنه بربه تعالى، وقال جابر بن عبد الله
كان شاب به زهو فاحتضر فقالت امه يا بني توصي بشي
فقال نعم خاتمي لا تلبسينه فان فيه ذكر الله تعالى فلعل الله
يرحمني فلما دفن روي في النوم فقال اخبروا امي ان الكلمه
قد نفعتني وان الله قد غفر لي، ومرض اعرابي فقيل له انك
تموت فقال اين يذهب بي قالوا الى الله قال فما كراهتي
ان اذهب الى من لا يرى الخير الا منه، وقال المعتمر بن سليمان
قال ابي حين حضرته الوفاه يا معتمر حدثني بالرخص لعلي القى
الله وانا حسن الظن به، وكانوا يستحبون ان يذكر للعبد محاسن
عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه عز وجل، بيان
الحسرة عند لقاء الموت بحكايات تعرب بلسان الحال
عنها، قال اشعث بن اسلم سال ابرهيم عليه السلام ملك الموت

ملكم

واسمه عزرايل وله عينان عين في وجهه وعين في قفاه
فقال يا ملك الموت ما تصنع اذا كان نفس بالمشرق ونفس
بالمغرب ووقع الوبا بارض والتقى الزحفان كيف تصنع
فقال ادعوا الارواح باذن الله فتكون بين اصبعي هاتين
قال ودحيت له الارض فتركت مثل الطست بين يديه
يتناول منها حيث شا قال وهو بشره انه خليل الرحمن،
وقال سليمن بن داود عليهما السلام لملك الموت ما اراني
الا اراك تعدل بين الناس تاخذ هذا وتدع هذا فقال
انا بذلك اعلم منك انما هي صحف وكتب يلقى الي فيها اسما،
وقال وهب بن منبه كان ملك من الملوك اراد ان يركب
الى ارض فدعى بثياب ليلبسها فلم تعجبه وطلب غيرها حتى
لبس ما اعجبه بعد مرات وكذلك طلب دابة فلم يعجبه حتى
اتي بدواب فركب احسنها فجا ابليس فنفخ في منخره فملاه
كبرا ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر الى الناس فسلم
كبرا فجاه رجل رث الهية فلم يرد عليه السلام فاخذ
بلجام دابته فقال ارسل اللجام فقد تعاطيت امرا عظيما
قال ان لي اليك حاجة قال اصبر حتى انزل قال لا الان

فقاهره على لجام دابته فقال اذكرها قال هو سر فادني
اليه راسه فساره وقال انا ملك الموت فتغير لون الملك
واضطرب لسانه ثم قال دعني حتى ارجع الى اهلي واقضي
حاجتي واودعهم قال لا والله لا ترى اهلك وثقلك ابدا
فقبض روحه فخر كانه خشبة ثم مضى فلقي عبدا مومنا
في تلك الحال فسلم فرد السلام فقال ان لي حاجة اذكرها
في اذنك فقال هات فساره وقال انا ملك الموت فقال
مرحبا واهلا بمن طالت غيبته علي فوالله ما كان في الارض
غايب احب الي ان القاه منك فقال ملك الموت اقض حاجتك
التي خرجت لها فقال ما لي حاجة اكبر عندي ولا احب من
لقاء الله عز وجل قال فاختر على اي حال شئت ان اقبض روحك
قال تقدر على ذلك قال نعم قال اني امرت بذلك قال
فدعني حتى اتوضا واصلي فاقبض روحي وانا ساجد فقبض
روحه وهو ساجد، وقال بكر بن عبد الله المزني جمع رجل
من بني اسرايل مالا فلما اشرف على الموت قال لبنيه اروني
اصناف اموالي فاتي بشي كثير من الخيل والابل والرقيق
وغيره فلما نظر اليه بكا تحسرا عليه فراه ملك الموت وهو

يبكي فقال ما يبكيك فوالذي خولك ما انا خارج من منزلك
حتى افرق بين روحك وبدنك قال فامهلني حتى افرقه قال
هيهات انقطعت عنك المهله فهلا كان قبل حضور اجلك
فقبض روحه ۞ وروي ان رجلا جمع مالا فاوعى ولم يدع صنفا
من المال الا اتخذه وابتنى قصرا وجعل عليه بابين وثيقين
وجمع عليه حرسا من غلمانه ثم جمع اهله وصنع لهم طعاما
وقعد على سريره ورفع احدى رجليه على الاخرى وهم
ياكلون فلما فرغوا قال يا نفس انعمي سنين قد جمعت لك ما
يكفيك فلم يفرغ من كلامه حتى اقبل اليه ملك الموت في
هيئة رجل عليه خلقان من الثياب في عنقه مخلاه يتشبه
بالمساكين وقرع الباب بشده عظيمة قرعا افزعه وهو على
فراشه فوثب اليه الغلمه وقالوا ما شانك فقال ادعوا لي
مولاكم قالوا والى مثلك قال نعم فاخبروه بذلك فقال هلا
فعلتم به وفعلتم فقرع الباب اشد من الاولى فوثب اليه
الحرس فقال اخبروه اني ملك الموت فلما سمعوه القي عليهم
الرعب ووقع على مولاهم الذل والتخشع فقال قولوا له قولا
لينا وقولوا له هل تاخذ معه احدا فدخل عليه وقال اصنع في

مالك ما انت صانع فاني لست بخارج منها حتى اخرج نفسك
فامر بماله حتى وضع بين يديه فقال حين راه لعنك الله من
مال انت شغلتني عن عبادة ربي تعالى ومنعتني ان اتخلى
لربي فانطق الله المال فقال لم تسبني وقد كنت تدخل
على السلطان بي وترد المتقون عن بابه وكنت تنكح المتنعمات
بي وتجلس مجالس الملوك بي وترد المتقون وتنفقني في سبيل
الشر ولا امتنع منك فلو انفقتني في سبيل الخير نفعتك
خلقت وابن ادم من تراب فمنطلق ببر ومنطلق باثم
ثم قبض ملك الموت روحه وسقط ۞ وقال وهب بن منبه قبض
ملك الموت روح جبار من الجبابره ما في الارض مثله ثم عرج
الى السماء فقالت الملائكه لمن كنت اشد رحمه ممن قبضت
روحه قال امرت بقبض نفس امراة في فلاة من الارض فاتيتها
وقد ولدت مولودا فرحمتها لغربتها ورحمت ولدها لصغره
ولكونه في فلاة لا متعهد له فقالت الملائكه الجبار الذي قبضت
روحه الان هو ذلك المولود الذي رحمته فقال ملك الموت
سبحان اللطيف لما يشاء ۞ وقال عطاء بن يسار اذا كان
ليلة النصف من شعبان دفع الى ملك الموت صحيفه فقال

اقبض في هذه السنة من في هذه الصحيفة قال فان العبد
ليفرش الفراش وينكح الازواج ويبني البنيان وان اسمه في
تلك الصحيفة وهو لا يدري وقال الحسن ما من يوم الا
وملك الموت يتصفح كل بيت ثلاث مرات من وجده منهم
قد استوفى رزقه وانقضى اجله قبض روحه واذا قبض روحه
اقبل اهله برنة وبكاء فياخذ ملك الموت بعضادتي الباب
ويقول والله ما اكلت له رزقا ولا افنيت له عمرا ولا انقصت
له اجلا وان لي فيكم لعودة ثم عودة حتى لا ابقي منكم احدا ۵
قال الحسن فوالله لو يرون مكانه ويسمعون كلامه لذهلوا
عن ميتهم ولبكوا على انفسهم وقال يزيد الرقاشي بينما جبار
من الجبابرة من بني اسرائيل جالسا في منزله قد خلا ببعض اهله
اذ نظر الى شخص قد دخل من باب داره فثار اليه فزعا مغضبا
فقال من انت ومن اذن لك على داري فقال اما الذي ادخلني
الدار فربها واما انا فالذي لا يمنع مني الحجاب ولا استاذن
على الملوك ولا اخاف صولة السلاطين ولا يمتنع مني كل جبار
عنيد ولا شيطان مريد قال فاسقط في يدي الجبار وارعد حتى
سقط لوجهه ثم رفع اليه راسه مستخفيا متذللا له فقال منكبا

انت اذن ملك الموت فقال انا هو قال فهل انت ممهلي حتى
احدث عهدا قال هيهات انقطعت مدتك وانقضت انفاسك
ونفدت ساعاتك فليس الى تاخيرك سبيل قال فالى اين تذهب
بي قال الى عملك الذي قدمته والى بيتك الذي مهدته قال
فاني لم اقدم عملا صالحا ولم امهد بيتا حسنا قال فالى لظى
نزاعة للشوى ثم قبض روحه فسقط بين اهله فمن بين صارخ
وباكي قال يزيد الرقاشي لو يعلمون سوء المنقلب كان العويل
على ذلك اكثر وعن الاعمش عن خيثمة قال دخل ملك الموت
على سليمان بن داود فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه
فلما خرج قال الرجل من هذا قال هذا ملك الموت قال لقد رايته
ينظر الي كانه يريدني قال فماذا تريد قال اريد ان تخلصني منه
فتامر الريح حتى تحملني الى اقصى الهند ففعلت الريح ذلك ثم قال
سليمان لملك الموت بعد ان اتاه ثانيا رايتك تديم النظر الى واحد
من جلسائي قال نعم كنت اتعجب منه لاني كنت امرت ان اقبض
روحه باقصى الهند في ساعة قريبة وكان ذلك فتعجبت من ذلك

الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء الراشدين ۵

اعلم ان في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة حيًّا
وميتًا وفعلًا وقولًا وجميع احواله عبرة للناظرين وبصيرة
للمستبصرين اذ لم يكن احد اكرم على الله تعالى منه اذ كان خليل
الله وحبيبه ونجيه وكان صفيه ورسوله ونبيه فانظر هل
امهله ساعة عند انقضاء مدته وهل اخره لحظة بعد حضور منيته
لا بل ارسل اليه الملايكه الكرام الموكلين بقبض روح ازواح الانام
فجدوا بروحه الزكية الكريمة لينقلوها وعالجوها ليرحلوها
عن جسده الطاهر الى رحمة ورضوان وخيرات حسان بل الى
مقعد صدق في جوار الرحمن فاشتد مع ذلك في النزع كربه
وظهر انينه وترادف قلقه وارتفع جبينه وتغير لونه وعرق
جبينه واضطربت في الانقباض والانبساط شماله ويمينه حتى
بكي لمصرعه من حضره وانتحب لشدة حاله من شاهد منظره
فهل رايت منصب النبوة دافعًا عنه مقدورًا او هل راقب الملك
فيه اهلًا وعشيرة او هل سامحه اذ كان للحق نصيرًا وللخلق
بشيرًا ونذيرًا هيهات بل امتثل ما كان به مامورًا واتبع ما وجده
في اللوح مسطورًا فهذا كان حاله وهو عند الله ذو المقام
المحمود والحوض المورود وهو اول من تنشق عنه الارض وهو

صاحب الشفاعة يوم العرض فالعجب انا لا نعتبر به ولسنا على
ثقة فيما نلقاه بل نحن اسراء الشهوات وقرناء المعاصي والسيئات
فما بالنا لا نتعظ بمصرع محمد سيد المرسلين وامام المتقين وحبيب
رب العالمين ولعلنا نظن انا مخلدون او نتوهم انا مع سوء افعالنا
عند الله مكرمون هيهات هيهات بل نتيقن انا جميعًا على النار واردون
ثم لا ينجو منها الا المتقون فنحن للورود مستيقنون وللصدور
منها متوهمون لا بل ظلمنا انفسنا ان كنا لذلك بغالب الظن
منتظرين فما نحن والله من المتقين وقد قال الله رب العالمين
وان منكم الا واردها كان على ربك حتمًا مقضيًا ثم ننجي الذين
اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيًا. ولينظر كل عبد الى نفسه انه
الى الظالمين اقرب ام الى المتقين وانظر الى نفسك بعد ان
تنظر الى سيرة السلف الصالحين فلقد كانوا مع ما وفقوا له
خايفين ثم انظر الى سيد المرسلين فانه كان من امره على يقين
اذ كان سيد المرسلين وقايد المتقين واعتبر كيف كان كربه
عند فراق الدنيا وكيف اشتد امره عند الانقلاب الى جنة
الماوى. قال ابن مسعود دخلنا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم في بيت عايشة حين دنا الفراق فنظر الينا فدمعت عيناه

ثم قال مرحبا بكم حياكم الله واواكم الله ونصركم الله اوصيكم
بتقوى الله واوصي لكم الله اني لكم منه نذير مبين ان لا تعلوا
على الله في عباده وفي بلاده وقد دنا الاجل والمنقلب الى الله
والى سدرة المنتهى والى جنة الماوي والكاس الاوفى فاقروا
على انفسكم وعلى من دخل في دينكم بعدي مني السلام ورحمة الله
وروي انه عليه السلام قال لجبريل عليه السلام عند موته من
لامتي بعدي فاوحى الله تعالى الى جبريل ان بشر حبيبي اني لا اخذله
في امته وبشره بانه اسرع الناس خروجا من الارض اذا بعثوا
وسيدهم اذا جمعوا وان الجنة محرمة على الامم حتى تدخلها امته
فقال الان قرت عيني وقالت عايشة امرنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان نغسله سبع مرات من سبع ابار ففعلنا ذلك
فوجد راحة فخرج وصلى بالناس واستغفر لاهل احد ودعالهم
واوصى بالانصار فقال اما بعد يا معشر المهاجرين فانكم تزيدون
واصبحت الانصار لا تزيد على هيئتها التي هي عليها اليوم وان
الانصار عيبتي التي اويت اليها فاكرموا كريمهم يعني محسنهم
وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال ان عبدا خير بين الدنيا وبين ما عند
الله فاختار ما عند الله فبكى ابو بكر وظن انه يريد نفسه فقال

النبي صلى الله عليه وسلم على رسلك يا ابا بكر سدوا هذه الابواب
الشوارع في المسجد الا باب ابي بكر فاني لا اعلم امرا افضل عندي
في الصحابة من ابي بكر قالت عايشة فقبض النبي صلى الله عليه وسلم
في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وجمع الله تعالى بين ريقي
وريقه عند الموت فدخل على عبد الرحمن وبيده سواك فجعل
ينظر اليه فعرفت انه يعجبه ذلك فقلت آخذه لك فاوما براسه
اي نعم فناولته اياه فادخله في فيه فاشتد عليه فقلت الينه
لك فاوما براسه اي نعم فلينته وكان بين يديه ركوة ماء فجعل
يدخل يده فيها ويقول لا اله الا الله ان للموت سكرات ثم نصب
يده يقول الرفيق الاعلى الرفيق الاعلى فقلنا اذن والله لا يختارنا
وروي بن عبد الله عن ابيه قال لما رات الانصار ان رسول الله سعيد صح
صلى الله عليه وسلم يزداد ثقلا اطافوا بالمسجد فدخل العباس
على النبي صلى الله عليه وسلم فاعلمه بمكانهم واشفاقهم ثم دخل الفضل
فاعلمه مثل ذلك ثم دخل علي بمثله فمد يده وقال ها فتناولوه
فقال ما يقولون قالوا يقولون نخشى ان تموت وتصايح نساؤهم
لاجتماع رجالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فثار رسول الله
صلى الله عليه وسلم فخرج يتوكا على علي والفضل والعباس امامه

ورسول الله صلى الله عليه وسلم معصوب الراس يخط برجليه
حتى جلس على اسفل مرقاة من المنبر وثاب اليه الناس فحمد الله
واثنى عليه وقال ايها الناس انه بلغني انكم تخافون علي الموت
كانه استنكار منكم للموت وما تنكرون من موت نبيكم الم انع
لكم وتنعى اليكم انفسكم هل خلد نبي قبلي فاخلد فيكم الا اني
لاحق بربي وانكم لاحقون بي واني اوصيكم بالمهاجرين
الاولين خيرا واوصي المهاجرين فيما بينهم فان الله تعالى قال
والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وان الامور تجري باذن الله
فلا يحملنكم استبطاء امر على استعجاله فان الله تعالى لا يعجل
لعجلة احد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه فهل
عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم
واوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوؤا الدار والايمان
من قبل ان تحسنوا اليهم الم يشاطروكم الثمار الم يوسعوا عليكم
الديار الم يوثروكم على انفسهم وبهم الخصاصة الا فمن ولي
ان يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم
الا ولا تستاثروا عليهم الا واني فرط لكم وانتم لاحقون بي

الا وان موعدكم الحوض حوضي اعرض مما بين بصرى الشام
وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر اشد بياضا من اللبن
والين من الزبد واحلى من العسل ومن شرب منه شربة لم يظما
بعدها ابدا حصباؤه اللولو وبطحاؤه من مسك من حرمه في
الموقف غدا حرم الخير كله الا فمن احب ان يرده علي غدا فليكفف
لسانه ويده الا مما ينبغي فقال العباس يا نبي الله اوص بقريش
فقال انما اوصي بهذا الامر قريشا والناس تبع لقريش برهم
لبرهم وفاجرهم لفاجرهم فاستوصوا آل قريش بالناس خيرا
يا ايها الناس ان الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فاذا بر الناس
برهم ائمتهم واذا فجر الناس عقوهم قال الله تعالى وكذلك نولي
بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون، وروي عن ابن
مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر سل يا ابا بكر
فقال يا رسول الله دنا الاجل فقال قد دنا الاجل وتدلى قال
ليهنك يا نبي الله ما عند الله فليت شعري عن منقلبنا فقال الى
الله والى سدرة المنتهى ثم الى جنة الماوى والعرش الاعلى والكاس
الاوفى والرفيق الاعلى والحظ والعيش المهنا فقال يا نبي الله من
يلي غسلك فقال رجال من اهل بيتي الادنى فالادنى قال ففيم

تكفنك قال في ثيابي هذه وفي حله يمنيه وفي بياض مصر فقال
كيف الصلاه عليك منا وبكينا وبكا فقال مهلاً غفر الله لكم
وجزاكم الله عن نبيكم خيراً اذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني
على سريري في بيتي هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة
فان اول من يصلي علي الله عز وجل هو الذي يصلي عليكم وملايكته
ثم اسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيره ثم الملايكه باجمعها
ثم انتم فادخلوا علي افواجاً فصلوا علي افواجاً زمر زمر
وسلموا تسليماً ولا توذوني بتزكيه ولا صيحه ولا رنه وليبدا
منكم الامام واهل بيتي الادني فالادني ثم زمر النسا ثم زمر
الصبيان قال ومن يدخل القبر قال زمر اهل بيتي الادني
فالادني مع ملايكه كثير لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فادوا
عني الى من بعدي ، وقال عبد الله بن ربيعه جا بلال اول
ربيع الاول فاذن بالصلاة فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم مروا ابا بكر يصلي بالناس فخرجت فلم ار بحضرة الباب
الا عمر في رجال ليس فيهم ابو بكر فقلت قم يا عمر فصل بالناس
فقام عمر فلما كبر وكان رجلاً صيتاً سمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم صوته بالتكبير فقال اين ابو بكر يابى الله تعالى

ذلك والمسلمون قالها ثلاث مرات مروا ابا بكر فليصل بالناس
فقالت عايشه يا رسول الله ان ابا بكر رجل اسيف رقيق اذا
قام في مقامك غلبه البكا فقال انكن صواحبات يوسف مروا
ابا بكر فليصل بالناس قال فصلى ابو بكر بعد الصلوه التي صلى عمر
وكان عمر يقول لعبد الله بن ربيعه بعد ذلك ويحك ماذا صنعت
بي والله لولا اني ظننت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرك
ما فعلت فيقول عبد الله لم ار احداً اولى بذلك منك قالت
عايشه وما قلت ذلك ولا صرفته عن ابي بكر الا رغبة به عن
الدنيا ولما في الولايه من المخاطره والهلكه الا ما سلم الله ه
وخشيت ايضا ان لا يكون الناس يحبون رجلاً صلى في مقام
النبي صلى الله عليه وسلم وهو حي ابدا الا ان يشا الله فيحسدونه
ويبغون عليه من امر الدنيا والدين قالت عايشه فلما كان
اليوم الذي مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم راوا منه
خفه في اول النهار فتفرق عنه الرجال الى منازلهم وحوايجهم
مستبشرين واخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنسا فبينا
فبينا نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا في الرجا والفرج قبل
ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجن عني هذا الملك

يستاذن علي فخرج من في البيت غيري وراسه في حجري
فجلس وتنحيت في ناحية البيت فناجى الملك طويلا ثم انه دعاني
فاعاد راسه في حجري وقال للنسوة ادخلن فقلت ما هذا الحس
جبريل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجل يا عايشه هذا
ملك الموت جاني فقال ان الله ارسلني فامرني ان لا ادخل عليك
الا باذن فان لم تاذن لي ارجع وان اذنت لي دخلت وامرني
ان لا اقبضك حتى تامرني فماذا امرك فقلت اكفف عني حتى
ياتيني جبريل فهذه ساعة جبريل قالت عايشة فاشتغلنا بامر
لم يكن له عندنا جواب ولا راي فوجمنا وكانما ضربنا بصاخة
ما نجير اليه شيا وما يتكلم احد من اهل البيت اعظاما لذلك
الامر وهيبة ملات اجوافنا قالت وجاء جبريل في ساعته
فسلم فعرفت حسه وخرج اهل البيت فدخل وقال ان الله عز وجل
يقرا عليك السلام وهو يقول كيف تجدك وهو اعلم بالذي تجد
منك ولكن اراد ان يزيدك كرامة وشرفا وان يتم كرامتك
وشرفك على الخلق وان تكون سنة فقال اجدني وجعا فقال
ابشر فان الله تعالى اراد ان يبلغك ما اعد لك فقال يا جبريل
ان ملك الموت استاذن علي واخبره الخبر فقال جبريل يا محمد

ان ربك جل جلاله اليك مشتاق الم اعلمك بالذي اراد
بك والله ما استاذن ملك الموت على احد قط ولا يستاذن عليه
ابدا الا ان ربك جل جلاله متم شرفك وهو اليك مشتاق
فلا تبرح اذن حتى يجي واذن للنساء وقال ادني يا فاطمه فاكبت
عليه فناجاها فرفعت راسها وعيناها تدمع وما تطيق الكلام
ثم قال ادني مني راسك فاكبت عليه فناجاها فرفعت راسها
وهي تضحك وما تطيق الكلام وكان الذي راينا منها عجبا فسالنا ها
بعد ذلك فقالت فاخبرني اني ذاهب فابكاني ثم اخبرني اني
دعوت الله تعالى ان يلحقك بي في اول اهلي وان يجعلك معي
فاضحكني وادنت ابنيها منه فشمهما قالت وجاء ملك الموت
فسلم واستاذن فاذن له فقال له الملك ما تامر يا محمد قال
الحقني بربي الان فقال بلى من يومك هذا اما ان ربك جل
جلاله اليك مشتاق ولم يردد عن احد تردده عنك ولم ينهني
عن الدخول على احد الا باذن غيرك ولكن ساعتك امامك
وخرج قالت وخرج جبريل فقال عليك السلام يا رسول الله
هذا اخر ما انزل الى الارض ابدا طوي الوحي وطويت الدنيا وما
كانت لي في الارض حاجة غيرك وما لي فيها حاجة الا حضورك

ثم لزوم موقفي ولا والذي بعث محمدا بالحق ما في البيت احد يستطيع
ان يحير اليه في ذلك كله ولا ابعث الى احد من رجاله لعظم ما نسمع
من جلبته وجدنا واشفاقنا قالت فقمت الى النبي صلى الله عليه
وسلم اضع راسه بين ثديي وامسكت بصدره وجعل يغمى عليه
حتى يغلب وجبهته ترشح رشحا ما رايته من انسان قط فجعلت
اسلت ذلك العرق وما وجدت رايحة شي قط اطيب منه
فكنت اقول له اذا افاق بابي وامي ونفسي واهلي ما يلقى
جبهتك من الرشح فقال يا عايشه ان روح المومن تخرج
بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقه كنفس الحمار فعند ذلك
ارتعنا وبعثنا الى اهلينا فكان اول رجل جانا ولم يشهده
اخي بعثه الي ابي فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل عبد الرحمن
ان يجيني احد وانما صدهم الله تعالى عنه لانه ولاه جبريل وميكايل
وجعل اذا اغمي عليه قال بل الرفيق الاعلى كان الخيرة تعاد عليه
فاذا اطاق الكلام قال الصلاه الصلاه انكم لا تزالون
متماسكين ما صليتم جميعا الصلاه الصلاه كان يوصي بها حتى
مات وهو يقول الصلاه الصلاه وقالت عايشه مات رسول
الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم

الاثنين قالت فاطمه ما لقيت من يوم الاثنين والله ما تزال
الامه تصاب فيه بعظيمه وقالت ام كلثوم لما اصيب علي
بالكوفه مثلها ما لقيت في يوم الاثنين مات فيه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وفيه قتل علي وفيه قتل ابي فما لقيت من يوم
الاثنين وقالت عايشه لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقتحم الناس حتى ارتفعت الرنه وسجي رسول الله صلى الله عليه
وسلم الملايكه بثوبي فاختلفوا فكذب بعضهم بموته واخرس
بعضهم فما تكلم الا بعد البعد وخلط اخرون فلاثوا الكلام بغير
بيان وبقي اخرون معهم عقولهم واقعد معهم اخرون فكان عمر
ابن الخطاب فيمن كذب بموته وعلي فيمن اقعد وعثمن فيمن اخرس
فخرج عمر على الناس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت
وليرجعنه الله تعالى فليقطعن ايدي وارجل من رجال المنافقين
يتمنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم الموت انما واعده ربه
عز وجل كما واعد موسى عليه السلام وهو اتيكم وفي رواية
قال يا ايها الناس كفوا السنتكم عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانه لم يمت فوالله لا اسمع احدا يذكر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد مات الا علوته بسيفي هذا واما علي فانه اقعد

فلم يبرح البيت واما عثمن فجعل لا يكلم احدا يوخذ بيده فيجاء به ويذهب به ولم يكن احد من المسلمين في مثل حال ابي بكر والعباس فان الله عز وجل عزم لهما على التوفيق والسداد وان كان الناس لا يرعون الا بقول ابي بكر جاء العباس فقال والذي لا اله الا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ولقد قال وهو بين اظهركم انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون • وبلغ ابا بكر الخبر وهو في بني الحرث بن الخزرج فجاء فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه ثم اكب عليه فقبله ثم قال بابي انت وامي ما كان الله ليذيقك الموت مرتين والله توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج الى الناس فقال يا ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فانه حي لا يموت قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افاين مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الاية فكان الناس لم يسمعوا هذه الاية الا ذلك اليوم • وفي رواية ان ابا بكر لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تهملان وغصصه ترتفع

كقصع

كقصع الجرة وهو في ذلك جلد الفعل والمقال فاكب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكي ويقول بابي وامي واهلي طبت حيا وميتا انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت احد من الانبياء وهو النبوة فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصصت حتى صرت مسلاه وعممت حتى صرنا فيك سوا ولو لا ان موتك كان اختيارا منك لجدنا لحزنك بالنفوس ولولا انك نهيت عن البكا لانفدنا عليك ماء الشوون فاما ما لا نستطيع نفيه فكمد وادكار محالفان لا يبرحان اللهم فابلغه عنا اذكرنا يا محمد عند ربك عز وجل ولنكن من بالك فلولا ما خلفت من السكينه لم يقم احد لما خلفت من الوحشه اللهم فابلغ نبيك عنا واحفظه فينا • وعن ابن عمر لما دخل ابو بكر البيت وصلى واثنى عج اهل البيت عجيجا سمعه اهل المصلى كلما ذكر شيا ازدادوا فما سكن عجيجهم الا بتسليم رجل على الباب صيت جلد قال السلام عليكم يا اهل البيت كل نفس ذائقة الموت الاية ان في الله خلفا من كل احد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فالله فارجوا وبه فثقوا فاستمعوا له وانكروه وقطعوا البكا فلما انقطع البكا فقد صوته فاطلع احدهم فلم ير احدا ثم عادوا فبكوا فنادى مناد اخر

لا يعرفون صوته يا اهل البيت اذكروا الله تعالى واحمدوا على كل
حال تكونوا من المخلصين ان في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا
من كل رغبة فالله فاطيعوا وبامره فاعملوا فقال ابو بكر هذا
الخضر واليسع حضرا النبي عليه السلام ٥ واستوفى القعقاع بن
عمرو حكاية خطبة ابي بكر فقال قام ابو بكر في الناس خطيبا حيث قضى
الناس عبراتهم بخطبة جلها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
فحمد الله على كل حال واثنى عليه وقال اشهد ان لا اله الا الله وحده
صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده واشهد ان محمدا
عبده ورسوله وخاتم انبيائه واشهد ان الكتاب كما نزل وان الدين
كما شرع وان الحديث كما حدث وان القول كما قال وان الله هو
الحق المبين اللهم فصل على محمد عبدك ورسولك ونبيك وحبيبك
وامينك وخيرتك وصفوتك افضل ما صليت به على احد من
خلقك اللهم واجعل صلواتك ومعافاتك ورحمتك وبركاتك
على سيد المرسلين وخاتم النبيين وامام المتقين محمد قائد الخير ورسول
الرحمة اللهم قرب زلفته وعظم برهانه وكرم مقامه وابعثه مقاما
محمودا يغبطه به الاولون والاخرون وانفعنا بمقامه المحمود
يوم القيمة واخلفه فينا في الدنيا والاخرة وبلغه الدرجة والوسيلة

من الجنة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل
محمد كما صليت وباركت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد ايها
الناس انه من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله
فان الله حي لم يمت وان الله قد تقدم اليكم في امره فلا تدعوه
جزعا وان الله قد اختار لنبيه ما عنده على ما عندكم وقبضه الى
ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنته وسنة نبيه فمن اخذ بهما عرف
ومن فرق بينهما انكر يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط ولا
يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم وعاجلوا
الشيطان بالخير تعجزوه ولا تستنظروه فيلحق بكم ويفتنكم ٥ وقال
ابن عباس لما فرغ ابو بكر من خطبته قال يا عمر انت الذي بلغني
انك تقول ما مات نبي الله اما ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
يوم كذا وكذا كذا وكذا وقال الله تعالى في كتابه انك ميت
وانهم ميتون فقال عمر والله لكاني لم اسمع بها في كتاب الله قبل
الان لما نزل بنا اشهد ان الكتاب كما نزل وان الحديث كما حدث
وان الله حي لا يموت انا لله وانا اليه راجعون وصلوات الله على
رسوله وعند الله نحتسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس
الى ابي بكر رضي الله عنه ٥ وقالت عايشة لما اجتمعوا لغسله

قالوا والله ما ندري كيف نغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
نجرده من ثيابه كما نصنع بموتانا او نغسله في ثيابه فارسل عليهم
النوم حتى ما بقي منهم رجل الا واضع لحيته في صدره نايما ثم قال
قايل لا ندري من هو اغسلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قميصه
فانتبهوا ففعلوا ذلك فغسل عليه السلام في قميصه حتى اذا فرغ
كفن وقال علي رضي الله عنه اردنا خلع قميصه فنودينا لا
تخلعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثيابه فاقررناه فغسلناه
في قميصه كما نغسل موتانا مستلقيا ما نشاء ان نقلب لنا عضو
منه لما نبالغ فيه الا قلب لنا حتى نفرغ منه وان معنا لحفيفا
كالريح الرخاء ويصوت بنا ارفقوا برسول الله فانكم ستكفون
فهذا كانت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترك سبدا
ولا لبدا الا دفن معه قال ابو جعفر فرش لحده بمفرشه وقطيفته
وفرشت ثيابه عليها التي يلبسها يقظان على القطيفة والمفرش
ثم وضع عليها في اكفانه فلم يترك بعد وفاته مالا ولا بنى في حياته
لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ففي وفاته عبرة تامة وللمسلمين
اسوة حسنة ○

وفاة ابي بكر الصديق رضي الله عنه

لما احتضر ابو بكر جاءت عايشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
فكشف عن وجهه وقال ليس كذلك ولكن قولي وجاءت سكرة الموت
بالحق ذلك ما كنت منه تحيد انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما
وكفنوني فيهما فان الحي الى الجديد احوج من الميت وقالت عايشة
عند موته وابيض يستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للارامل
فقال ابو بكر ذاك رسول الله ودخلوا عليه فقالوا الا ندعو
لك طبيبا ينظر اليك فقال قد نظر الي وقال اني فعال لما
اريد ودخل سلمان الفارسي يعوده فقال يا ابا بكر اوصنا فقال
ان الله تعالى فاتح عليكم الدنيا فلا تاخذن منها الا بلاغك
واعلم ان من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله تعالى فلا تخفرن
الله في ذمته فيكبك في النار على وجهك ولما ثقل ابو بكر واراد
الناس منه ان يستخلف فاستخلف فقال الناس استخلفت علينا
فظا غليظا فماذا تقول لربك جل جلاله فقال اقول استخلفت
على خلقك خير خلقك ثم ارسل الى عمر فجاء فقال اني اوصيك
بوصية اعلم ان لله تعالى حقا في النهار لا يقبله في الليل وان له
حقا بالليل لا يقبله بالنهار وانه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة
وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيمة باتباعهم الحق في الدنيا

وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق ان يثقل وانما
خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيمه باتباعهم الباطل
وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الباطل ان يخف
وان الله تعالى ذكر اهل الجنه باحسن اعمالهم وتجاوز عن سياتهم
فيقول القايل انا دون هولاء ولا ابلغ مبلغ هولاء وان الله ذكر
اهل النار باسوا اعمالهم ورد عليهم صالح الذي عملوا فيقول
القايل انا افضل من هولاء وان الله ذكر اية الرحمة واية
العذاب ليكون المومن راغبا راهبا ولا يلقي بيديه الى التهلكه
ولا يتمنى على الله غير الحق فان حفظت وصيتي هذه فلا يكون
غايب احب اليك من الموت ولابد لك منه وان تركت وصيتي
فلا يكون غايبا ابغض اليك من الموت ولست تعجزه . وقال
سعيد بن المسيب لما احتضر ابو بكر اتاه ناس من اصحابه فقالوا
يا خليفة رسول الله زودنا فانا نراك لمابك فقال ابو بكر من
قال هولاء الكلمات ثم مات جعل الله تعالى روحه في الافق المبين
قالوا اما الافق المبين قال قاع بين يدي العرش فيه رياض وانهار
واشجار يغشاه كل يوم مايه رحمه من قال هذا القول جعل الله
روحه في ذلك المكان . اللهم انك ابتدات الخلق من غير حاجه

بك اليهم ثم جعلتهم فريقين فريقا للنعيم وفريقا للسعير فاجعلني
للنعيم ولا تجعلني للسعير اللهم انك جعلت الخلق فرقا وميزتهم
قبل ان تخلقهم وجعلت منهم شقيا وسعيدا وغويا ورشيدا فلا
تشقني بمعاصيك اللهم علمت ما تكسب كل نفس قبل ان تخلقها
فلا محيص لهم مما علمت فاجعلني من تستعمله بطاعتك اللهم
ان احدا لا يشا حتى تشا فاجعل مشيتي ان اشا ما يقربني اليك
اللهم قدرت حركات العباد فلا يتحرك شي الا باذنك فاجعل
حركاتي في تقواك اللهم انك جعلت الخير والشر وجعلت لكل
واحد منهما عاملا يعمل به فاجعلني من خير القسمين اللهم انك
جعلت الجنه والنار وجعلت لكل واحد منهما اهلا فاجعلني
من سكان جنتك اللهم انك ان اردت بقوم الضلال فضيقت
به صدورهم فاشرح صدري للاسلام وزينه في قلبي واحيني بعد
الموت حياه طيبه وقربني اليك زلفى اللهم من اصبح وامسى
ثقته ورجاوه غيرك فانك ثقتي ورجاي ولا حول ولا قوه الا
بالله . قال ابو بكر هذا كله في كتاب الله عز وجل ٥

وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال عمرو بن ميمون كنت قايما غداه اصيب عمر ما بيني وبينه

الا عبد الله بن عباس وكان اذا مر بين الصفين قام بينهما
فاذا راى خللا قال استووا حتى اذا لم ير فيهن خللا تقدم
فكبر وقال وربما قرا سورة يوسف او النحل او نحو ذلك في
الركعة الاولى حتى يجتمع الناس فما هو الا ان كبر فسمعته يقول
قتلني او اكلني الكلب حين طعنه ابو لولوة فطار العلج بسكين
ذات طرفين لا يمر على احد يمينا ولا شمالا الا طعنه حتى طعن
ثلاثة عشر رجلا فمات منهم تسعة وفي رواية سبعة فلما راى
ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما ظن العلج انه ماخوذ
نحر نفسه وتناول عمر عبد الرحمن بن عوف فقدمه فامّا من كان
يلي عمر فقد راى ما رايت واما نواحي المسجد فلا يدرون ما الامر
غير انهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله
فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال يا ابن
عباس انظر من قتلني قال فغاب ساعة ثم جاء فقال غلام
المغيرة بن شعبة قال قاتله الله لقد كنت امرت به معروفا ثم
قال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي في يد رجل مسلم قد كنت انت
وابوك تحبان ان تكثر العلوج بالمدينة وكان العباس اكثرهم
رقيقا فقال ابن عباس ان شئت فعلت ان شئت قتلتهم قال بعد ابي

ما تكلموا بلسانكم وصلوا الى قبلتكم وحجوا حجكم فاحتمل الى بيته
فانطلقنا معه قال وكأن الناس لم يصبهم مصيبة قبل يومئذ قال
فقائل يقول اخاف عليه وقائل يقول لا باس فاتي بنبيذ فشرب
منه فخرج من جوفه ثم اوتي بلبن فشرب فخرج من جوفه فعرفوا
انه ميت قال فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه وجاء رجل
شاب فقال ابشر يا امير المومنين ببشرى من الله عز وجل قد كان
لك صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم في الاسلام ما
قد علمت ثم وليت فعدلت ثم لقيت شهادة فقال وددت ان ذلك
كان كفافا لا علي ولا لي فلما ادبر الرجل اذا ازاره يمس الارض
فقال ردوا علي الغلام فقال يا ابن اخي ارفع ثوبك فانه انقى لثوبك
واتقى لربك ثم قال يا عبد الله انظر ما علي من الدين فحسبوه فوجدوه
ستة وثمانين الفا او نحوه فقال ان وفى به مال آل عمر فاده من
اموالهم والا فسل في بني عدي بن كعب فان لم تف اموالهم فسل في
قريش ولا تعدهم الى غيرهم واد عني هذا المال انطلق الى ام المومنين
عايشة فقل لها عمر يقرأ عليك السلام ولا تقل امير المومنين فاني
لست اليوم للمومنين اميرا فقل يستاذن عمر بن الخطاب ان يدفن
مع صاحبيه فذهب عبد الله بن عمر فسلم واستاذن ثم دخل عليها

فوجدها قاعدة تبكي فقال يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ٥
ويستاذن ان يدفن مع صاحبيه فقالت كنت اريده لنفسي ولاوثرنه
اليوم على نفسي فلما اقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء فقال ارفعوني
فاسنده رجل اليه فقال ما لديك قال الذي تحب يا امير المومنين
اذنت قال الحمد لله ما كان شيء اهم الي من ذلك فاذا انا قبضت
فاحملوني ثم سلم وقل يستاذن عمر بن الخطاب فان اذنت لي فادخلوني
وان ردتني فردوني الى مقابر المسلمين وجاءت ام المومنين حفصة
والنساء تسير بها فلما رايناها قمنا فادخلت عليه فبكت عنده
ساعة واستاذن الرجال فولجت داخلا فسمعنا بكاها من
داخل فقالوا اوص يا امير المومنين واستخلف قال ما ارى احق
بهذا الامر من هولاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمن والزبير وطلحة وسعدا
وعبد الرحمن بن عوف وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من
الامر شيء كهيئة التعزية له فان اصابت الامارة سعدا فذلك
والا فليستعن به ايكم امر فاني لم اعزله من عجز ولا خيانة وقال
اوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الاولين ان يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم
حرمتهم واوصيه بالانصار خيرا الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم

ان يقبل من محسنهم وان يعفو عن مسيئهم واوصيه باهل
الامصار خيرا فانهم ردء الاسلام وجباة المال وغيظ العدو
وان لا يوخذ منهم الا فضلهم عن رضى منهم واوصيه بالاعراب
خيرا فانهم اصل العرب ومادة الاسلام ان يوخذ من حواشي
اموالهم وترد في فقرائهم واوصيه بذمة الله وذمة رسوله
ان يوفى لهم بعهدهم وان يقاتل من وراءهم ولا يكلفوا الا طاقتهم
فلما قبض خرجنا به فانطلقنا فسلم عبد الله بن عمر وقال يستاذن
عمر بن الخطاب فقالت ادخلوه فادخل فوضع هنالك مع
صاحبيه الحديث وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال
لي جبريل عليه السلام ليبكي الاسلام على موت عمر وعن ابن عباس
قال وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل
ان يرفع وانا فيهم قال فلم يرعني الا رجل قد اخذ بمنكبي فالتفت
فاذا هو علي بن ابي طالب فترحم على عمر وقال ما خلفت احدا
احب الي ان القى الله تعالى بمثل عمله منك ان كنت لاظنك
ليجعلنك الله مع صاحبيك وذلك اني كنت كثيرا اسمع النبي
صلى الله عليه وسلم يقول ذهبت انا وابو بكر وعمر وخرجت
انا وابو بكر وعمر فان كنت لارجو او لاظن ان يجعلك الله معهما

وفاة عثمان رضي الله عنه

الحديث في قتله مشهور وقد قال عبد الله بن سلام اتيت اخي عثمان لاسلم عليه وهو محصور فدخلت عليه فقال مرحبا باخي رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة في هذه الخوخة لخوخة في البيت فقال يا عثمن حصروك قلت نعم قال عطشوك قلت نعم قال فادلي دلوا فيه ما فشربت حتى رويت حتى لاني اجد برده بين ثديي وبين كتفي وقال لي ان شيت نصرت عليهم وان شيت افطرت عندنا فاخترت ان افطر عنده فقتل ذلك اليوم ٠ وقال عبد الله ابن سلام لمن حضر تشحط عثمن في الموت حين جرح ماذا قال عثمن وهو يتشحط قال سمعناه يقول اللهم اجمع امة محمد ثلاثا قال والذي نفسي بيده لو دعا الله ان لا يجتمعوا ابدا ما اجتمعوا الى يوم القيمه ٠ وعن ثمامة بن حزن القشيري قال شهدت الدار حين اشرف عليهم عثمان فقال ايتوني بصاحبيكم اللذين البا كم علي قال فجي بهما كانهما جملان او حماران فاشرف عليهم عثمان فقال انشدكم بالله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينه وليس بها ما يستعذب غير بير رومه فقال من يشتري بير رومه يجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنه فاشتريتها من صلب مالي فانتم اليوم تمنعوني ان اشرب منها ومن ماء البحر قالوا اللهم نعم قال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان المسجد ضاق باهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير منها في الجنة ٥ فاشتريتها من صلب مالي فانتم اليوم تمنعوني ان اصلي فيها ركعتين قالوا اللهم نعم قال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير بمكه ومعه ابو بكر وعمر وانا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض قال فركضه برجله وقال اسكن ثبير فما عليك الا نبي وصديق وشهيدان قالوا اللهم نعم قال الله اكبر شهدوا لي ورب الكعبة اني شهيد ٠ وروي عن شيخ من ضبه ان عثمن رضي الله عنه حين ضرب والدماء تسيل عن لحيته جعل يقول لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين اللهم اني استعيذ بك عليهم واستعين بك على جميع اموري واسالك الصبر على ما ابليتني ٥

وفاة علي بن ابي طالب رضي الله عنه

قال الاصبغ الحنظلي لما كانت الليله التي اصيب فيها علي اتاه ابن التياح حين طلع الفجر يوذنه بالصلاه وهو مضطجع متثاقل فعاد الثانيه وهو كذلك فقام علي يمشي وهو

يقول ، اشدد حيازيمك للموت فان الموت لاقيك ،
ولا تجزع من الموت اذا حل بواديك ،
فلما بلغ الباب الصغير شد عليه ابن ملجم فضربه فخرجت ام كلثوم
ابنة علي فجعلت تقول ما لي ولصلاة الغداة قتل زوجي امير
المومنين صلاة الغداة وقتل ابي صلاة الغداة ، وعن شيخ
من قريش ان عليا لما ضربه ابن ملجم اوصى بنيه ثم لم ينطق الا
بلا اله الا الله حتى قبض ، ولما ثقل الحسن بن علي دخل عليه الحسين
فقال يا اخي لاي شي تجزع تقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلى علي بن ابي طالب وهما ابواك وعلى خديجة بنت خويلد وفاطمة
بنت محمد وهما اماك وعلى حمزة وجعفر وهما عماك قال يا اخي
اقدم على امر لم اقدم على مثله ، وعن محمد بن الحسين قال لما نزل
القوم بالحسين بن علي وايقن انهم قاتلوه قام في اصحابه خطيبا
فحمد الله واثنى عليه وقال قد نزل من الامر ما ترون وان الدنيا
قد تغيرت وتنكرت وادبر معروفها واشرف حتى لم يبق منها الا واستمرت
كصبابة الاناء الا خسيس عيش كالمرعى الوبيل الا ترون الحق لا
يعمل به والباطل لا يتناهى عنه ليرغب المومن في لقاء الله تعالى
واني لا ارى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا برما ٥

الباب الخامس في كلام
المحتضرين من الخلفاء والامراء والصالحين ٥

لما حضر معاوية بن ابي سفيان الوفاة قال اقعدوني فاقعد
فجعل يسبح الله ويذكره ثم بكى فقال تذكر ربك يا معاوية بعد
الهرم والانحطام الا كان هذا وغصن الشباب غض ريان
ثم بكى حتى علا بكاؤه وقال يا رب ارحم الشيخ العاصي ذا القلب
القاسي اللهم اقل العثرة واغفر الزلة وعد بحلمك على من لم
يرج غيرك ولم يثق باحد سواك ، وروى شيخ من قريش انه
دخل مع جماعة عليه في مرضه فراوا في جلده غضونا فحمد الله واثنى
عليه ثم قال اما بعد فهل الدنيا اجمع الا ما جربنا ورأينا اما والله
لقد استقبلنا زهرتها بجدتنا وباستلذاذنا بعيشنا فما لبثتنا
الدنيا ان نقضت ذلك منا حالا بعد حال وعروة بعد عروة
فاصبحت الدنيا قد وترتنا واخلقتنا واستلامت الينا فاف
للدنيا من دار ثم اف للدنيا من دار ، ويروى ان آخر خطبة
خطبها معاوية ان قال يا ايها الناس ان من زرع قد استحصد
واني قد وليتكم ولن يليكم احد بعدي الا وهو شر مني كما كان من
قبلي خيرا مني ، ويا يزيد اذا وفى اجلي فول غسلي رجلا لبيبا فان اللبيب

مِن الله بمكانٍ فليمنع الغسل وليحضر بالتكبير ثم اعمد الى منديل
في خزانتي فيه ثوب من ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراضه
من شعره واظفاره فاستودع القراضه انفي وفمي واذني وعيني
واجعل الثوب على جلدي دون اكفاني ويا يزيد احفظ وصيه
الله تعالى في الوالدين فاذا ادرجتموني في جديدتي ووضعتموني
في حفرتي فخلوا معاويه وارحم الراحمين ۔ وقال محمد بن عقبه
لما نزل بمعاويه الموت قال يا ليتني كنت رجلا من قريش بذي
طوي واني لم ال من هذا الامر شيا ۔ ولما حضر عبد الملك بن
مروان الوفاه نظر الى غسال بجانب دمشق يلوي ثوبا بيده ثم
يضرب به المغسله فقال عبد الملك والله ليتني كنت غسالا لا
اكل من كسب يدي يوما بيوم ولم ال من امر الناس شيا فبلغ
ذلك ابا حازم فقال الحمد لله الذي جعلهم اذا حضرهم الوفاه
يتمنون ما نحن فيه واذا حضرنا لم نتمن ما هم فيه ۔ وقيل لعبد
الملك بن مروان في مرضه كيف تجدك يا امير المومنين قال كما
قال الله تعالى ولقد جيتمونا فرادى كما خلقناكم اول مره وتركتم
ما خولناكم وراء ظهوركم ۔ وقالت فاطمه بنت عبد الملك بن مروان
امراه عمر بن عبد العزيز كنت اسمع عمر في مرضه الذي مات فيه يقول

اللهم اخف عليهم موتي ولو ساعه من نهار فلما كان اليوم الذي
قبض فيه خرجت من عنده فجلست في بيت اخر بيني وبينه باب
وهو في قبه له فسمعته يقول تلك الدار الاخره نجعلها للذين
لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبه للمتقين ثم هدا
فجعلت لا اسمع له حركه ولا كلاما فقلت لوصيف له انظر انايم
هو فلما دخل صاح فوثبت فاذا هو ميت ۔ وقيل له لما حضرته
الوفاه اعهد يا امير المومنين احذركم مثل مصرعي هذا فانه لا
بد لكم منه ۔ وروي انه لما ثقل عمر بن عبد العزيز دعي له طبيب
فلما نظر اليه قال ارى الرجل قد سقي السم ولا امن عليه الموت
فرفع عمر بصره وقال ولا تامن الموت ايضا على من لا يسقى السم قال
الطبيب هل احسست بذلك يا امير المومنين قال نعم قد عرفت
ذلك حين وقع في بطني قال فتعالج يا امير المومنين فاني اخاف
ان يذهب نفسك قال ربي خير مذهوب اليه والله لو علمت
ان شفاي عند شحمه اذني ما رفعت يدي الى اذني فتناولته
اللهم خر لعمر في لقايك فلم يلبث الا اياما حتى مات ۔ وقيل لما
حضرته الوفاه بكى فقيل ما يبكيك يا امير المومنين ابشر فقد
احيى الله بك سننا واحيى بك عدلا فبكى ثم قال اليس اوقف

فاسأل عن امر هذا الخلق فوالله لو عدلت فيهم لخفت على
نفسي ان لا تقوم بحجتها بين يدي الله تعالى الا ان يلقنها حجتها
فبكى بكيرا مما صنعنا وفاضت عيناه فلم يلبث الا يسيرا حتى
مات ، ولما قرب موته قال اجلسوني فاجلسوه فقال انا الذي
امرتني فقصرت ونهيتني فعصيت ثلاث مرات ولكن لا اله
الا الله ثم رفع راسه واحد النظر فقيل له في ذلك فقال اني لارى
حضرة ما هم بانس ولا جن ثم قبض ، وحكي عن هرون الرشيد
انه انتقى اكفانه عند الموت بيديه وكان ينظر اليها ويقول
ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه ، وفرش المامون رمادا
واضطجع عليه وكان يقول يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه
وكان المعتصم يقول عند موته لو ان عمري هكذا اقتضي علمت صح
ما فعلت ما فعلت وكان المنتصر يضطرب على نفسه عند موته
فقيل له لا باس عليك يا امير المؤمنين فقال ليس الا هذا لقد
ذهبت الدنيا والاخرة ، وقال عمرو بن العاص في الوفاه وقد
نظر الى صناديق لبنيه من ياخذها بما فيها ليته كان بعرا وقال
الحجاج عند موته اللهم اغفر لي فان الناس يقولون انك لا تغفر
لي وكان عمر بن عبد العزيز تعجبه هذه الكلمة ويغبطه عليها ، ولما

حكي ذلك للحسن قال اقالها قيل نعم قال عسى ، **بيان
اقاويل جماعة من خصوص الصالحين** ، من الصحابة
والتابعين ومن بعدهم من اهل التصوف ، لما حضر معاذ
الوفاه قال اللهم اني كنت اخافك فانا اليوم ارجوك اللهم
انك تعلم اني لم اكن احب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الانهار
ولا لغرس الاشجار ولكن لظماء الهواجر ومكابدة الساعات
ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر ، ولما اشتد به النزع
نزع نزعا لم ينزعه احد فكان كلما افاق من غمرة فتح طرفه
ثم قال رب اخنقني خنقك فوعزتك انك لتعلم ان قلبي
يحبك ، ولما حضر سلمان الوفاه بكى فقيل له ما يبكيك
قال ما ابكي جزعا على الدنيا ولكن عهد الينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يكون بلغة احدنا من الدنيا كزاد الراكب فلما مات
سلمان نظر في جميع ما ترك فكان بضعة عشر درهما ، ولما حضر
بلالا الوفاه قالت امراته واحزناه فقال بل واطرباه غدا
القى الاحبة محمدا وحزبه ، وقيل فتح عبد الله بن المبارك عينيه
عند الوفاه وضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون ، ولما حضر
ابرهيم النخعي الوفاه بكى فقيل ما يبكيك قال انتظر من الله رسولا

يبشرني بالجنة او بالنار ، وحضر ابن المنكدر الوفاة فبكى فقيل
له ما يبكيك فقال والله ما ابكي لذنب اعلم اني اتيته ولكني
اخاف ان اتيت شيا حسبته هينا وهو عند الله عظيم ، ولما
حضر عامر بن قيس الوفاة بكى فقيل ما يبكيك قال ما ابكي جزعا من
الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن ابكي على ما يفوتني من ظماء الهواجر
وعلى قيام الليل في الشتاء ، ولما حضر فضيلا الوفاة غشي عليه
ثم فتح عينيه وقال وابعد سفري وقلة زادي ، ولما حضر ابن
المبارك الوفاة قال لنصر مولاه اجعل راسي على التراب فبكى
نصر فقال له ما يبكيك قال ذكرت ما كنت فيه من النعيم وانت
هوذا تموت فقيرا غريبا فقال اسكت فاني سالت الله عز وجل
ان يحييني حياة الاغنيا ويميتني موت الفقرا ثم قال لقني ولا تعد
علي ما لم اتكلم بكلام ثاني ، وقال عطا بن يسار تبدى ابليس
لرجل عند موته فقال له نجوت فقال ما امنتك بعد ، وبكى
بعضهم عند الموت فقيل له ما يبكيك قال اية في كتاب الله تعالى
قوله انما يتقبل الله من المتقين ، ودخل الحسن على رجل يجود بنفسه
قال ان امرا هذا اوله لجدير ان يتقى آخره وان امرا هذا آخره
لجدير ان يزهد في اوله ، وقال الجريري كنت عند الجنيد في حال

نزعه وكان يوم الجمعة ويوم النيروز وهو يقرا القران
فختم فقلت في هذه الحاله يا ابا القاسم قال ومن اولى بذلك
مني وهوذا تطوى صحيفتي ، وقال رويم حضرت وفاة ابي
سعيد الخراز ، وهو يقول

حنين قلوب العارفين الى الذكر ، وتذكارهم وقت المناجاة للسر ،
اديرت كوس للمنايا عليهم ، فاغفوا عن الدنيا كاغفاء ذي الشكر ،
همومهم جوالة بمعسكر ، به اهل ود الله كالانجم الزهر ،
فاجسامهم في الارض قتلى بحبه ، وارواحهم في الحجب نحو العلى تسري ،
فما عرسوا الا بقرب حبيبهم ، ولا عرجوا من مس بوس ولا ضر ،

وقيل للجنيد ان ابا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت فقال
لم يكن بعجب ان تطير روحه اشتياقا ، وقيل لذي النون عند
موته ما تشتهي قال ان اعرفه قبل موتي بلحظه ، وقيل
لبعضهم وهو في النزع قل الله قال الى متى تقولون فانا محترق
بالله ، وقال بعضهم كنت عند ممشاد الدينوري فقدم فقير
وقال السلام عليكم هل هاهنا موضع نظيف يصلح للانسان
ان يموت فيه قال فاشاروا اليه بمكان وكان ثمة عين ما فجدد
الفقير الوضو وركع ما شا الله تعالى ومضى الى ذلك المكان

ومدّ رجليه ومات ، وكان ابو العباس الدينوري يتكلم في مجلسه فصاحت امراة تواجدا فقال لها موتي فقامت المراة فلما بلغت باب الدار التفتت اليه وقالت قد متّ ووقعت ميتة ، ويحكى عن فاطمة اخت ابي علي الروذباري قالت لما قرب اجل ابي علي وكان راسه في حجري فتح عينيه وقال هذه ابواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قايل يقول يا ابا علي قد بلغناك الرتبة القصوى وان لم تردها ، ثم انشا يقول

، وحقك لا نظرت الى سواكا بعين مودة حتى اراكا ،

، اراك معذبي بفتور لحظ وبالخد المورد من جناكا ،

وقيل للجنيد قل لا اله الا الله قال ما نسيته فاذكره ، وسال جعفر بن نصير بكران الدينوري خادم الشبلي ما الذي رايت منه فقال قال علي درهم مظلمة وتصدقت عن صاحبه بالوف فما على قلبي شغل اعظم منه ثم قال وضيني للصلاة ففعلت فنسيت تخليل لحيته وقد امسك على لسانه فقبض على يدي في لحيته ثم مات فبكى جعفر وقال ما تقولون في رجل لم يفته في اخر عمره ادب من اداب الشريعة ، وقيل لبشر بن الحارث لما احتضر وكان يشق عليه كانك تحب الحياة فقال القدوم على الله تعالى شديد ، وقيل لصالح بن مسمار الا توصي بابنك وعيالك فقال اني لاستحيي من الله تعالى ان اوصي بهما الى غيره ، ولما احتضر ابو سليمان الداراني اتاه اصحابه فقالوا ابشر فانك تقدم على رب غفور رحيم فقال لهم الا تقولون احذر فانك تقدم على رب يحاسبك بالصغير ويعاقبك على الكبير ، ولما احتضر الواسطي قيل له اوصنا قال احفظوا مراد الحق فيكم ، واحتضر بعضهم فبكت امراته فقال لها ما يبكيك قالت عليك ابكي فقال ان كنت باكية فابكي على نفسك فلقد بكيت لهذا اليوم اربعين سنة ، وقال الجنيد دخلت على سري السقطي اعوده في مرض موته فقلت كيف تجدك فانشا يقول

، كيف اشكو الى طبيبي ما بي والذي قد اصابني من طبيبي ،

فاخذت المروحة لاروحه فقال كيف يجد ريح المروحة من جوفه يحترق ، ثم انشا يقول

، القلب محترق والدمع مستبق والكرب مجتمع والصبر مفترق ،

، كيف القرار على من لا قرار له مما جناه الهوى والشوق والقلق ،

، يا رب ان يك شي فيه لي فرج فامنن علي به ما دام لي رمق ،

وحكي ان قوما من اصحاب الشبلي دخلوا عليه وهو في الموت فقالوا له قل لا اله الا الله فانشا يقول

، ان بيتًا انت ساكنه غير محتاج الي السرج ،
، وجهك المامول حجتنا يوم ياتي الناس بالحجج ،
، لا اتاح الله لي فرجًا يوم ادعوا منك بالفرج ،
وحكي ان ابا العباس بن عطا دخل علي الجنيد في وقت نزعه
فسلم فلم يجبه ثم اجاب بعد ساعة وقال اعذرني فاني كنت
في وردي ثم ولي وجهه الي القبله وكبر ومات ، وقيل
للكتاني لما حضرته الوفاه ما كان عملك فقال لو لم يقترب اجلي
ما اخبرتكم وقفت علي باب قلبي اربعين سنه فكل ما مر فيه غير
الله حجبته عنه ، وحكي عن المعتمر قال كنت فيمن حضر الحكم
ابن عبد الحكم حين جاءه الحق فقلت اللهم هون عليه سكرات الموت
فانه كان وكان وذكرت محاسنه فافاق وقال من المتكلم فقلت
انا فقال ان ملك الموت يقول لي اني بكل سخي رفيق ثم طفي ،
ولما حضرت يوسف بن اسباط الوفاه شهده حذيفه فوجده قلقًا
فقال يا ابا محمد هذا اوان القلق والجزع فقال يا ابا عبد الله
وكيف لا اقلق ولا اجزع واني لا اعلم اني صدقت الله في شي
من عملي ، وعن المغازلي قال دخلت علي شيخ من اصحاب هذه
العقيدة وهو عليل وهو يقول بمكنك ان تعمل ما تريد فارفق

بي ، ودخل بعض المشايخ علي ممشاد الدينوري في وقت وفاته
فقال له فعل الله تعالي وصنع من باب الدعاء فضحك وقال
منذ ثلاثين سنه تعرض علي الجنه بما فيها فما اعرتها طرفي ،
وقيل لرويم عند الموت قل لا اله الا الله فقال لا احسن غيره ،
ولما حضر النوري الوفاه قيل له قل لا اله الا الله فقال اليس
اليه امر ، ودخل المزني علي الشافعي في مرضه الذي توفي
فيه فقال له كيف اصبحت يا ابا عبد الله فقال اصبحت من
الدنيا راحلا ، وللاخوان مفارقا ، ولسوء عملي ملاقيا ، ولكاس المنية
شاربا ، وعلي الله واردا ، ولا ادري اروحي تصير الي الجنه
فاهنيها ام الي النار فاعزيها ، ثم انشا يقول
، ولما قسي قلبي وضاقت مذاهبي جعلت رجاي نحو عفوك سلما ،
، تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك اعظما ،
، فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منة وتكرما ،
، ولولاك ما يقوي بابليس عابد وكيف وقد اغوي صفيك ادما ،
ولما حضر احمد بن حضرويه الوفاه سيل عن مسالة فدمعت عيناه
وقال يا بني باب كنت ادقه خمسًا وتسعين سنه هو ذا يفتح الساعه
لا ادري ايفتح بالسعاده او بالشقاوه فاني لي اوان الجواب ،

نقص في اقاويلهم وانما اختلفت بحسب اختلاف احوالهم
فغلب على بعضهم الخوف وعلى بعضهم الرجا وعلى بعضهم الحب
والشوق فتكلم كل واحد على مقتضى حاله والكل صحيح
بالاضافة الى احوالهم ٭

الباب السادس

في تاويل العارفين على الجنايز والمقابر وحكم زيارة القبور

اعلم ان الجنازة عبرة للبصير وتذكير لاهل الغفلة فانها لا يزيدهم
مشاهدتها الا قساوة لانهم يظنون انهم ابدا الى جنازة غيرهم
ينظرون ولا يحسبون انفسهم لا محاله على الجنايز يحملون او
يحسبون ذلك ولكنهم على القرب لا يقدرون ولا يتفكرون
ان المحمولين على الجنايز كلهم هكذا كانوا يحسبون فبطل
حسبانهم وانقرض على القرب زمانهم فلا ينظرن عبد الى جنازة
الا ويقدر نفسه محمولا عليها فانه محمول عليها على القرب وكان
قد ولعله في غد او بعد غد ٭ ويروى عن ابي هريرة انه كان اذا
راي جنازة قال امضوا انا على الاثر ٭ وكان مكحول الدمشقي اذا راي
جنازة قال اغدوا فانا رايحون موعظة بليغة وغفلة سريعة
يذهب الاول والاخر لا عقل له ٭ وقال اسيد بن حضير ما شهدت

جنازة فحدثت نفسي بشي سوى ما هو مفعول به وما هو صاير اليه
ولما مات اخو مالك بن دينار خرج مالك في جنازته يبكي ويقول
والله ما تقر عيني حتى اعلم الى ما ذا صرت ولا اعلم ما دمت حيا ٭
وقال الاعمش كنا نشهد الجنايز فلا نري الا متقنعا باكيا فهولاء
كان خوفهم من الموت ٭ والان لا ننظر الى جماعة يحضرون جنازة
الا واكثرهم يضحكون ويلهون ولا يتكلمون الا في ميراثه وما
خلفه لورثته ولا يتفكر اقرانه واقاربه الا في الحيلة التي يتناول
بها بعض ما خلفه ولا يتفكر احد منهم الا ما شا الله في جنازة نفسه
وفي حاله اذا حمل عليها ولا سبب لهذه الغفلة الا قسوة القلب
بكثرة المعاصي والذنوب حتى نسينا الله واليوم الاخر والاهوال
التي بين ايدينا فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما يعنينا فنسال
الله تعالى اليقظة عن هذه الغفلة فان احسن احوال الحاضرين
على الجنايز بكاوهم على الميت ولو عقلوا لبكوا على انفسهم لا على
الميت ٭ ونظر ابراهيم الزيات الى ناس يترحمون على ميت فقال
لو ترحمون على انفسكم لكان خيرا لكم انه نجى من اهوال ثلاثة
وجه ملك الموت قد راي ومرارة الموت قد ذاق وخوف الخاتمة
قد امن ٭ وقال ابو عمرو بن العلا جلست الى جرير وهو يملي على

كابة شعرًا فاطلعت جنان فامسك وقال شيبتني والله هذه
الجنائز، وانشا يقول

تروعنا الجنائز مقبلات ونلهو حين تذهب مدبرات،
كروعة ثلة لمغار ذيب فلما غاب عادت راتعات،

فمن آداب حضور الجنائز التفكر والتنبه والاستعداد والمشي
امامها على هيئة التواضع كما ذكرنا آدابه وسننه في الفقه،
ومن آدابه حسن الظن بالميت وان كان فاسقا واساءة الظن
بالنفس وان كان ظاهرها الصلاح فان الخاتمة مخطر لا يدري
حقيقتها، ولذلك روي عن عمر بن ذر انه مات واحد من جيرانه
وكان مسرفا على نفسه فتجافى كثير من الناس عن جنازته وحضرها
هو وصلى عليها فلما دلي في قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله
يا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود
فان قالوا مذنب وذو خطايا فمن منا غير مذنب وغير ذي خطايا،
ويحكى ان رجلا من المنهمكين في الفساد مات في بعض نواحي
البصرة فلم تجد امراته من يعينها على حمل جنازته اذ لم يدر بها احد
من جيرانه لكثرة فسقه فاستاجرت حمالين فحملاه الى المصلى فما
صلى عليه احد فحملاه الى الصحراء ليدفن بمكان على جبل قريب من

موضع زاهد من الزهاد الكبار فراه كالمنتظر للجنازة ثم قصد
ان يصلي عليه فانتشر الخبر في البلد وتعجب الناس من صلاته عليه
فقال قيل لي في المنام انزل الى موضع فلان فيه جنازة ليس معها
الا امراة فصل عليها فانه مغفور له فراى تعجب الناس فاستدعى
الزاهد امراته وسالها عن حاله وانه كيف كانت سيرته قالت كما
عرف كان طول نهاره في الماخور مشغولا بشرب الخمر فقال انظري
هل تعرفين منه شيئا من اعمال الخير قالت نعم ثلاثة كان كل يوم
يفيق من سكره وقت الصبح فيبدل ثيابه ويتوضا ويصلي الصبح
في الجماعة ثم يعود الى الماخور ويشتغل بالفسق والثاني انه كان
لا يخلو بيته عن يتيم ويتيمين وكان احسانه اليهم اكثر من احسانه
الى اولاده وكان شديد التفقد لهم، والثالث انه كان يفيق في
اثناء سكره في ظلام الليل يبكي ويقول يا رب في اي زاوية من
زوايا جهنم تريد ان تملاها بهذا الخبيث ويعني به نفسه فانصرف
الزاهد وقد ارتفع اشكاله من امره، وعن صلة بن اشيم وقد
دفن اخ له فقال على قبره

فان تنج منها تنج من ذي عظيمة والا فاني لا اخالك ناجيا

بيان حال القبر واقاويلهم على القبور

قال الضحاك قال رجل يا رسول الله من ازهد الناس قال
من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى
على ما يفنى ولم يعد غدا من ايامه وعد نفسه من اهل القبور ،
وقيل لعلي ما شانك جاورت المقبرة قال اني اجدهم خير جيران
اني اجدهم جيران صدق يكفون الالسنة ويذكرون الاخرة
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رايت منظرا الا والقبر
افظع منه ، وقال عمر بن الخطاب خرجنا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى المقابر فجلس الى قبر وكنت ادنى القوم منه
فبكى وبكيت وبكوا فقال ما يبكيكم قلنا بكينا لبكائك فقال
هذا قبر امي آمنة بنت وهب استاذنت ربي جل جلاله في زيارتها
فاذن لي واستاذنته في ان استغفر لها فابى علي فادركني ما
يدرك الولد من الرقة ، وكان عثمن بن عفان اذا وقف على قبر
بكى حتى يبل لحيته فسيل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار ولا
تبكي وتبكي اذا وقفت على قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان القبر اول منازل الاخرة فان نجا منه صاحبه
فما بعده ايسر منه وان لم ينج منه فما بعده اشد منه ، وقيل
ان عمرو بن العاص رضي الله عنه نظر الى المقبرة فنزل فصلى ركعتين

فقيل له هذا شيء لم تكن تصنعه فقال نظرت الى اهل القبور وما
حيل بينهم وبينه فاحببت ان اتقرب الى الله تعالى بهما • وقال
مجاهد اول ما يكلم ابن ادم حفرته فتقول انا بيت الدود وبيت الوحشة
وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما اعددت لك فماذا اعددت لي
وقال ابو ذر رضي الله عنه الا اخبركم بيوم فقري يوم اوضع
في قبري وكان ابو الدرداء رضي الله عنه يقعد في القبور فقيل له
في ذلك فقال اجلس الى قوم يذكروني معادي فان قمت لم
يغتابوني ، وكان جعفر بن محمد ياتي القبور ليلا ويقول يا اهل القبور
ما لي اذا دعوتكم لا تجيبوني ثم يقول حيل والله بينهم وبين جوابي
وكاني اكون مثلهم ثم يستقبل الصلاة الى طلوع الفجر ، وقال
عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه يا فلان ارقت الليلة تفكرا
في القبر وساكنه انك لو رايت الميت بعد ثالثة في قبره لاستوحشت
من قربه بعد طول الانس منك به ولرايت بيتا تجول فيه الهوام
ويجري فيه الصديد وتخترقه الديدان مع تغير الريح وبلى الاكفان
بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب قال ثم شهق شهقة
وخر مغشيا عليه ، وكان يزيد الرقاشي يقول ايها المقبور في
حفرته والمتخلي في القبر بوحدته المستانس في بطن الارض

يا عامله ليت شعري باي اعمالك استبشرت وباي اخوانك
اغتبطت ثم بكى حتى بل عمامته ثم يقول استبشر والله باعماله
الصالحه واغتبط والله باخوانه المتعاونين على طاعة الله ٥
وكان اذا نظر الى القبور خار كما يخور الثور، وقال حاتم الاصم
من مر بالمقابر ولم يتامل لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه
وخانهم، وكان بكر العابد يقول يا اماه ليتك كنت
بابنك عقيما ان لابنك في القبر حبسا طويلا ومن بعد ذلك
منه رحيلا، وقال يحيى بن معاذ يا ابن ادم دعاك ربك الى دار
السلام فانظر من اين تجيبه ان اجبته من دنياك واشتغلت
بالرحله اليه دخلتها وان اجبته من القبر منعتها، وكان
الحسن بن صالح اذا اشرف على المقابر قال ما احسن ظواهرك
انما الدواهي في باطنك، وكان عطا السليمي اذا جن عليه الليل
خرج الى المقبره ثم يقول يا اهل القبور متم فيا موتاه وعاينتم
اعمالكم فوا عملاه ثم يقول غدا عطا في القبر فلا يزال ذلك دابه
حتى يصبح، وقال سفين من اكثر ذكر القبر وجده روضه من رياض
الجنه ومن غفل عن ذكره وجده حفره من حفر النار، وكان
الربيع بن خثيم قد حفر في داره قبرا وكان اذا وجد في قلبه

قساوه دخل فيه واضطجع ومكث ما شا الله ثم يقول رب
ارجعوني لعلي اعمل صالحا فيما تركت يردده ثم يرد على نفسه يا
ربيع قد رجعتك فاعمل، وقال احمد بن حرب تتعجب الارض من
رجل يمهد مضجعه ويسوي فراشه للنوم فيقول يا ابن ادم
الا تذكر طول بلاك وما بيني وبينك شي، وقال ميمون
ابن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى المقبره فلما نظر الى
القبور بكى ثم اقبل علي فقال يا ميمون هذه قبور اباي بني اميه
كانهم لم يشاركوا اهل الدنيا في لذاتهم وعيشهم اما تراهم صرعى
قد حلت بهم المثلات واستحكم بهم البلا واصابت الهوام مقيلا
في ابدانهم ثم بكى وقال والله ما اعلم احدا انعم ممن صار الى هذه
القبور وقد امن من عذاب الله، وقال ثابت البناني دخلت المقابر
فلما قصدت الخروج منها فاذا بصوت قايل يقول يا ثابت لا يغرنك
صموت اهلها فكم من نفس مغمومه فيها، ويروى ان فاطمه بنت الحسن
نظرت الى جنازه زوجها الحسن بن الحسين فغطت وجهها وقالت
، وكانوا رجاء ثم امسوا رزيه لقد عظمت تلك الرزايا وجلت،
وقيل انها ضربت فسطاطا على قبره واعتكفت عليه سنه فلما
مضت السنه قلعوا الفسطاط ودخلوا المدينه فسمعوا صوتا

من جانب البقيع هل وجدوا اما فقدوا وسمعوا من الجانب
الاخر بل ييئسوا فانقلبوا، وقال ابو موسى التميمي توفيت
امراة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه البصرة فيهم الحسن
فقال له يا ابا فراس ماذا اعددت لهذا اليوم قال شهادة ان لا
اله الا الله منذ ستين سنه فلما دفنت قام الفرزدق على قبرها
فقال اخاف وراء القبر ان لم تعافني اشد من القبر التهابا واضيقا،
، اذا جاني يوم القيمه قايد عنيف وسواق يسوق الفرزدقا،
، لقد خاب من اولاد ادم من مشي الى النار مغلول القلادة ازرقا،
وقيل في اهل القبور ٥
، قف بالقبور وقل على ساحاتها من منكم المغموم في ظلماتها،
، ومن المكرم منكم في قعرها قد ذاق برد الامن من روعاتها،
، اما السكون لذي العيون فواحد لا يستبين الفضل في درجاتها،
، لو جاوبوك لاخبروك بالسن تصف الحقايق بعد من حالاتها،
، اما المطيع فنازل في روضة تفضي الى ما شاء من دوحاتها،
، والمجرم الطاغي بها متقلب في حفرة ياوي الى حياتها،
، وعقارب تسعى اليه فروحه في شدة التعذيب من لدغاتها،
ومر داود الطاي على امراة تبكي على قبر وهي تقول

، عدمت الحياة ولا نلتها اذا كنت في القبر قد الحدوكا،
، فكيف اذوق طعم الكرى وانت يمناك قد وسدوكا،
يا ابتاه ليت شعري باي خديك بدا الدود فصعق داود مكانه
وخر مغشيا عليه، وقال مالك بن دينار مررت بالمقبره
فانشات اقول ٥
، اتيت القبور فناديتهم فاين المعظم والمحتقر
، واين المدل بسلطانه واين المزكى اذا ما افتخر
قال فنوديت من بعضهم اسمع صوتا ولا ارى شخصا وهو يقول
، تفانوا جميعا فما مخبر وماتوا جميعا ومات الخبر
، تروح وتغدو بنات الثرى وتمحوا محاسن تلك الصور
، فيا سايلي عن اناس مضوا اما لك فيمن مضى معتبر
قال فرجعت وانا باك ٥ ابيات مكتوبة على القبور ٥،
وجدت مكتوب على قبر ٥
، تناجيك اجداث وهن سكوت وسكانها تحت التراب خفوت،
، ايا جامع الدنيا لغير بلاغها لمن تجمع الدنيا وانت تموت،
ومكتوب على قبر آخر ٥ ٥
، ابا غانم اما ذراك فواسع وقبرك معمور الجوانب محكم،

، وما ينفع المقبور عمران قبره اذا كان فيه جسمه يتهدم ،

وقال ابن السماك رحمه الله مررت بالمقابر فاذا قبر مكتوب فيه هذه الابيات ٥

، تمر اقاربي جنبات قبري كان اقاربي لم يعرفوني ،

، ذووا الميراث يقتسمون مالي وما يالون ان جحدوا ديوني ،

، وقد اخذوا سهامهم وعاشوا فيا لله اسرع ما نسوني ،

ووجد على قبر مكتوب ٥

، ان الحبيب من الاحباب مختلس لا يمنع الموت بواب ولا حرس ،

، وكيف تفرح بالدنيا ولذتها يا من تعد عليه اللفظ والنفس ،

، اصبحت يا غافل في النقص منغمسا وانت دهرك في اللذات منغمس ،

، لا يرحم الموت ذا جهل لغرته ولا الذي كان منه العلم يقتبس ،

، كم اخرس الموت في قبر وقفت به عن الجواب لسانا ما به خرس ،

، قد كان قصرك معمورا له شرف فقبرك اليوم في الاجداث مندرس ،

ووجد على قبر آخر ٥

، وقفت على الاحبة حيث صفت قبورهم كافراس الرهان ،

، فلما ان بكيت وفاض دمعي رات عيناي بينهم مكاني ،

ووجد على قبر آخر ٥

، قد قلت لما قال لي قايل قد صار نعمان الى رمسه ،

، فاين ما يوصف من طبه وحذقه في الماء مع جسه ،

، هيهات لا يدفع عن غيره من كان لا يدفع عن نفسه ،

ووجد على قبر آخر ٥

، يا ايها الناس قد كان لي امل قصر بي عن بلوغه الاجل ،

، فليتق الله ربه رجل امكنه في حياته العمل ،

، ما انا وحدي نقلت حيث ترى كل الى مثله سينتقل ،

فهذه ابيات كتبت على القبور لتقصير سكانها عن الاعتبار قبل الموت والبصير هو الذي ينظر الى قبر غيره فيرى مكانه بين اظهرهم فيستعد للحوق بهم ويعلم انهم لا يبرحون من مكانهم ما لم يلحق بهم وليتحقق انه لو عرض عليهم يوم واحد من ايام عمره الذي هو مضيع له لكان ذلك احب اليهم من الدنيا وما فيها بحذافيرها لانهم عرفوا قدر الاعمال وانكشفت لهم حقايق الامور والاغطيه وانما حسرتهم في يوم من العمر ليتدارك المقصر به تقصيره فيتخلص من العقاب وليستزيد الموفق به رتبته فيتضاعف له الثواب فانهم انما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم في ساعة من الحياة وانت قادر على تلك

الساعة ولعلك تقدر على امثالها ثم انت مضيع لها فوطن
نفسك على التحسر على تضييعها عند خروج الامر من الاختيار
ان لم تاخذ نصيبك على سبيل الابتدار. فقد قال بعض الصالحين
رايت اخا لي في الله فيما يرى النايم فقلت يا فلان عشت الحمد لله
رب العالمين قال لان اقدر ان اقولها يعني الحمد لله اطيب الي من
الدنيا وما فيها ۝ **بيان اقاويلهم عند موت الولد**
حق على من مات ولده او قريب من اقاربه ان ينزله في تقدمه
عليه في الموت منزله ما لو كانا في سفر فسبقه ولده الى البلد
الذي هو مستقره ووطنه فانه لا يعظم عليه لعلمه بانه لاحق
به على القرب وليس بينهما الا تقدم او تاخر وهكذا الموت
فان معناه السبق الى الوطن الى ان يلحق المتاخر اذا اعتقد
هذا قل جزعه وحزنه لا سيما وقد ورد في حق الولد من الثواب
ما يعزى به كل مصاب. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان
اقدم سقطا احب الي من ان اخلف مايه فارس كلهم يقاتل في
سبيل الله وانما ذكر السقط تنبيها بالادنى على الاعلى والا
فالثواب على قدر محل الولد من القلب. قال زيد بن اسلم توفي
ابن لداود فحزن عليه حزنا شديدا فقيل له ما كان عدله عندك

قال ملء الارض ذهبا قيل له ان لك من الاجر مثل ذلك. وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة
من الولد فيحتسبهم الا كانوا له جنة من النار فقالت امراة
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم او اثنان قال او اثنان.
وليخلص الوالد الدعاء لولده عند الموت فانه ارجى دعاء واقربه
الى الاجابة. ووقف محمد بن سليمان على قبر ولده فقال اللهم
اني غفرت له ما وجب لي عليه فاغفر له ما وجب لك عليه فانك
اجود واكرم. ووقف اعرابي على قبر ابنه فقال اللهم اني قد
وهبت له ما قصر فيه من بري فهب له ما قصر فيه من طاعتك.
ولما مات ذر بن عمر بن ذر قام ابو عمر بن ذر بعد ما وضع في لحده
فقال يا ذر لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعري
ماذا قلت وماذا قيل لك ثم قال اللهم ان هذا ذر متعتني به
ما متعتني ووفيته اجله ورزقه ولم تظلمه اللهم وقد كنت
الزمته طاعتك وطاعتي وما وعدتني عليه من الاجر في مصيبتي
فقد وهبت له ذلك فهب لي عذابه ولا تعذبه فابكى الناس ثم قال
عند انصرافه ما علينا بعدك من خصاصة يا ذر وما بنا الى احسان
حاجة مع الله ولقد مضينا وتركناك ولو اقمنا ما نفعناك

ونظر رجل الى امراة بالبصرة فقال ما رايت مثل هذه النظارة
وما ذاك الا من قلة الحزن فقالت يا عبد الله اني لفي حزن
ما يشركني فيه احد قال وكيف قالت ان زوجي ذبح شاة في
يوم الاضحى وكان لي صبيان مليحان يلعبان فقال الاكبر ها
اتريد ان اريك كيف ذبح ابي الشاة قال نعم فاخذه وذبحه
فما شعرنا به الا متشحطا في دمه فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام
فلجا الى جبل فرهقه ذيب فاكله فخرج ابوه يطلبه فمات عطشا
من شدة الحر قالت فافردني الدهر فامثال هذه المصايب
ينبغي ان تتذكر عند موت الاولاد ليتسلى بها عن شدة الجزع
فما من مصيبة الا ويتصور ما هو اعظم منها وما يدفعه الله تعالى
في كل حال فهو الاكثر ٥ **بيان زيارة القبور والدعاء
للميت وما يتعلق به** ٥ زيارة القبور مستحبة على الجملة
للتذكر والاعتبار وزيارة قبور الصالحين لاجل التبرك
مع الاعتبار وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن
زيارة القبور ثم اذن في ذلك بعده روي عن علي رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت نهيتكم عن زيارة
القبور فزوروها فانها تذكر الاخرة غير ان لا تقولوا هجرا ٥

وزار

وزار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر امه في الف مقنع فلم ير
باكي اكثر من يومئذ وفي هذا اليوم قال اذن لي في الزيارة
دون الاستغفار كما رويناه من قبل وقال ابن ابي مليكة اقبلت
عايشة يوما من المقابر فقلت يا ام المومنين من اين اقبلتي قالت
من قبر اخي عبد الرحمن فقلت اليس كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم نهى عنها قالت نعم ثم امر بها فلا ينبغي ان يتمسك بهذا
فيوذن للنساء في الخروج الى المقابر فانهن يكثرن الهجر على راس
القبور فلا يفي خير زيارتهن بشرها ولا يخلو في الطريق عن تكشف
وتبرج وهذه عظايم والزيارة سنة فكيف يحتمل ذلك لاجلها
نعم لا باس بخروج المراة في ثياب بذلة ترد اعين الرجال عنها
وذلك بشرط الاقتصار على الدعاء وترك الحديث على راس القبر
وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زر القبور تذكر
بها الاخرة واغسل الموتى فان معالجة جسد خاو موعظة
بليغة وصل على الجنايز لعل ذلك ان يحزنك فان الحزين في ظل
الله عز وجل وقال ابن ابي مليكة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم زوروا موتاكم وسلموا عليهم وصلوا عليهم فان لكم فيها عبرة
وعن نافع ان ابن عمر كان لا يمر بقبر واحد الا وقف عليه وسلم عليه

وعن جعفر بن محمد عن ابيه ان فاطمه بنت النبي صلى الله عليه وسلم
كانت تزور قبر عمها حمزة في الايام فتصلي وتبكي عنده، وقال
النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبر ابويه او احدهما في كل
جمعة غفر له وكتب برا، وعن ابن سيرين قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الرجل يموت والداه وهو عاق بهما فيدعو الله
تعالى لهما من بعدهما فيكتبه الله تعالى من البارين، وقال عليه
السلام من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي، وقال عليه
السلام من زار قبري محتسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم
القيمه، وقال كعب ما من فجر يطلع الا نزل سبعون الفا من
الملايكه حتى يحفوا بالقبر يضربون باجنحتهم ويصلون على النبي
صلى الله عليه وسلم حتى اذا امسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنع
مثل ذلك حتى اذا انشقت الارض خرج في سبعين الفا من الملايكه
يوقرونه، والمستحب في زيارة القبور ان يقف مستدبر القبله مستقبلا
لوجه الميت وان يسلم ولا يمسح القبر ولا يقبله ولا يمسه فان ذلك
من عادة النصارى، وقال نافع كان ابن عمر رايته مايه مرة او اكثر
يجي الى القبور ويقول السلام على النبي السلام على ابي بكر السلام
على ابي وينصرف، وعن ابي امامه قال رايت انس بن مالك

اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف ورفع يديه حتى ظننت انه
افتتح الصلاه فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف، وقالت
عايشه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يزور قبر اخيه
ويجلس عنده الا استانس به ورد عليه حتى يقوم، وقال سليمن
ابن سحيم رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا
رسول الله هولاء الذين ياتونك ويسلمون عليك تفقه سلامهم
قال نعم وارد عليهم، وقال ابو هريرة اذا مر الرجل بقبر الرجل يعرفه
فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه واذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه
رد عليه السلام، وقال رجل من آل عاصم الجحدري رايت عاصما
في منامي بعد موته بسنتين فقلت اليس قد مت قال بلى قلت
واين انت قال والله في روضه من رياض الجنه انا ونفر من اصحابي
نجتمع كل ليلة جمعه وصبيحتها الى ابي بكر بن عبد الله المزني فنتلاقى
اخباركم فقلت اجسامكم ام ارواحكم فقال هيهات بليت الاجسام
وانما تتلاقى الارواح قال قلت فهل تعلمون بزيارتنا اياكم
قال نعم نعلم بها عشيه الجمعه ويوم الجمعه كله ويوم السبت الى طلوع
الشمس قلت وكيف ذاك دون الايام كلها قال لفضل يوم الجمعه
وعظمته، وكان محمد بن واسع يزور يوم الجمعه فقيل له لو اخرت الى

الاثنين فقال بلغني ان الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده، وقال الضحاك من زار قبرا يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته قيل له ولم ذلك قال لمكان يوم الجمعة، وقال بشر بن منصور لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف الى الجبانة فيشهد الصلاة على الجنايز فاذا امسى وقف على المقابر، وقال آنس الله وحشتكم ورحم غربتكم وتجاوز عن سياتكم وقبل الله حسناتكم لا يزيد على هذه الكلمات قال الرجل فامسيت ذات ليلة فانصرفت الى اهلي ولم ات المقابر فادعوا كما كنت ادعو فبينا انا نايم فاذا انا بخلق كثير قد جاوني فقلت ما انتم وما حاجتكم قالوا الجن اهل المقابر قلت ما حاجتكم قالوا انك كنت عودتنا منك الهدية عند انصرافك الى اهلك قلت وما هي قالوا الدعوات التي كنت تدعو قلت فاني اعود لذلك فما تركتها بعد ذلك، وقال بشار بن غالب النجراني رايت رابعة العدوية في منامي وكنت كثير الدعا لها فقالت لي يا بشار بن غالب هداياك تاتينا على اطباق من نور مخمرة بمناديل من الحرير قلت وكيف ذلك قالت وهكذا دعا المومنين الاحيا اذا دعوا للموتى فاستجيب لهم جعل ذلك الدعا على اطباق النور وخمر ذلك بمناديل الحرير ثم اتى به الميت

فقيل هذه هدية فلان اليك، وقال عليه السلام ما الميت الا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من ابيه او اخيه او صديق له فاذا الحقته كان احب اليه من الدنيا وما فيها وان هدايا الاحيا للاموات الدعاء والاستغفار، وقال بعضهم مات اخ لي فرايته في المنام فقلت ما كان حالك حيث وضعت فقال اتاني آت بشهاب من نار فلولا ان داعيا دعا لي لرايت انه سيضربني وعن هذا يستحب تلقين الميت بعد الدفن والدعاء له، قال سعيد بن عبد الله الازدي شهدت ابا امامة الباهلي وهو في النزع فقال يا سعيد اذا مت فاصنعوا بي كما امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذا مات احدكم وسويتم عليه التراب فليقم احدكم على راس قبره ثم يقول يا فلان بن فلانة فانه يسمع ولا يجيب ثم يقول يا فلان بن فلانة الثانية فانه يستوي قاعدا ثم ليقل يا فلان بن فلانة فانه يقول ارشدنا يرحمك الله ولكن لا تسمعون فيقول له اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وانك رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد عليه السلام نبيا وبالقرآن اماما فان منكرا ونكيرا يتاخر كل واحد منهما فيقول انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ويكون الله حجيجه

دونهما فقال رجل يا رسول الله فان لم يعرف اسم امه قال فلينسبه
الى حوا ولا باس بقراءة القران على القبر روي عن علي موسى الحداد ابن م
قال كنت مع احمد بن حنبل في جنازة ومحمد بن قدامة الجوهري معنا فلما
دفن الميت جاء رجل ضرير يقرا عند القبر فقال احمد يا هذا ان
القراءة عند القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لاحمد
يا ابا عبد الله ما تقول في مبشر بن اسمعيل الحلبي فقال ثقة فقال هل
كتبت عنه شيا قال نعم قال اخبرني مبشر بن اسمعيل عن عبد الرحمن
ابن العلاء بن اللجلاج عن ابيه انه اوصى اذا دفن ان يقرا عند
راسه اول سورة البقرة وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر يوصي بذلك
فقال له احمد فارجع الى الرجل فقل له يقرا وقال محمد بن احمد المروزي
سمعت احمد يقول اذا دخلتم المقابر فاقروا بفاتحة الكتاب
والمعوذتين وقل هو الله احد واجعلوا ثواب ذلك لاهل المقابر
فانه يصل اليهم وقال ابو قلابة اقبلت من الشام الى البصرة فنزلت
الخندق فتطهرت وصليت ركعتين ثم وضعت راسي على قبر
فنمت ثم انتبهت فاذا صاحب القبر يشتكيني يقول اذيتني منذ
الليلة ثم قال انكم تعملون ولا تعلمون ونحن نعلم ولا نقدر على
العمل ثم قال الركعتان التي ركعتهما خير من الدنيا وما فيها ثم قال

ثم قال جزى الله اهل الدنيا عنا خيرا اقريهم السلام فانه يدخل
علينا من دعايهم نور امثال الجبال فالمقصود من زيارة القبور للزاير
الاعتبار وللمزور الانتفاع بدعايه فلا ينبغي ان يغفل الزاير عن
الدعاء لنفسه وللميت ولا عن الاعتبار به وانما يحصل الاعتبار
بان يصور في قلبه الميت كيف تفرقت اجزاوه وكيف يبعث من
قبره وانه على القرب سيلحق به كما روي عن مطرف بن ابي بكر
الهذلي قال كانت عجوز في عبد قيس متعبدة وكانت اذا جاء
الليل تحزمت ثم قامت الى المحراب واذا جاء النهار خرجت الى
القبور فبلغني انها عوتبت في كثرة اتيانها المقابر فقالت ان القلب
القاسي اذا جفا لم يلينه الا رسوم البلى واني لاتي القبور وكاني
انظر وقد خرجوا من بين اطباقها وكاني انظر الى تلك الوجوه
المتعفرة والى تلك الاجساد المتغيرة والى تلك الاكفان
الدسمة فيا لها من نظرة لو اشربها العباد قلوبهم ما انكل مرارتها
للانفس واشد تلفها للابدان بل ينبغي ان يحضر من صورة الميت
ما ذكره عمر بن عبد العزيز حيث دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورته
لكثرة الجهد والعبادة فقال له يا ابا فلان لو رايتني بعد ثلاث
وقد ادخلت قبري وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين

وتقلصت الشفتان على الاسنان وخرج الصديد من الفم ونتا
البطن فعلا على الصدر وخرج الصلب من الدبر وخرج الدود
والصديد من المناخر لرايت اعجب مما تراه الان ويستحب ايضا
الثنا على الميت وان لا يذكر الا بالجميل قالت عايشة رضي الله عنها
قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات صاحبكم فدعوه ولا تقعوا
فيه وقال عليه السلام لا تسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ما
قدموا وقال عليه السلام لا تذكروا امواتكم الا بخير فانهم ان
يكونوا من اهل الجنة تاثموا وان يكونوا من اهل النار فحسبهم ما
هم فيه وقال انس بن مالك مرت جنازة على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاثنوا عليها شرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجبت ومروا باخرى فاثنوا عليها خيرا فقال عليه السلام وجبت
فسال عمر بن الخطاب عن ذلك فقال ان هذا اثنيتم عليه خيرا
فوجبت له الجنة وهذا اثنيتم عليه شرا فوجبت له النار انتم
شهدا الله في ارضه وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان العبد ليموت فيثني عليه القوم الثنا يعلم الله تعالى منه غيره
فيقول الله تعالى للملايكة اشهدكم اني قد قبلت شهادة عبيدي
على عبدي وتجاوزت عن علمي في عبدي

الباب السابع في حقيقة
الموت وما يلقاه الميت في القبر الى نفخة الصور
بيان حقيقة الموت

اعلم ان للناس في حقيقة الموت ظنونا كاذبة قد اخطاوا
فيها فظن بعضهم ان الموت هو العدم وان لا حشر ولا نشر ولا
عاقبة للخير والشر وان موت الحيوانات وجفاف النبات
وهذا راي الملحدة وكل من لا يومن بالله واليوم الاخر وظن
قوم انه ينعدم بالموت ولا يتالم بالعقاب ولا يتنعم بالثواب ما
دام في القبر الى ان يعاد في وقت الحشر وقال اخرون ان الروح
باقية لا تنعدم بالموت وانما المثاب والمعاقب هي الارواح دون
الاجساد وان الاجساد لا تبعث ولا تحشر اصلا وكل هذه
الظنون فاسدة ومايلة عن الحق بل الذي يشهد له طريق
الاعتبار وتنطق به الايات والاخبار ان الموت معناه تغير
حال فقط وان الروح باقية بعد مفارقة الجسد اما معذبة واما
منعمة ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج
الجسد عن طاعتها فان الاعضا الالات للروح تستعملها حتى
لتبطش باليد وتسمع بالاذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الاشيا

الانسان لا يموت

بالقلب والقلب هاهنا عبارة عن الروح والروح تعلم الاشيا
بنفسها من غير آلة وكذلك قد يتالم بنفسه بانواع الغم والحزن
والكمد وتتنعم بانواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالاعضاء
وكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد
وما هو لها بواسطة الاعضاء فيتعطل بموت الجسد الى ان تعاد
الروح الى الجسد ولا يبعد ان تعاد الى الجسد في القبر ولا يبعد
ان تؤخر الى يوم البعث والله اعلم بما حكم به على كل عبد من عباده
وانما تعطل الجسد بالموت يضاهي تعطل الزمن بفساد مزاج يقع
فيه وبشدة تقع في الاعصاب تمنع نفوذ الروح فيها فتكون
الروح العالمة العاقلة المدركة باقية مستعملة لبعض الاعضاء
وقد استعصى عليها بعضها فالموت عبارة عن استعصاء الاعضاء
كلها وكل الاعضاء آلات والروح هي المستعملة لها واعني
بالروح المعنى الذي يدرك من الانسان العلوم والالام والغموم
ولذات الافراح ومهما بطل تصرفها في الاعضاء لم يبطل منها العلوم
والادراكات ولا يبطل منها قبولها للالام واللذات والانسان
بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم والالام واللذات وذلك لا
يموت اي لا ينعدم ومعنى الموت انقطاع تصرفه عن البدن وخروج

البدن عن ان يكون آلة له كما ان معنى الزمانة خروج اليد عن
ان تكون له آلة مستعملة فالموت زمانة في الاعضاء كلها مطلقا
وحقيقة الانسان نفسه وروحه وهي باقية نعم تغير حاله من
جهتين احدهما انه سلب منه عينه واذنه ولسانه ويده
ورجله وجميع اعضائه وسلب منه اهله وولده واقاربه وساير
معارفه وسلب منه خيله ودوابه وغلمانه ودوره وعقاره وساير
املاكه ولا فرق بين ان تسلب هذه الاشياء من الانسان وبين
ان يسلب الانسان من هذه الاشياء فان المولم هو الفراق
والفراق يحصل تارة بان ينهب مال الرجل وتارة بان يسبى الرجل عن
المال والالم واحد في الحالين وانما معنى الموت سلب الانسان
من امواله بازعاجه الى عالم آخر لا يناسب هذا العالم فان كان
له في الدنيا شي يانس به ويستريح اليه ويعتد بوجوده فيعظم
تحسره عليه بعد الموت ويصعب شقاؤه في مفارقته بل يلتفت
قلبه الى واحد واحد من ماله وجاهه وعقاره حتى الى قميص
كان يلبسه مثلا ويفرح به فان لم يكن يفرح الا بذكر الله تعالى
ولم يانس الا به عظم نعمته وتمت سعادته اذ خلي بينه وبين محبوبه
وقطعت عنه العوايق والشواغل اذ جميع اسباب الدنيا شاغلة

عن ذكر الله تعالى فهذا احد وجهي المخالفة بين حال الموت وحال
الحياة، والثانية انه ينكشف له بالموت ما لم يكن له مكشوفا
في الحياة كما ينكشف للمتيقظ ما لم يكن مكشوفا في النوم والناس
نيام فاذا ماتوا انتبهوا واول ما ينكشف له ما يضره وينفعه من
حسناته وسيئاته وقد كان ذلك مسطورا في كتاب مطوي في سر
قلبه فكان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا واذا انقطعت
الشواغل انكشفت له جميع اعماله فلا ينظر الى سيئة الا ويتحسر
عليها تحسرا يؤثر ان يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة
وعند ذلك يقال له كفى بنفسك اليوم حسيبا وينكشف
كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن واشتعل فيه نيران
الفراق اعني فراق ما كان يطمئن اليه من هذه الدنيا الفانية
دون ما اراد منها لاجل الزاد والبلغة فان من طلب الزاد للبلغة
فاذا بلغ المقصد فرح بمفارقة بقية الزاد اذ لم يكن يريد الزاد
لعينه وهذا حال من لم يكن ياخذ من الدنيا الا بقدر الضرورة
وكان يود ان ينقطع ضرورته ليستغني عنه فقد حصل ما كان
يوده واستغنى عنه وهذه انواع من العذاب والالام عظيمة
تهجم عليه قبل الدفن ثم عند الدفن قد ترد روحه الى الجسد لنوع

آخر من العذاب وقد يعفى عنه ويكون حال المتنعم بالدنيا المطمئن
اليها كحال من تنعم عند غيبة ملك من الملوك في داره وملكه وحريمه
اعتمادا على ان الملك يتساهل في امره وعلى ان الملك ليس يدري
ما يتعاطاه من قبيح افعاله فاخذه الملك بغتة وعرض عليه
جريدة قد دونت فيها جميع فواحشه وجناياته ذرة ذرة وخطوة
خطوة والملك قاهر متسلط وغيور على حرمه ومنتقم من
الجناة على ملكه وغير ملتفت الى من يتشفع اليه في العصاة عليه
فانظر الى حال هذا الماخوذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب
الملك به من الخوف والخجل والحياء والتحسر والندم فهذا حال
الفاجر الميت المغتر بالدنيا المطمئن اليها قبل نزول عذاب القبر
به بل عند موته نعوذ بالله تعالى منه فان الخزي والافتضاح
وهتك الستر اعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع
وغيرهما فهذه اشارة الى حال الميت عند الموت تشاهدها
اولي البصائر بمشاهدة باطنة اقوى من مشاهدة العين ويشهد
لذلك شواهد الكتاب والسنة نعم لا يمكن كشف الغطاء عن حقيقة
الموت اذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحياة ومعرفة الحياة
بمعرفة حقيقة الروح في نفسها وادراك ماهية ذاتها ولم يؤذن

لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتكلم فيها ولا ان يزيد على ان
يقول الروح من امر ربي فليس لاحد من علماء الدين ان يكشف
عن سر الروح وان اطلع عليه وانما الماذون فيه ذكر حال الروح
بعد الموت ويدل على ان الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام
ادراكها آيات واخبار كثيرة اما الايات فما ورد في الشهداء اذ قال
الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند
ربهم ولما قتل صناديد قريش والعرب يوم بدر ناداهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدني
ربي حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل يا رسول الله اتناديهم
وهم اموات فقال عليه السلام والذي نفسي بيده انهم لاسمع لهذا
الكلام منكم الا انهم لا يقدرون على الجواب فهذا نص في بقاء
روح الشقي وبقاء ادراكها ومعرفتها والاية نص في ارواح
الشهداء ولا يخلو الميت عن سعادة او شقاوة وقال عليه السلام
القبر اما حفرة من حفر النيران او روضة من رياض الجنان
فهذا نص صريح في ان الموت معناه تغير حال فقط وانما يكون
من شقاوة الميت وسعادته ويتعجل عند الموت من غير تاخر وانما
يتاخر بعض انواع العذاب والثواب دون اصله وروى انس

ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الموت القيامة من
مات فقد قامت قيامته وقال عليه السلام اذا مات احدكم
عرض عليه مقعده غدوة وعشية فان كان من اهل الجنة فمن الجنة
وان كان من اهل النار فمن النار ثم يقال هذا مقعدك حتى يبعثك
الله اليه يوم القيمة وليس يخفى ما في مشاهدة المقعدين من عذاب
ونعيم في الحال وعن ابي قيس قال كنا مع علقمة في جنازة فقال
اما هذا فقد قامت قيامته وقال علي رضي الله عنه حرام على نفس
ان تخرج من الدنيا تعلم اين من اهل الجنة هي ام من اهل النار وقال حتى م
ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات شهيدا ووقي مريضا مات م
فتان القبر وغدي وريح عليه من رزق الجنة وقال مسروق ما غبطت
احدا ما غبطت مومنا في اللحد استراح من نصب الدنيا وامن
عذاب الله تعالى وقال يعلى بن الوليد كنت امشي مع ابي الدردا
فقلت له ما تحب لمن تحب قال الموت قلت فان لم يمت قال يقل ماله
وولده وانما احب الموت لانه لا يحبه الا المومن والموت اطلاق للمومن
من السجن وانما احب قلة المال والولد لانهما فتنة للانس بالدنيا
والانس بما لا بد من فراقه غاية الشقاوة وكل ما سوى الله تعالى
وذكره والانس به فلا بد من فراقه عند الموت لا محالة ولهذا قال

عبد الله بن عمر انما مثل المومن حين تخرج نفسه او روحه مثل
رجل كان في سجن فخرج منه فهو يتفسح في الارض ويتقلب فيها
وهذا الذي ذكره حال من تجافى عن الدنيا وتبرم بها ولم يكن له
الانس الا بذكر الله تعالى وكانت شواغل الدنيا تحبسه عن محبوبه
ومقاساة الشهوات توذيه وكان في الموت خلاصه من جميع الموذيات
وانفراده بمحبوبه الذي كان به انسه من غير عايق ولا دافع وما
اجدر ذلك بان يكون منتهى النعيم واللذات واكمل اللذات للشهداء
الذين قتلوا في سبيل الله لانهم ما اقدموا على القتال الا قاطعين
التفاتهم عن علايق الدنيا مشتاقين الى لقاء الله راضين بالقتل
في طلب مرضاته فان نظر الى الدنيا فقد باعها طوعا بالاخرة
والبايع لا يلتفت قلبه الى المبيع وان نظر الى الاخرة فقد اشتراها
وتشوق اليها فما اعظم فرحه بما اشتراه وما اقل التفاته الى ما باعه
اذا فارقه وتجرد القلب لحب الله تعالى قد يتفق في بعض الاحوال
ولكن لا يدركه الموت عليه صغير والقتال سبب الموت فكان
سببا لادراك الموت على مثل هذه الحالة فلهذا اعظم النعيم اذ معنى
النعيم ان ينال الانسان ما يريد قال الله تعالى لهم فيها ما يشاؤون
فكان هذا اجمع عبارة لمعاني لذات الجنة واعظم العذاب ان يمنع

الانسان عن مراده كما قال الله تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون
فكان هذا اجمع عبارة لعقوبات جهنم وهذا النعيم يدركه الشهيد — اهل م
كما انقطع نفسه من غير تاخير وهذا امر انكشف لارباب القلوب
بنور اليقين وان اردت عليه شهادة من جهة الشرع فجميع احاديث
الشهداء تدل عليه وكل حديث يشتمل على التعبير عن منتهى نعيمهم
بعبارة اخرى فقد روي عن عايشة انها قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لجابر الا ابشرك يا جابر وكان قد استشهد
ابوه قال بلى بشرك الله بالخير قال ان الله تعالى قد احيى اباك
فاقعده بين يديه وقال تمن على عبدي ما شيت اعطكه قال يا
رب ما عبدتك حق عبادتك اتمنى عليك ان تردني الى الدنيا
فاقاتل مع نبيك فاقتل فيك مرة اخرى قال انه قد سلف
مني انك اليها لا تعود وقال كعب يوجد رجل في الجنة يبكي
فقيل له لم تبكي وانت في الجنة قال ابكي اني لم اقتل في الله الا
قتلة واحدة وكنت اشتهي ان ارد فاقتل فيه قتلات واعلم
ان المومن ينكشف له من عقيب الموت من سعة جلال الله ما تكون
الدنيا بالاضافة اليها كالسجن والمضيق ويكون مثاله كالمحبوس
في بيت مظلم فتح له باب البستان واسع الاكناف لا يبلغ طرفه

اقصاه فيه انواع الاشجار والازهار والطيور والثمار فلا
يشتهي العود الى السجن المظلم وقد ضرب له رسول الله صلى الله
عليه وسلم مثلا وقال لرجل مات اصبح هذا مرتحلا وتركها
لاهلها فان كان قد رضي فلا يسره ان يرجع الى الدنيا كما لا يسر
احدكم ان يرجع الى بطن امه فتعرف بهذا ان نسبة سعة الاخرة
الى الدنيا كنسبة الدنيا الى ظلمة الرحم . وقال عليه السلام
ان مثل المومن في الدنيا كمثل الجنين في بطن امه اذا خرج من
بطن امه بكى على مخرجه حتى اذا راى الضوء لم يحب ان يرجع الى بطن
امه وكذلك المومن يجزع من الموت فاذا افضى الى ربه عز وجل
لم يحب ان يرجع الى الدنيا كما لا يحب الجنين ان يرجع الى بطن امه . وقيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا قد مات فقال مستريح
ومستراح منه اشار بالمستريح الى المومن وبالمستراح منه الى الفاجر
اذ تستريح اهل الدنيا منه . وقال ابو عمرو صاحب السقيا مر بنا عمر
ونحن صبيان فنظر الى قبر فاذا جمجمة بادية فامر رجلا فواراها
ثم قال ان هذه الابدان ليس يضرها هذا الثرى شيئا وانما الارواح
التي تعاقب وتثاب الى يوم القيمه . وعن عمرو بن دينار قال ما من
ميت يموت الا وهو يعلم ما يكون في اهله بعده وانهم ليغسلونه

ويكفنونه وانه لينظر اليهم . وعن مالك بن انس قال بلغني ان
ارواح المومنين مرسلة تذهب حيث شاءت . وقال النعمن بن بشير
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الا انه لم يبق من
الدنيا الا مثل الذباب تمور في جوها فالله الله في اخوانكم من اهل
القبور فان اعمالكم تعرض عليهم . وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه
وسلم لا تفضحوا امواتكم بسيئات اعمالكم فانها تعرض على اوليايكم
من اهل القبور . ولذلك قال ابو الدردا اللهم اني اعوذ بك ان
اعمل عملا اخزى به عند عبد الله بن رواحه وكان قد مات وهو
خاله . وسيل عبد الله بن عمرو بن العاص عن ارواح المومنين اذا
ماتوا اين هي قال في جوف طيور بيض في ظل العرش وارواح الكافرين
في الارض السابعه . وقال ابو سعيد الخدري سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ان الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن
يدليه . وقال صالح المري بلغني ان الارواح تتلاقى عند الموت
فتقول ارواح الموتى للروح التي تخرج اليهم كيف كان ماواك وفي
اي الجسدين كنت في طيب او خبيث . وقال عبيد بن عمير اهل
القبور يتوكفون الاخبار فاذا اتاهم الميت قالوا ما فعل فلان
فيقول الم ياتكم او ما قدم عليكم فيقولون لا فيقولون انا لله وانا

اليه راجعون نسلك به عن سبيلنا ، وعن جعفر بن سعيد قال
اذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغايب ، وقال
مجاهد ان الرجل ليبشر بصلاح ولده في قبره ، وروى ابو ايوب
الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان نفس المومن
اذا قبضت تلقاها اهل الرحمة من عند الله تعالى كما يتلقى البشير
في الدنيا يقولون انظروا اخاكم حتى يستريح فانه كان في كرب
شديد فيسالونه ماذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة وهل تزوج
فلان فاذا سالوه عن رجل مات قبله وقال مات قبلي قالوا انا لله
ذهب به الى امه الهاوية ۝ **بيان كلام القبر للميت
وكلام الموتى** اما بلسان المقال او بلسان الحال التي هي افصح
من تفهيم الموتى من لسان المقال في تفهيم الاحيا قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك
يا ابن ادم ما غرك بي الم تعلم اني بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت
الوحدة وبيت الدود ويحك ما غرك بي اذ كنت تمر بي فذاذا
فان كان مصلحا اجاب عنه مجيب للقبر فيقول ارايت ان كان يامر
بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر اني اذا اتحول عليه خضرا
ويعود جسده نورا وتصعد روحه الى الله تعالى والفداد هو

الذي

الذي يقدم رجلا ويوخر اخرى كذلك فسره الراوي ، وقال
عبيد بن عمير الليثي ليس من ميت يموت الا نادته حفرته التي يدفن
فيها انا بيت الظلمة والوحدة والانفراد فان كنت في حياتك
مطيعا كنت عليك اليوم رحمة وان كنت عاصيا فانا اليوم
عليك نقمة انا الذي من دخلني مطيعا خرج مسرورا ومن دخلني
عاصيا خرج مثبورا ، وقال محمد بن صبيح بلغنا ان الرجل اذا وضع
في قبره فعذب واصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من الموتى
ايها المخلف في الدنيا بعد اخوانه وجيرانه اما كان لك فينا معتبر
اما كان لك في تقدمنا اياك فكرة اما رايت انقطاع اعمالنا وانت
في المهلة فهلا استدركت ما فات من اخوانك وتناديه بقاع
الارض ايها المغتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بما غيب من اهلك
في بطن الارض ممن غرته الدنيا قبلك ثم سبق به اجله الى القبور
وانت تراه محمولا تهاداه احبته الى المنزل الذي لا بد له منه ،
وقال يزيد الرقاشي بلغني ان الميت اذا وضع في قبره احتوشته
اعماله ثم انطقها الله تعالى فقالت ايها العبد المنفرد في حفرته
انقطع عنك الاخلاء والاهلون فلا انيس لك اليوم غيرنا ،
وقال كعب اذا وضع العبد الصالح في القبر احتوشته اعماله الصالحة

الصلاة والصوم والحج والجهاد والصدقة قال وتجي ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة اليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد اطال في القيام لله عليها فياتونه من قبل راسه فيقول الصيام لا سبيل لكم عليه فقد اطال ظماه في الدنيا فياتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد اليكم عنه فانه قد انصب نفسه واتعب بدنه وحج وجاهد لله تعالى لا سبيل لكم عليه فياتونه من قبل يديه فتقول الصدقة كفوا خلوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين قد وقعت في يد الله تعالى ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه قال فيقال هنيئا طبت حيا وطبت ميتا قال وتاتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشا من الجنة ودثارا من الجنة ويفسح له في قبره مد بصره ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضيء بنوره الى يوم يبعثه الله تعالى من قبره ٭ وقال عبد الله بن عمر في جنازة بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الميت يقعد وهو يسمع خطوة مشيعيه فلا يكلمه شيء الا قبره فيقول ويحك ابن ادم اليس قد حذرتني وحذرت ضيقي ونتني وهولي ودودي فما ذا اعددت لي ٭

بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير

٭ قال البراء بن عازب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكسا راسه ثم قال اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر ثلاثا ثم قال ان المؤمن اذا كان في قبل الاخرة بعث الله اليه ملائكة كان وجوههم الشمس معهم حنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره فاذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك في السماء وفتحت له ابواب السماء فليس منها باب الا يحب ان يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه قيل اي رب عبدك فلان فيقول ارجعوه فاروه ماذا اعددت له من الكرامة فاني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد قال فينتهره انتهارا شديدا وهي اخر فتنة تعرض على الميت فاذا قال ذلك نادى مناد ان صدقت وهو معنى قوله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت الاية ثم ياتيه ات حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول ابشر برحمة من ربك وجنات فيها نعيم مقيم فيقول وانت فبشرك الله بخير من انت فيقول انا عملك الصالح والله ما علمت

ان كنت لسريعاً في طاعة الله بطيئاً عن معصية الله فجزاك
الله خيراً ثم ينادي منادٍ ان افرشوا له من فرش الجنة وافتحوا
له باباً الى الجنة فيفرش له فراش من الجنة ويفتح له باب الى
الجنة فيقول اللهم عجل قيام الساعة حتى ارجع الى اهلي ومالي
قال واما الكافر اذا كان في قبل من الاخرة وانقطاع من
الدنيا نزلت اليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسرابيل
من قطران فيحتوشونه فاذا خرجت نفسه لعنه كل ما بين السماء
والارض وكل ملك في السماء وغلقت ابواب السماء فليس منها
باب الا يكره ان يدخل بروحه فيه فاذا صعد بروحه نبذ وقيل
اي رب عبدك فلان لم تقبله سما ولا ارض فيقول ارجعوه فاروه
ماذا اعددت له من الشر اني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم
ومنها نخرجكم تارة اخرى وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين
حتى يقال له يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا
ادري فيقول لا دريت ولا تليت ثم يأتيه آتٍ قبيح الوجه منتن
الريح قبيح الثياب فيقول ابشر بسخط الله وبعذاب اليم فيقول
بشرك الله بشر من انت فيقول انا عملك الخبيث والله ان كنت
لسريعاً في معصية الله بطيئاً عن طاعة الله تعالى فجزاك الله تعالى

شراً ثم يقيض له اعمى اصم ابكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع
الثقلان على ان يقلوها لم يستطيعوا لو ضرب بها جبل صار تراباً
فيضربه به مرة فيصير تراباً ثم تعود فيه الروح فيضربه بها بين عينيه
ضربة يسمعها من على الارض الا الثقلين قال ثم ينادي منادٍ ان
افرشوا له لوحين من نار وافتحوا له باباً الى النار فيفرش له
لوحان من نار ويفتح له باب الى النار وقال محمد بن علي ما من ميت
يموت الا ومثل له عند الموت اعماله الحسنة واعماله السيئة فيشخص
الى حسناته ويطرق عن سيئاته وقال ابو هريرة ان المومن اذا
حضرته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان فتسل
روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال ايتها النفس المطمئنة
اخرجي راضية مرضية عنك الى روح الله وكرامته فاذا اخرجت
روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليها الحريرة
وبعثت الى عليين وان الكافر اذا حضرته الملائكة بمسح فيه جمرة
فتنزع روحه انتزاعاً ويقال ايتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة
ومسخوطاً عليك الى هوان الله تعالى وعذابه فاذا اخرجت روحه
وضعت على تلك الجمرة وان لها نشيشاً ويطوى عليها المسح ويذهب
بها الى سجين وعن محمد بن كعب القرظي انه كان يقرا قوله تعالى حتى

ترجع

اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا
فيما تركت كلا قال اي شي تريد في اي شي ترغب اتريد ان تخرج
لتجمع المال وتغرس الغراس وتبني البنيان وتشق الانهار فقال
لعلي اعمل صالحا فيما تركت قال يقول الجبار جل جلاله كلا
انها كلمة هو قائلها اي ليقولنها عند الموت، وقال ابو هريرة قال
النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب
له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ويضي حتى يكون كالقمر ليلة
البدر هل تدرون فيماذا انزلت فان له معيشة ضنكا قالوا
الله ورسوله اعلم قال عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة
وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين تسعة وتسعون حية لكل
حية سبعة اروس يخدشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه الى يوم
يبعثون ولا ينبغي ان تتعجب من هذا العدد على الخصوص فان اعداد
هذه الحيات والعقارب بعدد اعداد الاخلاق المذمومة من الكبر
والريا والحسد والغل والحقد وساير الصفات فان لها اصولا
معدودة ثم تتشعب منها فروع معدودة وتنقسم فروعها باقسام
وتلك الصفات باعيانها هي المهلكات وهي باعيانها تنقلب عقارب
وحيات فالقوي منها يلدغ لدغ التنين والضعيف منها يلدغ لدغ

العقارب وما بينهما يوذي ايذا الحية وارباب العلوم والبصاير
يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات وانشعاب فروعها الا
ان مقدار عددها لا يوقف عليه الا بنور النبوة فامثال هذه الاخبار
لها ظواهر صحيحة واسرار خفية ولكنها عند ارباب البصاير واضحة
فمن لم ينكشف له حقايقها فلا ينبغي ان ينكر ظواهرها بل اولى درجات
الايمان التصديق والتسليم، فان قلت فنحن نشاهد الكافر في قبره
مدة ونراقبه ولا نشاهد شيا من ذلك فما وجه التصديق على خلاف
المشاهدة فاعلم ان لك ثلاث مقامات في التصديق بامثال هذا
احدها هو الاظهر والاصح والاسلم بان تصدق بانها موجودة
وهي تلدغ الميت ولكنك لا تشاهد ذلك فان هذه العين لا تصلح
لمشاهدة الامور الملكوتية وكل ما يتعلق بالاخرة فهو من عالم الملكوت
اما ترى الصحابة كيف كانوا يومنون بنزول جبريل وما كانوا يشاهدونه
ويومنون بانه عليه السلام يشاهده فان كنت لا تومن بهذا فتصحيح
اصل الايمان بالملايكة والوحي اهم عليك وان امنت به وجوزت
ان يشاهد النبي صلى الله عليه وسلم ما لا تشاهده الامة فكيف لا تجوز
هذا في الميت وكما ان الملك لا يشبه الادميين والحيوانات فالحيات
والعقارب التي تلدغ في القبر ليس من جنس حيات عالمنا بل هي جنس

آخر وتدرك بحاسة أخرى المقام الثاني أن يتذكر أمر النائم
فإنه قد يرى في نومه حية تلدغه وهو يتألم بذلك حتى تراه في
نومه يصيح ويعرق جبينه وقد ينزعج من مكانه كل ذلك يدركه
من نفسه ويتأذى به كما يتأذى اليقظان وهو يشاهده وأنت ترى
ظاهره ساكنا ولا ترى حواليه حية والحية موجودة في حقه والعذاب
حاصل ولكنه في حقك غير مشاهد وإذا كان العذاب في ألم اللدغ
فلا فرق بين حية تتخيل أو تشاهد المقام الثالث أن تعلم أن
الحية بنفسها لا تؤلم بل الذي يلقاك منها وهو السم ثم السم ليس هو
الألم بل عذابك في الأثر الذي يحصل فيك من السم فلو حصل مثل ذلك
الأثر من غير سم لكان العذاب قد توفر وكان لا يمكن تعريف ذلك
النوع من العذاب إلا بأن يضاف إلى السبب الذي يفضي إليه في
العادة فإنه لو خلق في الإنسان لذة الوقاع مثلا من غير مباشرة
صورة الوقاع لم يمكن تعريفها إلا بالإضافة إليه لتكون الإضافة للتعريف
بالسبب وتكون ثمرة السبب حاصلة وإن لم تحصل صورة السبب والسبب
يراد لثمرته وهذه الصفات المهلكات تنقلب مؤذيات ومؤلمات في
النفس عند الموت فيكون كآلام لدغ الحيات من غير وجود حيات
وانقلاب الصفة مؤذية يضاهي انقلاب العشق مؤذيا عند موت

المعشوق فإنه كان لذيذا فطرأت حالة صار اللذيذ بنفسه مؤلما
حتى نزل بالقلب من أنواع العذاب ما يتمنى معه أنه لم يكن قد تنعم
بالعشق والوصال بل هذا بعينه هو أحد عذاب الميت فإنه قد سلط
عليه العشق في الدنيا على نفسه فصار يعشق ماله وعقاره وجاهه
وولده وأقاربه ولو أخذ جميع ذلك في حياته من لا يرجو استرجاعه
منه فما ترى يكون حاله أليس يعظم شقاؤه ويشتد عذابه ويتمنى
ويقول ليته لم يكن لي مال قط ولا جاه قط وكنت لا أتأذى بفراقه
فالموت عبارة عن مفارقة المحبوبات الدنيوية كلها دفعة واحدة
وما حال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحد فما حال من
يفرح إلا بالدنيا فتؤخذ منه الدنيا وتسلم إلى أعدائه ثم يضاف
إلى هذا العذاب تحسره على ما فاته من نعيم الآخرة والحجاب عن الله
تعالى وذلك هو الذي يعذب به فإن حب غير الله يحجبه عن لقاء
الله تعالى والتنعم به فيتوالى عليه ألم جميع محبوباته وحسرة ما
فاته من نعيم الآخرة أبد الآباد وذل الرد والحجاب عن الله تعالى
وذلك هو الذي يعذب به إذ لا يتبع نار الفراق إلا نار جهنم كما
قال الله تعالى كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم إنهم لصالوا
الجحيم وأما من لم يأنس بالدنيا ولم يحب إلا الله وكان مشتاقا إلى لقاء

الله فقد تخلص من سجن الدنيا ومقاساة الشهوات فيها وقدم
على محبوبه وانقطعت عنه العوائق والصوارف وتوفر عليه النعيم
مع الامن عن الزوال ابد الاباد لمثل ذلك فليعمل العاملون
والمقصود ان الرجل قد يحب فرسه بحيث لو خير بين ان تؤخذ منه
او تلدغه عقرب آثر الصبر على لدغ العقرب فاذا الم فراق الفرس
عنده اعظم من لدغ العقرب وحب الفرس هو الذي يلدغه اذا
اخذ منه فرسه فليستعد لهذه اللدغات فان الموت ياخذ منه فرسه
ومركبه وداره وعقاره واهله وولده واحبابه ومعارفه
وياخذ منه جاهه وقبوله بل ياخذ منه سمعه وبصره واعضاءه وييأس
عن رجوع جميع ذلك اليه فاذا لم يحب سواه وقد اخذ جميع ذلك
منه فذلك اعظم عليه من العقارب والحيات وكما لو اخذ ذلك
منه وهو حي فيعظم عقابه وكذلك اذا مات لانا قد بينا ان المعنى
الذي هو المدرك للالم واللذات لم يمت بل عذابه بعد الموت اشد
لانه في الحياة يتسلى باسباب يشتغل بها حواسه من مجالسة
ومحادثة ويتسلى برجاء العود اليه ويتسلى برجاء العوض منه
ولا يتسلى بعد الموت اذ قد انسد عليه طرق التسلي وحصل
الياس فاذن كل قميص له ومنديل قد احبه بحيث كان يشق عليه لو

اخذ منه فانه يبقى متأسفا عليه ومعذبا به فان كان مخفا من الدنيا
سلم وهو المعنى بقوله نجا المخفون وان كان مثقلا اعظم عذابه
وكما ان حال من يسرق منه دينار اخف من حال من يسرق منه ديناران
او عشرة دنانير وكذلك حال صاحب الدرهم اخف من حال صاحب
الدرهمين وما من شيء من الدنيا يتخلف عنك عند الموت الا وهو
حسرة عليك بعد الموت فان شئت فاستكثر وان شئت فاستقلل
فان استكثرت فلست تستكثر الا الحسرة وان استقللت فلست
تخفف الا عن ظهرك وانما تكثر الحيات والعقارب في قبور الاغنياء
الذين استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة وفرحوا بها واطمأنوا اليها
فهذه مقامات اهل الايمان في حيات القبر وعقاربه فيه في سائر
انواع عذابه، رأى ابو سعيد الخراز ابنا له قد مات في المنام فقال
له يا بني عظني قال لا تخالف الله فيما يريد قال يا بني زدني قال يا
ابه لا تطيق قال قل قال لا تجعل بينك وبين الله قميصا فما لبس
قميصا ثلاثين سنة، فان قلت ما الصحيح من هذه المقامات الثلاثة
فاعلم ان في الناس من لم يثبت الا الاول وانكر ما بعده ومنهم من
انكر الاول واثبت الثاني ومنهم من لم يثبت الا الثالث، واما
الحق الذي انكشف لنا بطريق الاستبصار ان كل ذلك في حيز

الامكان وان من ينكر بعض ذلك فهو لضيق حوصلته وجهله
باتساع قدرة الله تعالى وعجايب تدبيره فينكر من افعال الله
ما لم يانس به ولم يالفه وذلك جهل وقصور بل هذه الطرق
الثلاثة في التعذيب ممكن والتصديق بها واجب ورب عبد
يعاقب بنوع من هذه الانواع ورب عبد يجمع عليه هذه الانواع
الثلاثة نعوذ بالله من عذابه قليله وكثيره هذا هو الحق
وتصدق به تقليدا فيعز على بساط الارض من يعرف ذلك تحقيقا
والذي اوصيك به ان لا تكثر نظرك في تفصيل ذلك ولا تشتغل بالتدبير
بمعرفته بل تشتغل في دفع العذاب كيف ما كان فان اهملت العمل
والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك كنت كمن اخذه سلطان وحبسه
ليقطع انفه ويجدع يده فاخذ طول الليل في انه يتفكر في انه هل يقطعه
بسكين او بسيف او موسى واهمل طريق الحيلة في اصل دفع العذاب
عن نفسه وهذا غاية الجهل فقد علم على القطع ان العبد بعد الموت
لا يخلو عن عقاب عظيم او عن نعيم مقيم فينبغي ان يكون الاستعداد
له واما البحث عن تفصيل العقاب والثواب ففضول وتضييع زمان ٥

بيان سؤال منكر ونكير وصورتهما وضغطة
القبر وبقية القول في عذاب القبر ٥ قال ابو هريرة قال النبي

صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد اتاه ملكان فظان غليظان
اسودان ازرقان يقال لاحدهما منكر وللاخر نكير فيقولان له
ما كنت تقول في النبي عليه السلام فان كان مومنا قال هو عبد الله
ورسوله اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فيقولان
ان كنا لنعلم انك تقول ذلك ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا
في سبعين وينور له في قبره ثم يقال له نم فيقول دعوني ارجع
الى اهلي فاخبرهم فيقال له نم فينام كنومة العروس الذي لا يوقظه
الا احب اهله اليه حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك ، وان
كان منافقا قال لا ادري كنت اسمع الناس يقولون شيا وكنت
اقوله فيقولان ان كنا لنعلم انك تقول ذلك ثم يقال للارض
التامي عليه فتلتيم عليه حتى تختلف فيها اضلاعه فلا يزال معذبا
حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك ، وعن عطاء بن يسار قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب كيف بك اذا انت
مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة اذرع في ذراع
وشبر ثم رجعوا اليك فغسلوك وكفنوك وحنطوك ثم
احتملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا عليك التراب ويدفنوك
فاذا انصرفوا عنك اتاك فتانا القبر منكر ونكير اصواتهما

كالرعد القاصف وابصارهما كالبرق الخاطف يجران اشعارهما ويحثان القبر بانيابهما فيتلتلانك ويترترانك كيف بك عند ذلك يا عمر فقال عمر ويكون معي مثل عقلي الان قال نعم قال اذاً اكفيهما، وهذا نص صريح في ان العقل لا يتغير بالموت انما يتغير البدن والاعضا ويكون الميت عاقلاً مدركاً عالماً للالام واللذات كما كان لا يتغير من عقله شي وليس العقل المدرك هذه الاعضا بل هو شي باطن ليس له طول ولا عرض بل لا ينقسم في نفسه وهو المدرك للاشيا ولو تناثرت اعضاء الانسان كلها ولم يبق الا الجزء المدرك الذي لا يتجزى ولا ينقسم لكان الانسان العاقل بكماله قايماً باقياً وهو كذلك بعد الموت وان ذلك الجزء لا يحله الموت ولا يطرا عليه العدم، قال محمد بن المنكدر بلغني ان الكافر يسلط عليه في قبره دابة عمياء صماء في يدها سوط راسه مثل غارب الجمل تضربه به الى يوم القيمة لا يراه فيتقيه ولا يسمع صوته فيرحمه، وقال ابو هريرة اذا وضع الميت في قبره جاته اعماله الصالحة فاحتوشته فان اتاه من قبل راسه جات قراة القران وان اتاه من قبل رجليه جاء قيامه وان اتاه من قبل يديه قالت اليدان والله لقد كان يبسطنا للصدقة والدعاء لا سبيل لكم عليه

وان جاء من قبل فيه جاء ذكره وصيامه وكذلك الصلوة والصبر ناحية من اللحد فيقول اما اني لو رايت خللاً لكنت انا صاحبه وقال سفين يحاجش عنه اعماله الصالحة كما يحاجش الرجل عن اخيه واهله وولده ثم يقال له عند ذلك بارك الله لك في مضجعك فنعم الاخلاء اخلاوك ونعم الاصحاب اصحابك، وعن حذيفة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فجلس على راس القبر ثم جعل ينظر فيه ثم قال تضغط المومن في هذا ضغطة تزول منها حمايله، وقالت عايشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للقبر ضغطة ولو سلم او نجا منها احد لنجا سعد بن معاذ، وعن انس توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امراة مسقامة فتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهينا الى القبر فدخله النبي ووجهه صفر فلما خرج اسفر وجهه فقلنا يا رسول الله راينا منك شاناً فمم ذلك قال ذكرت ضغطة ابنتي وشدة عذاب القبر فاتيت فاخبرت ان قد خفف الله عنها ولقد ضغطت ضغطة سمع صوتها ما بين الخافقين ٥

الباب الثامن

فيما عرف من احوال الموتى بالمكاشفة في المنام ٥

اعلم ان انوار البصاير المستفادة من كتاب الله تعالى وسنة
رسوله ومن مناهج الاعتبار يعرفنا احوال الموتى على الجملة
وانقسامهم الى سعداء واشقيا ولكن حال زيد وعمرو بعينه
فلا ينكشف به اصلا فاما ان عولنا على ايمان زيد فلا ندري
على ما ذا مات وكيف ختم له وان عولنا على صلاحه الظاهر
فالتقوى محله القلب وهو غامض خفي على صاحب التقوى فكيف
على غيره فلا حكم لظاهر الصلاح دون التقوى الباطن قال الله
تعالى انما يتقبل الله من المتقين فلا يمكن معرفة حكم زيد وعمرو
الا بمشاهدته ومشاهدة ما يجري عليه واذا مات فقد تحول
من عالم الملك والشهادة الى عالم الغيب والملكوت فلا يرى
بالعين الظاهرة وانما يرى بعين اخرى خلقت تلك العين في قلب
كل انسان ولكن الانسان جعل عليها غشاوة كثيفة من شهواته
واشغاله الدنياويه فصار لا يبصر بها ولا يتصور ان يبصر بها شيا
من عالم الملكوت ما لم تنقشع تلك الغشاوة عن عين قلبه
ولما كانت الغشاوة منقشعة عن اعين الانبياء عليهم السلام
فلا جرم نظروا الى الملكوت وشاهدوا عجايبه والموتى في عالم
الملكوت فشاهدوهم واخبروا ولذلك راى رسول الله صلى

الله عليه وسلم ضغطة القبر في حق سعد بن معاذ وفي حق ابنته
زينب وكذلك حال ابي جابر لما استشهد اذ اخبر ان الله
تعالى اقعده بين يديه ليس بينهما ستر ومثل هذه المشاهدة لا
مطمع فيها لغير الانبياء والاولياء الذين تقرب درجتهم منهم
وانما الممكن من امثالنا مشاهدة اخرى ضعيفة الا انها ايضا
مشاهدة نبوية واعني به المشاهدة في المنام وهو من انوار
النبوة وهو ايضا انكشاف لا يحصل الا بانقشاع الغشاوة
عن القلب فكذلك لا يوثق الا برؤيا الرجل الصالح الصادق
ومن كثر كذبه لم تصدق رؤياه قال عليه السلام اصدقكم رؤيا
اصدقكم حديثا ومن كثر فساده ومعاصيه اظلم قلبه فكان
ما يراه اضغاث احلام ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالطهارة عند النوم لينام طاهرا وهو اشارة الى طهارة
الباطن ايضا فهو الاصل وطهارة الظاهر بمنزلة التتمة والتكملة
لها ومهما صفا الباطن انكشف في حدقة القلب ما سيكون في
المستقبل كما انكشف لرسول الله صلى الله عليه وسلم دخول
مكة في النوم حتى نزل قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا
بالحق وقلما يخلو الانسان عن منامات دلت على امور فوجدها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الرؤيا الصالحة جزء من ستة
واربعين جزءا من النبوة

صحيحه والرويا ومعرفة الغيب في النوم من عجايب صنع الله وبدايع
فطرة الادمي وهو من اوضح الادله على عالم الملكوت والخلق
غافلون عنه لغفلتهم عن ساير عجايب القلب وعجايب العالم والقول
في حقيقة الرويا من دقايق علوم المكاشفه فلا يمكن ذكره علاوة
على علم المعامله ولكن القدر الذي يمكن ذكره هاهنا مثال
يفهمك المقصود وهو ان تعلم ان القلب مثاله مثال مراه تتراي
فيها الصور وحقايق الامور وان كل ما قدره الله من ابتداء
خلق العالم مسطور ومثبوت في خلق خلقه الله تعالى يعبر
عنه تارة باللوح وتارة بالكتاب المبين وتارة بامام مبين كما
ورد في القران فجميع ما جرى في العالم او ما سيجري مكتوب
فيه ومنقوش عليه نقشا لا يشاهد بهذه العين ولا تظنن
ان ذلك اللوح من خشب او حديد او عظم وان الكتاب من
كاغد او ورق بل ينبغي ان تفهم قطعا ان لوح الله تعالى لا يشبه
لوح الخلق وكتاب الله لا يشبه كتاب الخلق كما ان ذاته وصفاته
لا تشبه ذات الخلق وصفاتهم بل ان كنت تطلب له مثالا يقربه
الى فهمك فاعلم ان ثبوت المقادير في اللوح تضاهي ثبوت كلمات
القران وحروفه في دماغ حافظ القران وقلبه فانه مسطور فيه

حتى كانه حيث يقروه ينظر فيه ولو فتشت دماغه جزا جزا
لم يشاهد من ذلك الخط حرفا فمن هذا النمط ينبغي ان تفهم كون
اللوح منقوشا بجميع ما قدره الله فيه وقضاه واللوح في المثال
كمراة ظهر فيها الصور فلو وضع في مقابلة المراة مراة اخرى لكانت
صورة تلك المراة تتراى في هذه الا ان يكون بينهما حجاب
والقلب مراة تقبل رسوم العلم واللوح مراة رسوم العلوم كلها
وصورة الكاينات كلها موجوده فيها واشتغال الانسان
بشهواته ومقتضى حواسه حجاب مرسل بينه وبين مطالعة اللوح
الذي هو من عالم الملكوت فان هبت ريح حركت هذا الحجاب
ورفعته تلالا في مراة القلب شي من عالم الملكوت كالبرق الخاطف
وقد يثبت ويدوم وقد لا يدوم وهو الغالب وما دام مستيقظا
فهو مشغول بما تورده الحواس عليه من عالم الملك والشهاده
وهو حجاب على عالم الملكوت ومعنى النوم ان تركد الحواس فلا
تورد على القلب شيا فاذا تخلص منه ومن الخيال وكان صافيا
في جوهره ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ فوقع في قلبه
شي مما في اللوح كما تقع الصورة من مراة في مراة اخرى فاذا
ارتفع الحجاب بينهما الا ان النوم مانع ساير الحواس عن العمل

وليس مانعا للخيال عن عمله وتحريكه فما يقع في القلب يبتدره
الخيال فيحاكيه بمثال يقاربه وتكون المتخيلات اثبت في الحفظ
من غيرها فيبقى الخيال في الحفظ فاذا انتبه لم يتذكر الا الخيال
فيحتاج المعبر ان ينظر ان هذا الخيال لحكاية اي معنى من المعاني
فيرجع الى المعاني بالمناسبة التي بين المتخيل والمعاني وامثلة
ذلك ظاهر عند من نظر في علم التعبير ويكفيك مثال واحد
وهو ان رجلا قال لابن سيرين رايت كان بيدي خاتما اختم به
افواه الرجال وفروج النساء فقال انت مؤذن تؤذن قبل
الصبح في رمضان قال صدقت فانظر ان روح الختم هو المنع ولاجله
يراد الختم وانما ينكشف للقلب حال الشخص في اللوح المحفوظ
كما هو عليه وهو كونه مانعا للناس من الاكل والشرب ولكن
الخيال الف المنع عند الختم بالخاتم فمثله بالصورة الخيالية
التي تتضمن روح المعنى ولا يبقى في الحفظ الا الصورة الخيالية
فهذه نبذة يسيرة من بحر علم الرؤيا الذي لا تنحصر عجايبه
فكيف لا وهو اخو الموت وانما الموت عجيب من العجايب
وهذا لانه يشبهه من وجه ضعيف اثره في كشف الغطا عن
عالم الغيب حتى صار النايم يعرف ما سيكون في المستقبل فما ذا ترى

في الموت

في الموت الذي يخرق الحجاب ويكشف الغطا بالكلية حتى
يرى الانسان عند انقطاع النفس من غير تاخير نفسه اما محفوفة
بالانكال والمخازي والفضايح نعوذ بالله من ذلك واما
مكنوفة بنعيم مقيم وملك كبير لا اخر له وعند هذا يقال للاشقيا
وقد انكشف الغطا لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك
غطاك فبصرك اليوم حديد ويقال افسحر هذا ام انتم لا
تبصرون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا الاية واليه الاشارة
بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فاعلم العلما
واحكم الحكما ينكشف له عقيب الموت من العجايب والايات ما لم يخطر
قط بباله ولا اختلج به ضميره فلو لم يكن للعاقل هم وغم الا الفكر
في خطر تلك الحال ان الحجاب عما ذا يرتفع وما الذي ينكشف عند
كشف الغطا من شقاوة لازمة او سعادة دايمة لكان ذلك كافيا
في استغراق جميع العمر والعجب من غفلتنا وهذه العظايم بين ايدينا
واعجب من ذلك فرحنا باموالنا واهلينا واسبابنا وذوينا بل
باعضاينا وسمعنا وبصرنا مع انا نعلم مفارقة جميع ذلك يقينا
ولكن اين من ينفث روح القدس في روعه فيقول له ما قال لسيد
النبيين احبب من احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت

واعمل ما شئت فانك مجزي به فلما جزم لما كان ذلك مكشوفا له
بعين اليقين كان في الدنيا كعابر سبيل لم يضع لبنة على لبنة ولا
قصبة على قصبة ولم يخلف دينارا ولا درهما ولم يتخذ خليلا ولا
حبيبا نعم قال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن
صاحبكم خليل الرحمن فبين ان خلة الرحمن تخللت باطن قلبه وان
حبه تمكن في حبة قلبه فلم يترك فيه متسعا للخليل ولا حبيب وقد
قال لامته ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فانما احبه
من اتبعه وانما اتبعه الا من اعرض عن الدنيا واقبل على الاخرة
فانه ما دعا الا الى الله واليوم الاخر وما صرف الا عن الدنيا
والحظوظ العاجلة فبقدر ما اعرضت عن الدنيا واقبلت على
الاخرة فقد سلكت سبيله الذي سلك وبقدر ما سلكت
سبيله اتبعته وبقدر ما اتبعته صرت من امته وبقدر ما عدلت
عن الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته والتحقت بالذين
قال الله تعالى فيهم فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي الماوى
فلو خرجت من مكر الغرور وانصفت نفسك يا رجل وكلنا ذلك
الرجل لعلمت انك من حين تصبح الى حين تمسي لا تسعى الا في الحظوظ
العاجلة ولا تتحرك ولا تسكن الا لعاجل الدنيا ثم تطمع في ان

تكون غدا من امته ومن اتباعه ما ابعد ظنك وما ابرد طمعك
افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون ولنرجع الى ما كنا
فيه وبصدده فقد استدعانا الكلام الى غير مقصده ولنذكر
الان من المنامات الكاشفة لاحوال الموتى ما يعظم الانتفاع به
اذ ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وليس ذلك الا المنامات

بيان منامات تكشف عن احوال الموتى والاعمال النافعة في الآخرة

فمن ذلك رؤيا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقد قال من راني فقد راني فان الشيطان لا يتمثل بي
وقال عمر بن الخطاب رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام
فقلت يا رسول الله ما شاني فالتفت الي وقال الست المقبل
وانت صائم فقال والذي نفسي بيده لا اقبل امراة وانا صائم
ابدا . وقال العباس كنت ودا لعمر فاشتهيت ان اراه في المنام
فما رايته الا عند راس الحول يمسح العرق عن جبينه وهو يقول
هذا اوان فراغي ان كاد عرشي ليهد لولا اني لقيته رؤوفا رحيما .
وقال الحسن بن علي قال لي علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سنح لي الليلة في منامي فقلت يا رسول الله ما لقيت من امتك قال
ادع عليهم فقلت اللهم ابدلني بهم من هو خير لي منهم وابدلهم بي

من هو شر لهم مني فخرج فضربه ابن ملجم، وقال بعض الشيوخ
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله استغفر
لي فاعرض عني فقلت يا رسول الله ان سفين بن عيينه روى عن محمد
ابن المنكدر عن جابر بن عبد الله انك لم تسال شيا قط فقلت لا فاقبل
علي وقال غفر الله لك، وروي عن العباس بن عبد المطلب قال
كنت مواخيا لابي لهب ومصاحبا له فلما مات واخبر الله عنه
بما اخبر حزنت عليه واهمني امره فسالت الله تعالى حولا ان
يريني اياه في المنام قال فرايته يلتهب نارا فسالته عن حاله
فقال صرت الى النار في العذاب لا يخفف عني ولا يروح الا كل
ليلة الاثنين في كل الليالي والايام قلت وكيف ذلك قال ولد
في تلك الليلة محمد صلى الله عليه وسلم فجاتني اميمه فبشرتني بولادة
آمنة اياه ففرحت به واعتقت وليدة لي فرحا به فاثابني الله بذلك
ان رفع عني العذاب في كل ليلة الاثنين، وقال عبد الواحد بن
زيد خرجت حاجا فصحبني رجل كان لا يقوم ولا يقعد ولا يتحرك
ولا يسكن الا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فسالته عن ذلك
فقال اخبرك عن ذلك خرجت اول مرة الى مكه ومعي ابي فلما
انصرفنا نمت في بعض المنازل فبينا انا نايم اذ اتاني آت فقال

لي قم فقد امات الله اباك وسود وجهه قال فقمت مذعورا فكشفت
الثوب عن وجهه فاذا هو ميتا اسود الوجه فدخلني من ذلك
رعب فبينا انا في ذلك الغم اذ غلبتني عيني فنمت فاذا على راس
ابي اربعة سودان معهم اعمدة حديد اذ اقبل رجل حسن الوجه
بين ثوبين اخضرين فقال لهم تنحوا فمسح وجهه بيده ثم اتاني
فقال لي قم فقد بيض الله تعالى وجه ابيك فقلت له من انت
بابي انت وامي فقال انا محمد قال فقمت فكشفت الثوب عن وجهه
فاذا هو ابيض فما تركت الصلاة بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه
وسلم، وعن عمر بن عبد العزيز قال رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وابا بكر وعمر جالسين عنده فسلمت وجلست فبينا انا
جالس اذ اتي بعلي ومعويه فادخلا بيتا واجيف عليهما الباب
وانا انظر فما كان باسرع من ان خرج علي وهو يقول قضي لي
ورب الكعبه وما كان باسرع ان خرج معاويه على اثره وهو
يقول غفر لي ورب الكعبه، واستيقظ ابن عباس من نومه مرة
فاسترجع وقال قتل الحسين والله وكان ذلك قبل قتله فانكره
اصحابه فقال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زجاجة
من دم فقال الا تعلم ما صنعت امتي بعدي قتلوا ابني الحسين وهذا

دمه ودما اصحابه ارفعها الى الله عز وجل فجاء الخبر بعد اربع
وعشرين يوما بقتله فى اليوم الذي رآه، وروي الصديق
رضي الله عنه فقيل له انك كنت تقول ابدا فى لسانك هذا
اوردني الموارد فما فعل الله تعالى بك فقال قلت لا اله الا الله
فاوردني الجنة ٥

بيان منامات المشايخ رحمهم الله تعالى

قال بعض المشايخ رايت متمما الدورقي في المنام فقلت متمم
يا سيدي ما فعل الله بك فقال ديرني في الجنان فقيل يا متمم
هل استحسنت منها شيئا فقلت لا يا سيدي فقال لو استحسنت
منها شيئا لوكلتك اليه ولم اوصلك الي، وروي يوسف بن
الحسين في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي قيل
بماذا قال ما خلطت جدا بهزل، وعن منصور بن اسمعيل قال
رايت عبد الله البزاز في النوم فقلت ما فعل الله بك فقال
اوقفني بين يديه فغفر لي كل ذنب اقررت به الا ذنبا واحدا
فاني استحييت ان اقر به فوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي
فقلت ما كان ذلك قال نظرت الى غلام جميل فاستحسنته
فاستحييت من الله ان اذكره، وقال ابو جعفر الصيدلاني رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وحوله جماعة من الفقراء

اذ انشقت السماء ونزل ملكان احدهما بيده طشت وبيد الآخر
ابريق فوضع الطشت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فغسل يده ثم امر حتى تغسلوا ثم وضع الطشت بين يدي فقال
احدهما للآخر لا تصب على يده فانه ليس منهم فقلت يا رسول الله
اليس قد روي عنك انك قلت المرء مع من احب قال بلى قلت يا
رسول الله فاني احبك واحب هؤلاء الفقراء فقال عليه السلام صب
على يديه فانه منهم، وقال الجنيد رايت في النوم كاني اتكلم على الناس
فوقف علي ملك فقال اقرب ما يتقرب به المتقربون الى الله عز
وجل ماذا فقلت عمل خفي بميزان وفي فولى الملك وهو يقول
كلام موفق بالله عز وجل، روي مجمع في النوم فقيل له كيف رايت الامر
فقال رايت الزاهدين في الدنيا ذهبوا بخير الدنيا والآخرة، وقال
رجل من اهل الشام للعلاء بن زياد رايتك في النوم كانك في الجنة
فنزل عن مجلسه واقبل عليه ثم قال لعل الشيطان اراد امرا
فعصمت منه فاشخص رجلا ليفتنني، قال محمد بن واسع الرؤيا تسر
المؤمن ولا تضر، وقال صالح بن بشير رايت عطاء السلمي في النوم
فقلت له رحمك الله لقد كنت طويل الحزن في الدنيا فقال اما
والله لقد اعقبني ذلك راحة طويلة وفرحا دائما فقلت في اي

الدرجات انت فقال مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين، وسيل زرارة بن اوفي في المنام اي الاعمال
افضل عندكم فقال الرضى وقصر الامل، وقال يزيد بن مذعور رايت
الاوزاعي في المنام فقلت يا اباعمرو دلني على عمل اتقرب به الي
الله عز وجل فقال ما رايت هناك درجة ارفع من درجة العلماء
ثم درجة المحزونين وكان يزيد شيخا كبيرا فلم يزل يبكي حتى اظلمت
عيناه، وقال ابن عيينة رايت اخي في المنام فقلت يا اخي ما فعل
الله بك فقال كل ذنب استغفرت منه غفر لي وما لم استغفر منه
لم يغفر لي، وقال علي الطلحي رايت في المنام امراة لا تشبه نساء
الدنيا فقلت من انت فقالت حوراء قلت زوجيني نفسك قالت
اخطبني الي سيدي وامهرني قلت وما مهرك قالت حبس نفسك
عن آفاتها، وقال ابرهيم بن اسحق الحربي رايت زبيدة في المنام فقلت
ما فعل الله بك قال غفر لي فقلت لها بما انفقت في طريق مكة
قالت اما النفقات التي انفقتها رجعت اجورها الى اربابها
وغفر لي بنيتي، ولما مات سفين الثوري رئي في المنام فقيل
ما فعل الله بك فقال وضعت اول قدمي على الصراط والثاني
في الجنة، وقال احمد بن ابي الحواري رايت فيما يرى النايم جارية

ما رايت احسن منها وكان يتلالا وجهها فقلت بماذا ضوء وجهك
فقالت تذكر تلك الليلة بكيت فيها قلت نعم قالت اخذت دمعتك
مسحت بها وجهي فمن ثم ضوء وجهي كما ترى، وقال الداني رايت
الجنيد في المنام فقلت ما فعل الله بك قال طاحت الاشارات
وذهبت العبارات وما حصلنا الا على ركعتين كنا نصليهما في
الليل، ورئيت زبيدة في المنام فقيل لها ما فعل الله بك قالت
غفر لي بهذه الكلمات الاربع لا اله الا الله افني بها عمري لا
اله الا الله ادخل بها قبري لا اله الا الله اخلو بها وحدي
لا اله الا الله القى بها ربي، ورئي ابو سليمان في المنام فقيل
له ما فعل الله بك قال رحمني ربي وما كان شي اضر علي من
اشارات القوم الي، ورئي بشر رحمه الله في المنام فقيل له ما فعل
الله بك قال رحمني ربي عز وجل وقال يا بشر اما استحييت مني
كنت تخافني كل ذلك الخوف، وقال ابو بكر الكتاني رايت في المنام
شابا لم ار احسن منه فقلت من انت قال التقوى قلت فاين
تسكن قال كل قلب حزين ثم التفت فاذا امراة سوداء كاوحش
ما يكون فقلت من انت قالت انا السقم قلت فاين تسكنين قالت
كل قلب فرح مرح قال فانتبهت وعقدت الا اضحك الا غلبة،

وقال ابو سعيد الخراز رايت في المنام كان ابليس لعنه الله وثب
علي فاخذت العصا لاضربه فلم يفزع منها فهتف بي هاتف ان هذا
لا يخاف من هذه وانما يخاف من نور يكون في القلب وقال التنوخي
رايت ابليس في النوم عريانا يمشي فقلت الا تستحيي من الناس فقال
تالله ما هولاء باناس لو كانوا من الناس ما كنت العب بهم طرفي
النهار كما يلاعب الصبيان بالكرة بل الناس قوم غير هولاء قد اسقموا
جسمي واشار بيده الى اصحابنا الصوفيه وقال ابو سعيد الخراز كنت
في دمشق فرايت في المنام كان النبي عليه السلام جاني متكيا على ابي بكر
وعمر فجا ووقف علي وانا اقول شيا من الاصوات وادق في
صدري فقال شر هذا اكثر من خيره وعن ابن عيينه قال رايت
سفيان الثوري في المنام كانه في الجنه يطير من شجره الى شجره ويقول
لمثل هذا فليعمل العاملون فقلت له اوصني قال اقل من معرفه
الناس وروي ابو حاتم الرازي عن قبيصه بن عقبه قال رايت سفين
الثوري في المنام فقلت ما فعل الله بك قال

نظرت الى ربي كفاحا فقال لي هنيا رضاي عنك يا ابن سعيد
فقد كنت قواما اذا اقبل الدجي بعبره مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر اي قصر تريده وزرني فاني منك غير بعيد

وروي الشبلي بعد موته بثلاثة ايام فقيل له ما فعل الله بك قال
ناقشني حتى ايست فلما راي ياسي تغمدني برحمته وروي مجنون بني
عامر بعد موته في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي
وجعلني حجه على المحبين وروي الثوري في المنام فقيل له ما فعل الله
بك فقال رحمني فقيل ما حال عبد الله بن المبارك فقال هو ممن
يلج على ربه في كل يوم مرتين وراي بعضهم فسيل عن حاله فقال

حاسبونا فدققوا ثم منوا فاعتقوا

وروي مالك بن انس فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي بكلمة
كان يقولها عثمان بن عفان عند روية الجنازة سبحان الحي الذي لا
يموت وروي في الليله التي مات فيها الحسن البصري كان ابواب
السما مفتحه وكان مناديا ينادي الا ان الحسن قدم على الله وهو
عنه راض وروي الجاحظ فقيل له ما فعل الله بك فقال

ولا تكتب بخطك غير شي يسرك في القيمه ان تراه

وراي الجنيد ابليس في المنام عريانا فقال الا تستحيي من الناس فقال
وهولاء ناس الناس اقوام في مسجد الشونيزيه قد اضنوا جسدي
واحرقوا كبدي قال الجنيد فلما انتبهت غدوت الى المسجد فرايت
جماعه قد وضعوا رووسهم على ركبهم يتفكرون فلما راوني قالوا لا يغرك

حديث الخبيث ، وروي النصراباذي بمكة بعد موته في النوم فقيل له
ما فعل الله بك قال عوتبت عتاب الاشراف ثم نوديت يا ابا القسم
ابعد الاتصال انفصال فقلت لا يا ذا الجلال فما وضعت في اللحد
حتى لحقت بالاحد الصمد جل جلاله ، ورأى عتبة الغلام حوراً في المنام
على صورة حسنة فقالت يا عتبة انا لك عاشقة فانظر لا تعمل من
الاعمال شيئا يحال بيني وبينك فقال عتبة طلقت الدنيا ثلاثا
لا رجعة لي عليها حتى القاك ، وقيل رأى ابو ايوب السختياني جنازة
عاصي فدخل الدهليز لئلا يصلي عليها فرأى بعضهم الميت في المنام
فقيل له ما فعل الله تعالى بك فقال غفر لي وقال قل لابي ايوب
قل لو انتم تملكون خزاين رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق ،
وقال بعضهم رأيت في الليلة التي مات فيها داود الطاي رحمه الله نوراً
وملايكة نزولا وملايكة صعوداً فقلت اي ليلة هذه فقال ليلة مات
فيها داود الطاي وقد زخرفت الجنة لقدوم روحه ، وقال ابو سعيد
الشحام رأيت سهلا الصعلوكي فقلت ايها الشيخ قال دع التشييخ
قلت تلك الاحوال التي شاهدتها فقال لم تغن عنا فقلت ما فعل الله بك
قال غفر لي بمسايل من العلم كان يسال عنها العجز ، وقال ابو بكر الرشيد
رأيت محمد الطوسي في المنام فقال لي قل لابن سعيد الصفار المؤذن

، وكنا على ان لا نحول عن الهوى فقد وحياة الحب حلتم وما حلنا ،
فانتبهت فذكرت ذلك له فقلت كنت ازور قبره كل جمعة فلم
ازره هذه الجمعة ، وقال ابن راشد رأيت ابن المبارك في النوم بعد
موته فقلت اليس قد مت قال بلى فقلت فما صنع الله بك قال
غفر لي مغفرة احاطت بكل ذنب فقلت فسفين الثوري قال بخ
بخ ذلك من الذين انعم الله عليهم بخ بخ ذلك من الذين انعم الله عليهم
من النبيين والصديقين الاية ، وقال الربيع بن سليمان رأيت الشافعي
بعد وفاته في المنام فقلت يا ابا عبد الله ما صنع الله تعالى بك قال
اجلسني على كرسي من ذهب ونثر علي اللولو الرطب ، ورأى رجل
من اصحاب الحسن البصري ليلة مات الحسن كان مناديا ينادي
ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابرهيم وال عمران على العالمين واصطفى
الحسن بن ابي الحسن على اهل زمانه ، وقال ابو يعقوب القاري
الدقيقي رأيت في منامي رجلا ادم طوالا والناس يتبعونه فقلت
من هذا قالوا اويس القرني فقلت اوصني رحمك الله فكلح
في وجهي فقلت مسترشد فارشدني ارشدك الله فاقبل علي
وقال ابتغ رحمة ربك عند محبته واحذر نقمته عند معصيته ولا
تقطع رجاك منه في خلال ذلك ثم ولى وتركني ، وقال ابو بكر بن

منام رايت ورقا بن بشر الحضرمي فقلت ما نعات يا ورقا فقال
نجوت بعد كل جهد قلت فاي الاعمال وجدتموها افضل قال البكا
من خشية الله وقال زيد بن نعامه هلكت جاريه في طاعون
الجارف فلقيها ابوها في المنام فقال لها يا بنيه اخبريني عن الاخره
فقالت يا ابت قدمنا على امر عظيم نعلم ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون
والله لتسبيحه او لتسبيحتان او ركعه او ركعتان في نسخة عمل خير
من الدنيا وما فيها وقال بعض اصحاب عتبه الغلام رايت عتبه في
المنام فقلت ما صنع الله بك قال دخلت الجنه بتلك الدعوه المكتوبه
في بيتك فلما اصبحت جيت الى بيتي فاذا خط عتبه في حايط البيت
مكتوب يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ويا مقيل عثرات
العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم اجمعين
واجعلنا مع الاحياء المرزوقين الذين انعمت عليهم من النبيين
والصديقين والشهدا والصالحين امين رب العالمين وقال
موسى بن حماد رايت سفين الثوري في الجنه يطير فيها من نخله الى نخله
ومن شجره الى شجره فقلت يا ابا عبد الله بم نلت هذا قال بالورع بالورع
قلت فما بال ابن عاصم قال ذاك لا يكاد يرى الا كما يرى الكوكب ورای
رجل من التابعين النبي عليه السلام في المنام فقال يا رسول الله عظني

قال نعم من لم يتفقد النقصان فهو في نقصان ومن كان في نقصان
كان الموت خيرا له وقال الشافعي رحمه الله في هذه الايام امر
امضني والمني ولم يطلع عليه الا الله فلما كان البارحه اتاني آت
في المنام فقال يا محمد بن ادريس قل اللهم اني لا املك لنفسي ضرا
ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا استطيع ان اخذ الا
ما اعطيتني ولا اتقي الا ما وقيتني اللهم فوفقني لما تحب وترضى
من القول والعمل في عافيه فلما اصبحت اعدت ذلك فلما ترحل
النهار اعطاني الله طلبتي وسهل لي الخلاص مما كنت فيه فعليكم
بهذه الدعوات لا تغفلوا عنها فهذه جملة من المكاشفات تدل
على احوال الموتى وعلى الاعمال المقربه الى الله زلفى فلنذكر
بعد هذا ما بين يدي الموتى من ابتداء نفخة الصور الى آخر القرار
اما في الجنه او في النار

الشطر الثاني من كتاب
ذكر الموت في احوال الميت من وقت نفخة الصور
الى آخر الاستقرار في الجنه او في النار

وتفصيل ما بين يديه من الاهوال والاخطار وفيه بيان
نفخة الصور وصفه ارض المحشر واهله وصفه عرق اهل
المحشر وصفه طول يوم القيمه وصفه يوم القيمه ودواهيها

واسامیها، وصفة المسائلة عن الذنوب، وصفة الميزان
وصفة الخصما ورد المظالم، وصفة الصراط، وصفة الشفاعة
وصفة الحوض، وصفة جهنم واهوالها وانكالها وحياتها
وعقاربها، وصفة الجنة واصناف نعيمها، وعدد الجنان
وابوابها وغرفها وحيطانها وانهارها واشجارها ولباس اهلها
وفرشهم وسررهم، وصفة طعامهم، وصفة الحور العين
والولدان، وصفة النظر الى وجه الله تعالى، وباب
في سعة رحمة الله تعالى به نختم الكتاب ان شا الله تعالى

صفة نفخ الصور قد عرفت فيما سبق شدة احوال
الميت في سكرات الموت وخطره وفي خوف العاقبة ثم
مقاساته لظلمة القبر وديدانه ثم لمنكر ونكير وسؤالهما
ثم لعذاب القبر وخطره ان كان مغضوبا عليه واعظم من
ذلك كله الاخطار التي بين يديه من نفخ الصور والبعث
يوم النشور والعرض على الجبار والسؤال عن القليل والكثير
ونصب الميزان لمعرفة المقادير ثم مجاوزة الصراط مع دقته
وحدته ثم انتظار النداء عند فصل القضا اما بالاسعاد
واما بالاشقاء، فهذه احوال واهوال لا بد لك منها ومن

معرفتها ثم الايمان بها على سبيل الجزم والتصديق مع تطويل
الفكر فيها لينبعث من قلبك دواعي الاستعداد لها واكثر
الناس ما يدخل الايمان باليوم الاخر في قلوبهم ولم يتمكن
من سويدا افئدتهم ويدل على ذلك شدة تشمرهم واستعدادهم
لحر الصيف وبرد الشتا وتهاونهم بحر جهنم وزمهريرها مع ما
يكتنفه من المصاعب والاهوال نعم اذا سيلوا عن اليوم الاخر
نطقت به السنتهم ثم غفلت عنه قلوبهم ومن اخبر بان ما بين
يديه من الطعام مسموم فقال لصاحبه الذي اخبره صدقت
ثم مد يده ليتناوله كان مصدقا بلسانه ومكذبا بعمله وتكذيب
العمل ابلغ من تكذيب اللسان وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى يشتمني ابن ادم وما ينبغي له ان يشتمني ويكذبني
ولا ينبغي له ان يكذبني اما شتمه اياي فيقول ان لي ولدا واما
تكذيبه اياي فيقول لن يعيدني كما بداني وانما فتور البواطن
عن قوة اليقين والتصديق بالبعث والنشور لقلة الفهم في
هذا العالم لامثال تلك الامور ولو لم يشاهد الانسان توالد
الحيوانات وقيل له ان صانعا يصنع من النطفة القذرة مثل
هذا الادمي المصور العاقل المتكلم المتصرف لاشتد نفور باطنه

عن التصديق به ولذلك قال الله عز وجل اولم ير الانسان انا
خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وقال تعالى ايحسب
الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من مني يمنى ففي خلق
الادمي مع كثرة عجايبه واختلاف تركيب اعضايه اعاجيب
تزيد على الاعاجيب في بعثه واعادته فكيف ينكر ذلك من
قدرة الله وحكمته من يشاهد ذلك في صنعه وقدرته فان
كان في ايمانك ضعف فقو الايمان بالنظر في النشاة الاولى
فان الثانية مثلها واسهل منها وان كنت قوي الايمان فاشعر قلبك
تلك المخاوف والاخطار واكثر فيها التفكر والاعتبار ليسلب
عن قلبك الراحة والقرار وتشتغل بالتشمر للعرض على الملك
الجبار وتفكر اولا فيما يقرع سمع سكان القبور من شدة نفخة
الصور فانها صيحة واحدة تنفرج بها القبور عن رؤس الموتى
فيثورون دفعة واحدة فتوهم نفسك وقد وثبت متغيرا
وجهك متغيرا بدنك من فرقك الى قدمك من تراب قبرك
مبهوتا من شدة الصعقة شاخص العينين نحو النداء وقد
ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التي طال فيها بلاهم وقد
ازعجهم الفزع والرعب مضافا الى ما كان عليهم من الغموم

والهموم وشدة الانتظار لعاقبة الامر قال الله تعالى ونفخ في
الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم
نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وقال فاذا نقر في الناقور
فذلك يوميذ يوم عسير وقال الله تعالى ويقولون متى هذا
الوعد ان كنتم صادقين ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم
وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون
ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون قالوا
يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون
فلو لم يكن بين يدي الموتى الا هول تلك النفخة لكان ذلك
جديرا بان يتقى فانها نفخة وصيحة يصعق بها من في السموات
والارض يعني يموتون الا من شاء الله وهو بعض الملايكة ولذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انعم وصاحب الصور
قد التقم القرن وحنى الجبهة واصغى بالاذن حتى يومر فينفخ
قال مقاتل الصور هو القرن وذلك ان اسرافيل عليه السلام
واضع فاه على القرن كهيئة البوق ودايرة راس القرن كعرض
السموات والارض وهو شاخص ببصره نحو العرش ينتظر
متى يومر فينفخ النفخة الاولى فاذا امر صعق من في السموات

والارض اي مات كل حيوان من شدة الفزع الا من شاء الله
وهو جبريل وميكايل واسرافيل وملك الموت ثم يامر ملك
الموت ان يقبض روح جبريل وروح ميكايل ثم روح اسرافيل
ثم يامر ملك الموت فيموت ثم يلبث الخلق بعد النفخة الاولى
في البرزخ اربعين سنة ثم يحيي الله تعالى اسرافيل فيامره ان
ينفخ الثانيه فذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم
قيام ينظرون قيام على ارجلهم ينظرون الى البعث وقال
عليه السلام حين بعث الى بعث الى صاحب الصور فاهوى
به الى فيه وقدم رجلا واخر اخرى ينتظر متى يؤمر بالنفخ
الا فاتقوا النفخة فتفكر في الخلايق وذلهم واستكانتهم
عند الانبعاث خوفا من هذه الصعقة وانتظارا لما يقضي
عليهم من سعادة او شقاوة وانت فيما بينهم منكسر كانكسارهم
متحير كتحيرهم بل ان كنت في الدنيا من المترفين والاغنياء
المتنعمين فملوك الارض من ذلك اليوم اذل اهل الجمع
واحقرهم يوطاون بالاقدام مثل الذر وعند ذلك تقبل
الوحوش من البراري والجبال منكسة روسها مختلطة بالخلايق
بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنست بها

ولكن

ولكن حشرهم شدة الصعقة وهول النفخة وشغلهم عن
ذلك الهرب من الخلق والتوحش منهم وذلك قوله
تعالى واذا الوحوش حشرت ثم اقبلت الشياطين المردة
بعد تمردها فاذعنت خاشعة من هيبة العرض على الله تعالى
لقوله تعالى فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول
جهنم جثيا فتفكر في حالك وحال قلبك هنالك

صفة ارض المحشر واهله

ثم انظر كيف يساقون
بعد البعث والنشور وهم حفاة عراة الى ارض المحشر ارض
بيضا قاع صفصف لا ترى فيها عوجا ولا امتا ولا ترى فيها
ربوة يختفي الانسان وراها ولا وهدة تنخفض عن الاعين فيها
بل هو صعيد واحد لا تفاوت فيه يساقون اليه زمرا فسبحان
من جمع الخلايق على اختلاف اصنافهم من اقطار الارض اذ
ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة هي النفخة
الاولى والرادفة هي الثانيه وحقيق لتلك القلوب ان
تكون يومئذ واجفة ولتلك الابصار ان تكون خاشعة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تحشر الناس يوم القيمة على
ارض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها معلم لاحد قال

الداوي والعفره بياض ليس بالناصع والنقي هو النقي عن
القشر والنخاله ولا معلم اي لا بناء يستتر ولا تفاوت يرد البصر
ولا نظن ان تلك الارض مثل ارض الدنيا بل لا تساويها الا في
الاسم قال الله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
قال ابن عباس يزاد فيها وينقص وتذهب اشجارها وجبالها
واوديتها وما فيها وتمد مد الاديم العكاظي ارض بيضاء مثل
الفضه لم يسفك فيها دم ولم يعمل فيها خطيئه والسموات تذهب
شمسها وقمرها ونجومها فانظر يا مسكين في هول القيمه وشدتها
فانه اذا اجتمع الخلايق على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم
نجوم السماء وطمس القمر والشمس واظلمت الارض لخمود سراجها
فبينا انت كذلك اذ دارت السماء من فوق رؤسهم وانشقت
من غلظها وشدتها خمسمايه عام والملايكه قيام على حافاتها
وارجايها فيا هول ذلك اليوم ويا هول صوت انشقاقها
في سمعك ويا هيبه ليوم تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدتها
ثم تنهار وتسيل كالفضه المذابه يخالطها صفره فصارت وردة
كالدهان وصارت السماء كالمهل وصارت الجبال كالعهن
واشتبك الناس كالفراش المبثوث وهم حفاة عراه مشاه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحشر الناس حفاة عراة
غرلا قد الجمهم العرق وبلغ شحوم الاذان قالت سوده زوج
النبي صلى الله عليه وسلم راويه الحديث قلت يا رسول الله وا
سوتاه ينظر بعضنا الى بعض فقال شغل الناس عن ذلك
لكل امري منهم يوميذ شان يغنيه فاعظم بيوم تنكشف فيه
العورات ويومن فيه مع ذلك من النظر والالتفات كيف
وبعضهم يمشي على وجوههم وبطونهم فلا قدرة لهم على الالتفات
الى غيرهم قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر
الناس يوم القيمه ثلاثه اصناف ركبانا ومشاه على ارجلهم
ومشاه على وجوههم فقال رجل وكيف يمشون على وجوههم
قال الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم
وفي طبع الادمي انكار كل ما لم يانس به ولو لم يشاهد الانسان
الحيه وهي تمشي على بطنها كالبرق الخاطف لا يمكنه تصور المشي
على غير رجل والمشي بالرجل ايضا مستبعد عند من لم يشاهد
ذلك فاياك ان تنكر شيا من عجايب يوم القيمه لمخالفته قياس
ما في الدنيا فانك لو لم تكن شاهدت عجايب الدنيا ثم عرضت
عليك قبل المشاهده لكنت اشد انكارا لها واحضر في قلبك

صورتك وانت واقف عاريا مكشوفا ذليلا مدحورا متحيرا
مبهوتا منتظرا لما يجري عليك من القضا بالسعاده او الشقاوه
واعظم بهذه الحاله فانها عظيمه

صفة العرق

ثم تفكر في ازدحام الخلايق واجتماعهم حتى ازدحم على الموقف
اهل السموات والارضين السبع من ملك وجن وانس وشيطان
ووحش وسبع وطير فاشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها
وتبدلت عما كانت عليه من خفة امرها ثم ادنيت من رووس
العالمين كقاب قوسين فلم يبق على الارض ظل الا ظل عرش
رب العالمين ولم يمكن من الاستظلال به الا المقربون فمن
بين مستظل بالعرش وبين مضح بحر الشمس قد صهرته بحرها واشتد
كربه وغمه من وهجها ثم تدافعت الخلايق يدفع بعضها بعضا لشدة
الزحام واختلاف الاقدام وانضاف اليه شدة الخجل والحيا
من الافتضاح والاختزاء عند العرض على جبار السما فاجتمع
وهج الشمس وحر الانفاس واحتراق القلوب بنار الحيا والخوف
ففاض العرق من اصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيمه
ثم ارتفع الى ابدانهم على قدر منازلهم عند الله تعالى فبعضهم بلغ
العرق ركبتيه وبعضهم حقويه وبعضهم الى شحمة اذنيه وبعضهم

كاد يغيب فيه قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب احدهم في رشحه الى انصاف
اذنيه وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعرق الناس يوم القيمه حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين باعا
ويلجمهم ويبلغ اذانهم كذا رواه البخاري ومسلم في الصحيح وفي
حديث اخر قياما شاخصة ابصارهم اربعين سنة فيلجمهم العرق
من شدة الكرب وقال عقبة بن عامر قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم تدنو الشمس من الارض يوم القيمه فيعرق الناس فمنهم
من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ
ركبتيه ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من
يبلغ فاه فاشار بيده فالجمها فاه ومنهم من يغطيه عرقه وضرب
بيده على راسه هكذا فتامل يا مسكين في عرق اهل المحشر وشدة
كربهم وان فيهم من ينادي رب ارحني من هذا الكرب والانتظار
ولو الى النار وكل ذلك ولم يلقوا بعد حسابا ولا عقابا فانك
واحد منهم ولا تدري الى اين يبلغ بك العرق واعلم ان كل عرق
لم يخرجه التعب في سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام
وتردد في قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة في امر بمعروف ونهي عن

مُنكرٍ فيستخرج الحيا والخوف في صعيد القيمه ويطول فيه
الكرب ولو سلم ابن ادم من الجهل والغرور لعلم ان تعب العرق
في تحمل متاعب الطاعه اهون امرًا واقصر زمانًا من عرق الكرب
والانتظار في القيمه فانه يوم عظيم شديد طويل شدته ٥

صفه طول يوم القيمه ثم تقف فيه الخلايق شاخصه
ابصارهم منفطره قلوبهم لا يكلمون ولا ينظر في امورهم يقفون
ثلثمايه عام لا ياكلون فيه اكله ولا يشربون فيه شربه ولا يجدون
فيه من روح نسيم قال كعب وقتاده يوم يقوم الناس لرب
العالمين قال يقومون مقدار ثلثمايه عام بل قال عبد الله بن
عامر تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الايه ثم قال كيف بكم
اذا جمعكم الله تعالى كما يجمع النبل في الكنانه خمسين الف سنه لا
ينظر اليكم، وقال الحسن ما ظنكم بيوم قاموا فيه على اقدامهم
مقدار خمسين الف سنه لم ياكلوا فيها اكله ولم يشربوا فيها شربه
حتى اذا انقطعت اعناقهم عطشًا واحترقت اجوافهم جوعًا انصرف
بهم الى النار فسقوا من عين آنيه قد آن حرها واشتد لفحها
فلما بلغ المجهود منهم ما لا طاقه لهم به كلم بعضهم بعضًا في طلب
من يكرم على مولاه ليشفع في حقهم فلم يتعلقوا بنبي الا دفعهم

وقال دعوني نفسي نفسي شغلني امري عن امر غيري واعتذر كل
واحد بشده غضب الله تعالى وقال قد غضب ربنا اليوم غضبًا
لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله حتى يشفع نبينا صلى الله
عليه وسلم لمن يوذن له فيه لا يملكون الشفاعه الا من اذن
له الرحمن ورضي له قولًا فتامل في طول هذا اليوم وشده الانتظار
فيه حتى يخف عليك انتظار الصبر عن المعاصي في عمرك المختصر
واعلم ان من طال انتظاره في الدنيا للموت لشده مقاساته للصبر
عن الشهوات فانه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سيل عن طول ذلك اليوم
فقال والذي نفسي بيده انه ليخفف على المومن حتى يكون اهون
عليه من الصلاة المكتوبه يصليها في الدنيا فاجتهد ان تكون من
اوليك المومنين فما دام يبقى لك نفس من عمرك فالامر اليك
والاستعداد بيديك واعمل في ايام قصار لايام طوال تربح
ربحًا لا منتهى لسروره واستحقر عمرك بل عمر الدنيا وهو سبعه
الاف سنه فانك لو صبرت سبعه الاف سنه مثلًا لتخلص
من يوم مقداره خمسون الف سنه لكان ربحك كثيرًا وتعبك
يسيرًا ٥ **صفه يوم القيامه ودواهيه واساميه**

فاستعد يا مسكين لهذا اليوم العظيم شانه المويد برهانه
القاهر سلطانه القريب اوانه يوم ترى السما فيه قد انفطرت
والكواكب من هوله قد انتثرت والنجوم الزواهر قد انكدرت
والشمس قد كورت والجبال قد سيرت والعشار قد عطلت
والوحوش قد حشرت والبحار قد سجرت والنفوس الى الابدان
قد زوجت والجحيم قد سعرت والجنة قد ازلفت والجبال قد
نسفت والارض قد مدت يوم ترى الارض قد زلزلت فيه
زلزالها واخرجت الارض اثقالها يومئذ يصدر الناس اشتاتا
ليروا اعمالهم يوم تحمل الارض والجبال فدكتا دكة واحدة
فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية
والملك على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ
تعرضون لا تخفى منكم خافية يوم تسير الجبال وترى الارض بارزة
وترى الارض هامدة يوم ترج الارض فيه رجا وتبس الجبال
بسا فكانت هباء منبثا يوم يكون الناس كالفراش المبثوث
وتكون الجبال كالعهن المنفوش يوم تذهل كل مرضعة عما ارضعت
وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى
ولكن عذاب الله شديد يوم تبدل الارض غير الارض والسموات

وبرزوا لله الواحد القهار يوم ينسف فيه الجبال نسفا فتترك
قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يوم ترى الجبال تحسبها
جامدة وهي تمر مر السحاب يوم تشقق الارض يوم تنشق
السماء وكانت وردة كالدهان فيومئذ لا يسال عن ذنبه
انس ولا جان يوم يمنع الفصحاء فيه من الكلام ولا يسال فيه
عن الاجرام بل يوخذ بالنواصي والاقدام يوم تجد كل نفس ما
عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا
بعيدا يوم تعلم كل نفس ما احضرت وتشهد ما قدمت واخرت
يوم تخرس فيه الالسن وتنطق الجوارح يوم شيب ذكره سيد
المرسلين فقال شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون
واذا الشمس كورت واخواتها فيا ايها القارى العاجز انما حظك
من قراءتك ان تمج القران وتحرك به اللسان ولو كنت متفكرا
فيما تقروه لكنت جديرا بان تنشق مرارتك فيما شاب فيه شعر
سيد المرسلين واذا قنعت بحركة اللسان فقد حرمت ثمرة القران
فالقيمة اشد ما ذكر فيه وقد وصف الله عز وجل بعض دواهيها
واكثر من اساميها على كثرة معانيها وليس المقصود تكرير الاسامي
والالقاب بل الغرض تنبيه اولى الالباب فتحت كل اسم من اسمائها

القيمه شر، وفي كل نعت من نعوتها معنى، فاحرص على معرفة معانيها
ونحن الآن نجمع لك أساميها، فهي يوم القيمه، ويوم الحسره
والندامه، ويوم المحاسبه، ويوم المسايله، ويوم المسابقه،
ويوم المنافسه، ويوم المناقشه، ويوم الزلزله، ويوم الدمدمه،
ويوم الصاعقه، ويوم القارعه، ويوم الواقعه، ويوم الراجفه،
ويوم الرادفه، ويوم الغاشيه، ويوم الداهيه، ويوم الآزفه،
ويوم الحاقه، ويوم الطامه، ويوم الصاخه، ويوم التلاق،
ويوم الفراق، ويوم المساق، ويوم القصاص، ويوم التناد،
ويوم الحساب، ويوم المآب، ويوم العذاب، ويوم القرار،
ويوم الفرار، ويوم اللقا، ويوم البقا، ويوم القضا، ويوم الجزا،
ويوم البلا، ويوم البكا، ويوم الحشر، ويوم النشر، ويوم الوعيد،
ويوم العرض، ويوم الوزن، ويوم الحق، ويوم الحكم، ويوم الفصل
ويوم الجمع، ويوم البعث، ويوم الفتح، ويوم الخزي، ويوم عظيم،
ويوم عقيم، ويوم عسير، ويوم الدين، ويوم اليقين، ويوم النشور،
ويوم المصير، ويوم النفخه، ويوم الصيحه، ويوم الرجفه، ويوم الزجره،
ويوم السكره، ويوم الفزع، ويوم الجزع، ويوم المنتهى،
ويوم المأوى، ويوم الميقات، ويوم الميعاد، ويوم المرصاد،

ويوم القلق، ويوم العرق، ويوم الافتقار، ويوم الانكدار،
ويوم الانتشار، ويوم الانشقاق، ويوم الوقوف، ويوم الخروج،
ويوم الخلود، ويوم الوعيد، ويوم التغابن، ويوم عبوس، ويوم
معلوم، ويوم موعود، ويوم مشهود، ويوم لا ريب فيه، ويوم تبلى
السرائر، ويوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا، ويوم تشخص فيه الابصار،
يوم لا تملك نفس لنفس شيئا، يوم يدعون الى نار جهنم دعا،
يوم يسحبون في النار على وجوههم، يوم تقلب وجوههم في النار،
يوم لا يجزي والد عن ولده، يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه
وصاحبته وبنيه، يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون،
يوم لا مرد له من الله، يوم هم بارزون، يوم هم على النار يفتنون،
يوم لا ينفع مال ولا بنون، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم
اللعنه ولهم سوء الدار، يوم ترد فيه المعاذير وتبلى السرائر وتظهر
الضماير وتكشف الاستار، يوم تخشع فيه الابصار والاصوات
ويقل فيه الالتفات وتبرز الخفيات وتظهر الخطيات، يوم
يساق العباد ومعهم الاشهاد، ويشيب الصغير ويسكر الكبير،
ويومئذ وضعت الموازين ونشرت الدواوين وبرزت الجحيم
واغلي الحميم وزفرت النار ويئس الكفار وسعرت النيران،

وَتَغَيَّرَتِ الالوَان وَخرسَ اللسَان وَنطقت جَوارح الانسَان
فيَاايها الانسَان مَا غرك بربك الكريم حين غلقت الابوَاب
وَارخيت السّتور وَاستترت عن الخلايق وقارفت الفجور فَماذا
نفعك وقد شهدت عليك جوارحك فالويل كل الويل لنا معاشر
الغافلين يرسل الله تعالى الينا سيد المرسلين وَينزل عليه
الكتاب المبين وَيخبرنا بهذه الصّفات من نعوت يوم الدين ثم
يعرفنا غفلتنا وَيقول اقترب للناس حسَابهم وَهم في غفلة
معرضون مَا يايتهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وَهم
يلعبون لاهية قلوبهم ثم يعرفنا قرب القيمه وَيقول اقتربت
السَّاعة وَانشق القمر انهم يرونه بعيدًا وَنراه قريبًا وَمَا
يدريك لعل السَّاعة تكون قريبا ثم يكون احسن احوالنا ان نتخذ
دراسة هذا القرآن عملًا فلا نتدبر معانيه وَلا ننظر في كثرة اوصاف
هذا اليوم وَاساميه وَلا نستعد للتخلص من دَوَاهيه فنعوذ
بالله من هذه الغفله ان لم يتداركنا الله بواسع المغفرة والرحمة

صفة المسَايلة

ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الاهوال
فيما يتوجه عليك من السّوال شفاهًا من غير ترجمان فتسال
عن القليل وَالكثير وَالنقير وَالقطمير فبينا انت في كرب القيمة

وَعَرقها وَشدة عظايمها اذ نزلت ملايكه من ارجاء السّما باجسَام
عظام وَاشخاص ضخام غلاظ شدَاد امروا بان ياخذوا بنواصي
المجرمين الى موقف العرض على الجبار قال رَسول الله صَلى الله
عليه وَسلم ان لله تعالى ملكا مَا بين شفري عينيه مسيرة ميه
عام فما ظنك بنفسك اذا شاهدت مثل هوَلاء الملايكه
ارسلوا اليك لياخذوك الى مقام العرض وَتراهم على عظم
اشخاصهم منكسرين لشدة اليوم وَمستشعرين مما بدا من غضب
الجبار على عباده وَعند نزولهم لا يبقى نبي وَلا صديق وَلا صالح
الا ويخرون لاذقانهم خوفًا من ان يكونوا هم الماخوذون فهذا
حَال المقربين فما ظنك بالعصاة المجرمين وعند ذلك يبادر
اقوام من شدة الفزع وَتقول للملايكه افيكم ربنا جل جلاله
وَذلك لعظم موكبهم وَشدة هيبتهم فتفزع الملايكه اجلالًا
لخالقهم عن ان يكون فيهم فنادوا باصوَاتهم منزهين لمليكهم
عما ينعته اهل الارض فقالوا سبحان ربنا ما هو فينا وَلكنه
آت من بعد وَعند ذلك تقوم الملايكه صفًا محدقين بالخلايق
من الجوانب وَعلى جميعهم شعار الذل وَالخضوع وَهيبة الخوف
وَالمهابه لشدة اليوم وَعند ذلك يصدق الله تعالى قوله

فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن
عليهم بعلم وما كنا غايبين فوربك لنسألنهم اجمعين عما
كانوا يعملون فيبدأ بالانبياء عليهم السلام يوم يجمع الله الرسل
فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب
فيا الشدة يوم تذهل فيه عقول الانبياء وتمحي علومهم من
شدة الهيبة اذ يقال لهم ماذا اجبتم وقد ارسلتم الى الخلايق
وكانوا قد علموا فتدهش عقولهم فلا يدرون ماذا يجيبون
فيقولون من شدة الهيبة لا علم لنا انك انت علام الغيوب
وهم في ذلك الوقت صادقون اذ طارت فيه العقول ومحت
العلوم الى ان يقويهم الله فيدعى نوح النبي عليه السلام فيقال
له هل بلغت فيقول نعم فيقال للامة هل بلغكم فيقولون ما اتانا
من نذير ويوتى بعيسى صلى الله عليه وسلم فيقول الله تعالى له
أانت قلت للناس اتخذوني وامي الاهين من دون الله فيبقى
متشحطا تحت هيبة هذا السوال سنين فما اعظم يوم تقام
فيه السياسه على الانبيا بمثل هذا السوال ثم تقبل الملايكة
عليهم السلام فينادون واحدا واحدا يا فلان بن فلان يا فلان
ابن فلانه هلم الى الوقوف للعرض وعند ذلك ترتعد الفرايص

وتضطرب الجوارح وتبهت العقول وتتمنى اقوام ان يذهب بهم
الى النار ولا تعرض قبايح اعمالهم على الجبار جل جلاله ولا يكشف
ستره على ملاء الخلق وقبل الابتداء بالسوال يظهر نور العرش
واشرقت الارض بنورها وايقن قلب كل عبد باقبال الجبار لمسايلة
العباد وظن كل واحد انه ما يراه احد سواه وانه هو المقصود
بالاخذ والسوال دون ما عداه فيقول الجبار عند ذلك يا
جبريل ايتي بالنار فجاها جبريل وقال لها يا جهنم اجيبي
خالقك وملكك فصادفها جبريل على غيظها وغضبها فلم تلبث
بعد ندايه ان ثارت وفارت وزفرت الى الخلايق وشهقت وسمع
الخلايق تغيظها وزفيرها وانتهضت خزانها متوثبة الى الخلايق
غضبا على من عصى الله وخالف امره فاخطر ببالك واحضر
في قلبك حاله قلوب العباد وقد امتلات فزعا ورعبا فتساقطوا
جثيا على الركب وولوا مدبرين وترى كل امة جاثية وسقط
بعضهم على الوجوه منكبين وينادي الظالمون والعصاه بالويل
والثبور وينادي الصديق نفسي نفسي فبينا هم كذلك اذ زفرت
النار زفرتها الثانيه فيتضاعف الخوف وتخاذلت قواهم وظنوا
انهم ماخوذون ثم زفرت الثالثه فتساقط الخلايق لوجوههم

وشخصوا بابصارهم ينظرون من طرف خفي خاشع فانهضمت
عند ذلك قلوب الظالمين فبلغت الحناجر كاظمين وذهلت
العقول من الاشقيا والسعدا اجمعين وبعد ذلك اقبل الله على
الرسل وقال ماذا اجبتم فاذا راوا ما قد اقيم من السياسة على
الانبيا اشتد الفزع على العصاة ففر الوالد من ولده والاخ
من اخيه والزوج من زوجته وبقي كل واحد منتظرا الامر ثم يوخذ
واحدا واحد فيسأله الله تعالى شفاها عن قليل عمله وكثيره وعن
سره وعلانيته وعن جميع جوارحه ٥ قال ابو هريرة قالوا يا
رسول الله هل نرى ربنا جل جلاله يوم القيمة فقال هل تضارون
في روية الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب قالوا لا قال فهل
تضارون في روية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا
قال فوالذي نفسي بيده لا تضارون في روية ربكم جل جلاله فيلقى
العبد فيقول له الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك
الخيل والابل واذرك تراس وتربع فيقول العبد نعم فيقول
للعبد افظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول واني انساك كما نسيتني
فتوهم نفسك يا مسكين وقد اخذت الملايكة بعضديك وانت
واقف بين يدي الله تعالى يسالك شفاها فيقول لك الم انعم

عليك بالشباب ففيماذا ابليته الم امهل لك في العمر ففيماذا
افنيته الم ارزقك المال فمن اين اكتسبته وفيماذا انفقته الم
اكرمك بالعلم فماذا عملت فيما علمت فكيف ترى حياك وخجلك
وهو يعدد عليك انعامه ومعاصيك واياديه ومساويك فان
انكرته شهدت عليك جوارحك ٥ قال انس بن مالك كنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم قال اتدرون مم
اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه جل
جلاله يقول يا رب الم تجرني من الظلم قال يقول بلى قال فاني
لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني فيقول كفى بنفسك اليوم
عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه ويقول
لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول
لاعضايه بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل فنعوذ بالله
من الافتضاح على ملا الخلق بشهادة الاعضا الا ان الله تعالى
وعد المومن بان يستر عليه ولا يطلع عليه غيره ٥ سال ابن عمر رجل
فقال له كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدنو احدكم من ربه حتى يضع
كنفه عليه فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقول عملت كذا وكذا

فيقول نعم ثم يقول اني سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها
لك اليوم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ستر على
مومن عورة ستر الله عورته يوم القيمه وهذا انما يرجي لعبد
مومن ستر على الناس عيوبهم واحتمل في حق نفسه تقصيرهم
ولم يحرك لسانه بذكر مساوي الناس ولم يذكرهم في غيبتهم بما
يكرهون لو سمعوه فهو جدير بان يجازى بمثله يوم القيمه وهب
انه قد ستر عن عيبك الستر قد قرع سمعك النداء الى العرض
فيكفيك تلك الروعه جزاء عن ذنوبك اذ يوخذ بناصيتك
فتقاد وفوادك مضطرب ولبك طاير وفرايصك مرتعده
وجوارحك مضطربه ولونك متغير والعالم عليك من شدة الهول
مظلم فقدر نفسك وانت بصدد الصفه تتخطى الرقاب وتخرق
الصفوف وتقاد كما يقاد الفرس المجنوب وقد رفعت الخلايق
اليك ابصارهم فتوهم نفسك في ايدي الموكلين بك على هذه
الصفه حتى انتهي بك الى عرش الرحمن فرموك بين يديه
وناداك الله تعالى بعظيم كلامه يا ابن ادم ادن مني فدنوت
بقلب خافق محزون وجل وطرف خاشع ذليل وفواد منكسر
واعطاك كتابك الذي لا يغادر صغيره ولا كبيره الا احصاها

فتذكرها

فكم من فاحشة نسيتها فيذكرك بها وكم من طاعة غفلت عن
افاتها فانكشفت لك عن مساويها فكم لك من خجل وجبن وكم
لك من حصر وعجز فليت شعري باي قدم تقف بين يديه جل
جلاله وباي لسان تجيب وباي قلب تعقل ما تقول ثم تفكر في
عظم حيايك اذا ذكرك ذنوبك شفاها اذ يقول يا عبدي
اما استحييت مني تبارزني بالقبيح واستحييت من خلقي فاظهرت
لهم الجميل اكنت اهون عليك من ساير عبادي استخففت بنظري
اليك فلم تكترث واستعظمت نظر غيري الم انعم عليك فما غرك
بي اظننت اني لا اراك وانك لا تلقاني قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما منكم من احد الا ويسايله رب العالمين ليس
بينه وبينه حجاب ولا ترجمان وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليقفن احدكم بين يدي الله تعالى ليس بينه وبينه حجاب
فيقول له الم اوتك مالا فيقول بلى فيقول الم ارسل اليك رسولا
فيقول بلى ثم ينظر عن يمينه فلا يرى الا النار ثم ينظر عن شماله فلا
يرى الا النار فليتق النار احدكم ولو بشق تمره فان لم يجد فبكلمة
طيبه وقال ابن مسعود ما منكم من احد الا سيخلو الله عز وجل
به كما يخلو احدكم بالقمر ليلة البدر ثم يقول يا ابن ادم ما غرك

بي ما عملت فيما علمت يا ابن ادم ماذا اجبت المرسلين يا ابن ادم
الم اكن رقيبا على عينك وانت تنظر بها الى ما لا يحل الم اكن
رقيبا على اذنيك وهكذا حتى عد على سائر الاعضاء وقال مجاهد
لا تزول قدما عبد يوم القيمة من بين يدي الله تعالى حتى يسال
عن اربع خصال عن عمره فيما افناه وعن علمه فيما عمل فيه وعن
جسده فيما ابلاه وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه
فاعظم يا مسكين بحيائك عند ربك وبخطرك فانك بين ان
يقال لك سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم فعند
ذلك يعظم سرورك وفرحك ويغبطك الاولون والاخرون
واما ان يقال للملايكة خذوا هذا العبد السوء فغلوه ثم الجحيم
صلوه فعند ذلك لو بكت عليك السموات والارض لكان ذلك
جديرا لعظم مصيبتك وشدة حسرتك على ما فرطت فيه من
طاعة الله وعلى ما بعت به اخرتك من دنيا دنية لم تبق معك

صفة الميزان ثم لا تغفل عن الفكر في الميزان وتطاير
الكتب الى الايمان والشمايل فان الناس بعد السوال ثلاث فرق
فرقة ليست لهم حسنة فيخرج من النار عنق اسود فيلتقطهم
لقط الطير الحب وينطوي عليهم ويلقيهم في النار وينادي عليهم
شقاوة

شقاوة لا سعادة بعدها وقسم اخر لا سيئة لهم فينادي مناد
ليقم الحمادون لله تعالى على كل حال فيقومون ويسرحون الى
الجنة ثم يفعل ذلك باهل قيام الليل ثم بمن لم تشغله تجارة الدنيا
ولا بيع عن ذكر الله وينادي عليهم سعادة لا شقاوة بعدها ويبقى
قسم ثالث هم الاكثرون خلطوا عملا صالحا واخر سيئا وقد
يخفى عليهم ولا يخفى على الله ان الغالب حسناتهم او سيئاتهم ولكن
يابى الله الا ان يعرفهم حقيقة ذلك ليبين فضله عند العفو
وعدله عند العقاب فتتطاير الصحف والكتب منطوية على الحسنات
والسيئات وينصب الميزان وتشخص الابصار الى الكتب اتقع
في اليمين او في الشمال ثم الى لسان الميزان اتميل الى جانب
السيئات او الحسنات وهذه حالة هايلة تطيش فيها عقول
الخلايق روى الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
راسه في حجر عايشة فنعس فذكرت الاخرة فبكت حتى سال دمعها
على خد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتبه فقال ما يبكيك
يا عايشة قالت ذكرت الاخرة هل تذكرون اهليكم يوم القيمة
قال والذي نفسي بيده في ثلاثة مواطن فان احدا لا يذكر الا
نفسه اذا وضعت الموازين ووزنت الاعمال حتى ينظر ابن ادم

اخف ميزانه ام يثقل وعند الصحف حتى ينظر ابيمينه ياخذ
كتابه او بشماله وعند الصراط ، وقال انس يوتى بابن ادم يوم
القيمه حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فان ثقل
ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلايق سعد فلان سعادة لا
يشقى بعدها ابدا وان خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلايق
شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وعند خفة كفة الميزان
تقبل الزبانيه وبايديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار
فياخذون نصيب النار الى النار ، قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم في يوم القيمه انه يوم ينادي الله فيه ادم عليه السلام
فيقول قم يا ادم فابعث بعث النار فيقول وما بعث النار
فيقول من كل الف تسعمايه تسعه وتسعون فلما سمع الصحابه ذلك
ابلسوا حتى ما اوضحوا بضاحكه فلما راى نبي الله ما عند اصحابه
قال اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده ان معكم لخليقتين
ما كانتا مع احد قط الا كثرتاه مع من هلك من بني ادم
وبني ابليس قالوا وما هما يا رسول الله قال ياجوج وماجوج
قال فسري عن القوم فقال اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد
بيده ما انتم في الناس يوم القيمه الا كالشامه في جنب البعير

او كالرقمه في ذراع الدابه ه

صفة الخصماء ورد المظالم

وقد عرفت هول الميزان وخطره وان الاعين شاخصه الى
لسان الميزان فمن ثقلت موازينه فهو في عيشة راضيه ومن
خفت موازينه فامه هاويه وما ادراك ماهيه نار حاميه
واعلم انه لا ينجو عن خطر الميزان الا من حاسب في الدنيا نفسه
ووزن فيها بميزان الشرع اعماله واقواله وخطراته ولحظاته
كما قال عمر رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها
قبل ان توزنوا وانما محاسبته لنفسه ان يتوب عن كل معصية
قبل الموت توبه نصوحا ويتدارك ما فرط من تقصيره في فرايض
الله ويرد المظالم حبة بعد حبة ويستحل كل من تعرض له بلسانه
ويده وسوء ظنه بقلبه ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه
مظلمه ولا فريضه فهذا يدخل الجنه بغير حساب وان مات
قبل رد المظالم احاطت به خصماؤه فهذا ياخذ بيده وهذا
يقبض على ناصيته وهذا يتعلق بتلبيبه هذا يقول ظلمني
وهذا يقول شتمني وهذا يقول استهزات بي وهذا يقول
ذكرتني في الغيبه بما يسوءني وهذا يقول جاورتني فاسات
جواري وهذا يقول عاملتني فغششتني وهذا يقول بايعتني

واخفيت عني عيب متاعك وهذا يقول كذبت في سعر متاعك
وهذا يقول رايتني محتاجا وكنت غنيا فما اطعمتني وهذا يقول
وجدتني مظلوما وقد كنت قادرا على دفع الظلم فداهنت الظالم
وما راعيتني فبينا انت كذلك وقد انشب الخصما فيك مخالبهم
واحكموا في تلابيبك ايديهم وانت مبهوت متحير من كثرتهم
حتى لم يبق في عمرك احد عاملته على درهم او جالسته في مجلس
الا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة او خيانة او نظر بعين استحقار
وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجا الى سيدك ومولاك
لعله يخلصك من ايديهم اذ قرع سمعك نداء الجبار جل جلاله
اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم فعند ذلك ينخلع
قلبك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار وتتذكر ما انذرك الله
به على لسان رسوله حيث قال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل
الظالمون انما يوخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي
روسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هوا فما اشد فرحك اليوم
بتمضمضك باعراض الناس وتناولك اموالهم وما اشد حسرتك
في ذلك اليوم اذا وقفوك على بساط العدل وشوفهت بخطاب
السياسة وانت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على ان ترد حقا

تعبت صح

او تظهر عذرا فعند ذلك يوخذ حسناتك التي زجيت فيها عمرك
وتنقل الى خصمايك عوضا عن حقوقهم قال ابو هريرة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون من المفلس قالوا المفلس فينا
يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع فقال المفلس من امتي من
ياتي يوم القيمة بصلوة وزكاة وصيام وياتي قد شتم هذا وقذف
هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من
حسناته وهذا من حسناته وان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه
اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار فانظر الى مصيبتك
في مثل هذا اليوم اذ ليس يسلم لك حسنة من افات الريا ومكايد
الشيطان فان سلمت حسنة واحدة في كل مدة طويلة ابتدرها
خصماوك واخذوها ولعلك لو حاسبت نفسك وانت مواظب
على صيام النهار وقيام الليل لعلمت انه لا ينقضي عليك يوم الا
ويجري على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفي جميع حسناتك
فكيف ببقية السيئات من اكل الحرام والشبهات والتقصير
في الطاعات وكيف ترجو الخلاص من المظالم في يوم يقتص فيه للجما
من القرنا وقد روي عن ابي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه راى شاتين ينتطحان فقال يا ابا ذر اتدري فيم ينتطحان قلت

لا قال لكن ربك يدري وسيقضي بينهما يوم القيمة وقال ابو
هريرة في قوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طاير يطير بجناحيه
الا امم امثالكم انه يحشر الخلايق كلهم يوم القيمة البهايم والدواب
والطير وكل شي فيبلغ من عدل الله ان ياخذ للجما من القرنا ثم يقول
كوني ترابا فذلك حين يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا فكيف
انت يا مسكين في يوم ترى صحيفتك خالية من حسنات طال فيها
تعبك فيقول اين حسناتي فيقال نقلت الى صحيفة خصمايك وترى
صحيفتك مشحونة بسيات طال في الصبر عنها تعبك واشتد
بسبب الكف عنها عناوك فيقول يا رب هذه سيات ما قارفتها
قط فيقال هذه سيات القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم
بالسوء وظلمتهم في المبايعة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة
والمدارسة وساير اصناف المعاملة ، وقال ابن مسعود قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قد يئس ان تعبد الاصنام
بارض العرب ولكن سيرضى منكم بالمحقرات وهي الموبقات فاتقوا
الظلم ما استطعتم وان العبد ليجي يوم القيمة بامثال الجبال
من الطاعات فيرى انهن سينجينه فما يزال عبد يجي فيقول
يا رب ان فلانا ظلمني مظلمه فيقول امح من حسناته فما يزال

كذلك حتى ما يبقى له من حسناته شي وان مثل ذلك مثل سفر
نزلوا بفلاة من الارض ليس معهم حطب فتفرق القوم فحطبوا
فلم يلبثوا ان اعظموا نارهم وصنعوا ما ارادوا فكذلك الذنوب
ولما نزل قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيمة
عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله ايكرر علينا
ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال نعم ليكررن عليكم
حتى تودوا الى كل ذي حق حقه قال الزبير والله ان الامر لشديد
فاعظم بشي يوم لا يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه عن لطمة
ولا عن كلمة حتى ينتقل للمظلوم من الظالم قال انس رضي الله عنه
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله تعالى العباد
عراة غرلا بهما قلنا ما بهما قال ليس معهم شي ثم يناديهم
ربهم عز وجل بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا الملك
انا الديان الذي لا ينبغي لاحد من اهل الجنة ان يدخل الجنة
ولا لاحد من اهل النار عنده مظلمة ولا لاحد من اهل النار
ان يدخل النار ولاحد من اهل الجنة عنده مظلمة حتى اقصه منه
حتى اللطمة قلنا وكيف وانما ناتي الله عراة غرلا بهما فقال
بالحسنات والسيات فاتقوا الله عباد الله باخذ المظالم والتعرض

لاعراضهم والتضييق لقلوبهم واساة الخلق في معاشرتهم فان
ما بين العبد وبين الله خاصة فالمغفرة اليه اسرع ومن اجتمعت
عليه مظالم العباد وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال ارباب
المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليسر بعض الحسنات
بينه وبين الله تعالى بكمال الاخلاص بحيث لا يطلع عليه الا الله
فعساه يقربه الى الله تعالى فينال به لطفه الذي ادخره لاحبابه
المومنين في دفع مظالم العباد عنهم كما روي عن انس عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم
جالس اذ رايناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر ما يضحكك
يا رسول الله بابي انت وامي قال رجلان من امتي جثيا بين يدي
رب العزة جل جلاله فقال احدهما يا رب خذ لي مظلمتي من
اخي فقال الله تعالى اعط اخاك مظلمته فيقول يا رب لم يبق
من حسناتي شيء فقال الله للطالب كيف تصنع ولم يبق من
حسناته شيء قال يا رب يحمل من اوزاري قال وفاضت عينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال ان ذلك ليوم عظيم
يوم يحتاج الناس الى ان يحمل عنهم من اوزارهم قال فقال الله
تعالى للطالب ارفع راسك فانظر الى الجنان فرفع راسه فقال

يا رب ارى مداين من فضة مرتفعة وقصورا من ذهب مكللة
باللولو لاي نبي هذا او لاي صديق هذا او لاي شهيد هذا قال
لمن اعطى الثمن قال يا رب ومن يملك ثمنه قال انت تملك ثمنه
قال ما هو قال عفوك عن اخيك قال يا رب اني قد عفوت
عنه قال الله تعالى خذ بيد اخيك فادخله الجنة ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اتقوا الله واصلحوا
ذات بينكم فان الله يصلح بين المومنين وهذا تنبيه ان
ذلك انما ينال بالتخلق باخلاق الله وهو اصلاح ذات البين
وساير الاخلاق فتفكر الان في نفسك ان خلت صحيفتك
عن المظالم او تلطف لك حتى عفي عنك وابقيت بسعادة
الابد كيف يكون سرورك في منصرفك من منفصل القضا وقد
خلع عليه خلعة الرضى ووعدت بسعادة ليس بعدها شقا
وبنعيم لا يدور بحواشيه الفنا وعند ذلك طار قلبك سرورا
وفرحا وابيض وجهك واستنار واشرق كما يشرق القمر ليلة
البدر فتوهم تبخترك بين الخلايق رافعا راسك خاليا عن
الاوزار ظهرك ونضرة نسيم النعيم وبرد الرضى يتلالا من
جبينك وخلق الاولين والاخرين ينظرون اليك والى حالك

ويغبطونك في حسنك وجمالك والملايكه يمشون بين
يديك ومن خلفك وينادون على رؤوس الاشهاد هذا فلان بن
فلان رضي الله عنه وارضاه وقد سعد سعاده لا يشقى بعدها
ابدا افترى ان هذا المنصب اعظم من المكانه التي نلتها في قلوب
الخلق في الدنيا بريايك ومداهنتك وتصنعك وتزينك
فان كنت تعلم بانه خير منه بل لا نسبه له اليه فتوسل الى ادراك
هذه الرتبه بالاخلاص الصافي والنيه الصادقه في معاملتك
مع الله تعالى فلن تدرك ذلك الا به وان تكن الاخرى والعياذ
بالله بان تخرج من صحيفتك جريمه كنت تحسبها هينه وهي عند
الله عظيمه فمقتك لاجلها فقال عليك لعنتي يا عبد السوء لا اقبل
منك عبادتك فلا تسمع هذا النداء الا ويسود وجهك ثم
تغضب الملايكه لغضب الله تعالى فيقولون وعليك لعنتنا ولعنه
الخلايق اجمعين وعند ذلك تنثال عليك الزبانيه وقد
غضبت لغضب خالقها فاقدمت عليك بفظاظتها ودعارتها
وصورها المنكره فاخذوا بناصيتك يسحبونك على وجهك
على ملا الخلايق وهم ينظرون الى سواد وجهك والى ظهور
خزيك وانت تنادي بالويل والثبور وهم يقولون لك لا تدعوا

اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا وتنادي الملايكه
وهم يقولون هذا فلان بن فلان قد كشف الله تعالى عن فضايحه
ومخازيه ولعنه بقبيح مساويه فشقي شقا لا يسعد بعدها ابدا
وربما يكون ذلك بذنب اذنبته خيفه من عباد الله او طلبا للمكانه
في قلوبهم او خوفا من الافتضاح عندهم فما اعظم جهلك اذ
تحترز عن الافتضاح عند طايفه يسيره من عباد الله في الدنيا
المنقضيه ثم لا تخشى من الافتضاح العظيم في ذلك الملا العظيم
مع التعرض لسخط الله تعالى وعقابه الاليم والسياق بايدي
الزبانيه الى سوا الجحيم فهذه احوالك وانت بعد لم تشعر
بالخطر العظيم وهو خطر الصراط ه **صفة الصراط**
[margin: الاعظم]
ثم تفكر بعد هذه الاهوال في قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم
وقفوهم انهم مسؤولون ما لكم لا تناصرون وقوله تعالى يوم
نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا
فالناس بعد هذه الاهوال يساقون الى الصراط وهو جسر
ممدود على متن النار احد من السيف وادق من الشعر فمن
استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم خف على صراط الاخره
ونجا ومن عدل عن الاستقامه في الدنيا واثقل ظهره بالاوزار

وعصى تعثر في اول قدم من الصراط فتردى فتفكر الان
فيما يحل من الفزع بفؤادك اذا رايت الصراط ودقته ثم
وقع بصرك على سواد جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار
وتغيظها وقد كلفت ان تمشي على الصراط مع ضعف حالك
واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالاوزار المانعة
عن المشي على بساط الارض فضلا عن حدة الصراط فكيف بك
اذا وضعت عليه احدى رجليك فاحسست بحدته واضطررت
الى ان ترفع القدم الثاني والخلائق بين يديك يزلون ويتعثرون
وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب وانت تنظر
اليهم كيف ينكسون فتتسفل الى جهة النار رؤوسهم وتعلو
ارجلهم فيا له من منظر ما افظعه ومن مرتقى ما اصعبه ومجاز
ما اضيقه فانظر الى حالك وانت ترحف عليه وتصعد اليه
وانت مثقل الظهر باوزارك تلتفت يمينا وشمالا الى الخلق
وهم يتهافتون في النار والرسول قائم يقول رب سلم سلم
والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت اليك من قعر جهنم
لكثرة من زل عن الصراط من الخلائق فكيف بك لو زلت
قدمك ولم ينفعك ندمك فناديت بالويل وقلت هذا ما كنت

اخافه فيا ليتني قدمت لحياتي يا ليتني اتخذت مع الرسول
سبيلا يا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يا ليتني كنت ترابا يا
ليتني كنت نسيا منسيا يا ليت امي لم تلدني وعند ذلك
تختطفك النيران والعياذ بالله وينادي المنادي اخسئوا
فيها ولا تكلمون ولا يبقى سبيل الى الصياح والانين والتنفس
والاستغاثة فكيف ترى الان عقلك وهذه الاخطار بين
يديك فان كنت غير مؤمن بذلك فما اطول مقامك مع الكفار
في دركات جهنم وان كنت به مؤمنا وعنه غافلا وبالاستعداد
له متهاونا فما اعظم خسرانك وطغيانك وماذا ينفعك ايمانك
اذا لم يبعثك على السعي في طلب رضى الله تعالى بطاعته وترك
معاصيه فلو لم يكن بين يديك الا هول الصراط وارتياع قلبك
من خطرك في الجواز وان سلمت فناهيك به هولا وفزعا
ورعبا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب الصراط
بين ظهراني جهنم فاكون اول من يجيز بامته من الرسل ولا يتكلم
يومئذ الا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي
جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رايتم شوك السعدان
قالوا نعم يا رسول الله قال فانها مثل شوك السعدان الا انه لا

يعلم قدر عظمها الا الله تعالى تختطف الناس باعمالهم فمنهم
من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو وقال ابو سعيد الخدري
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر الناس على جسر جهنم وعليه
حسك وكلاليب وخطاطيف تختطف الناس يمينا وشمالا
وعلى جنبتيه ملايكه يقولون اللهم سلم سلم ومن الناس من
يمر كالبرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس المجري
ومنهم من يسعى سعيا ومنهم من يمشي مشيا ومنهم من يحبو حبوا
ومنهم من يزحف زحفا فاما اهل النار الذين هم اهلها فلا يموتون
ولا يحيون واما ناس فيوخذون بذنوب وخطايا فيحترقون
فيكونون فحما ثم يوذن في الشفاعه وذكر الى آخر الحديث

وعن ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الاولين
والاخرين لميقات يوم معلوم قياما اربعين سنه شاخصه ابصارهم
الى السما ينتظرون فصل القضا وذكر الحديث الى ذكر سجود المومنين
ثم يقول ارفعوا روسكم فيرفعوا روسهم فيعطيهم نورهم على قدر
اعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين ايديهم
ومنهم من يعطى نوره اصغر من ذلك ومنهم من يعطى نوره مثل النخله
بيمينه ومنهم من يعطى اصغر من ذلك حتى يكون اخرهم رجلا

يعطى نوره في ابهام قدمه فيضي مره ويطفى فاذا اضا قدم
قدمه واذا طفي قام ثم ذكر مرورهم على الصراط على قدر نورهم
فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر
كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كشد
الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذي اعطي نوره على
ابهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه يجر يدا ويعلق
يدا ويجر رجلا ويعلق رجلا ويصيب جوانبه النار قال فلا
يزال كذلك حتى يخلص فاذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله
لقد اعطاني الله تعالى ما لم يعط احدا اذ نجاني الله منها بعد ان
رايتها فينطلق به الى غدير عند باب الجنه فيغتسل وقال
انس بن مالك سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الصراط كحد
السيف او كحد الشعر وان الملايكه عليهم السلام ينجون
المومنين والمومنات وان جبريل لاخذ بحجزي واني لاقول
يا رب سلم سلم فالزالون والزالات يوميذ كثير فهذه اهوال
الصراط وعظايمه فطول فيه فكرك فان اسلم الناس عن اهوال
القيمه من طال فكره في الدنيا فان الله تعالى لا يجمع على عبده بين
خوفين فمن خاف هذه الاهوال في الدنيا امنها في الاخره ولست

اعني بالخوف رقة كرقة النساء تدمع عينك ويرق قلبك
حال السماع ثم تنساه عن القرب وتعود الى لهوك ولعبك
فما ذلك من الخوف في شي بل من خاف شيا هرب منه ومن
رجا شيا طلبه فلا ينجيك الا خوف يمنعك عن معاصي الله
تعالى ويحثك على طاعته وابعد من رقة النساء خوف الحمقى
اذا سمعوا الاهوال تسبق الى السنتهم الاستعاذه فقال
احدهم استعنت بالله اعوذ بالله سلم سلم وهم مع ذلك يصرون
على المعاصي التي هي سبب هلاكهم فالشيطان يضحك من استعاذتهم
كما يضحك على من يقصده سبع ضاري في صحرا ووراه حصن
فاذا راي انياب السبع وصولته من بعد قال بلسانه اعوذ
بهذا الحصن الحصين واستعيذ بشدة بنيانه واحكام اركانه
فيقول ذلك وهو قاعد في مكانه فاين يغني ذلك عن السبع
فكذلك اهوال الاخره ليس لها حصن الا قول لا اله الا الله
صادقا ومعنى صدقه ان لا يكون لك مقصود سوى الله ولا
معبود سواه ومن اتخذ الهه هواه فهو بعيد عن الصدق توحيده
وامره مخطر في نفسه فان عجزت عن ذلك فكن محبا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم حريصا على تعظيم سنته ومتشوقا الى مراعاة

قلوب الصالحين من امته ومتبركا بادعيتهم فعساك تنال من شفاعته
او شفاعتهم فتنجو بالشفاعة ان كنت قليل البضاعة ٥

صفة الشفاعة ٥

اعلم انه اذا حق دخول
النار على طوايف من المومنين فان الله تعالى بفضله يقبل فيهم
شفاعة الانبياء والصالحين بل شفاعة العلماء والصالحين
وكل من له عند الله تعالى جاه بحسن معاملته فان له شفاعة
في اهله وقرابته واصدقايه ومعارفه فكن حريصا على ان تكسب
لنفسك عندهم رتبة الشفاعة وذلك بان لا تحقر ادميا اصلا
فان الله تعالى خبا ولايته في عباده ولعل الذي تزدريه عينك
هو ولي الله ولا تستصغر معصية اصلا فان الله تعالى خبا غضبه
في معاصيه فلعل مقت الله تعالى فيها ولا تستحقر طاعة اصلا
فان الله تعالى خبا رضاه في طاعاته فلعل رضاه فيها ولو الكلمة
الطيبة او اللقمة او النية الحسنة او ما يجري مجراه وشواهد
الشفاعة في القران والاخبار كثيرة قال الله تعالى ولسوف
يعطيك ربك فترضى وروى عمرو بن العاص ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم تلا قول ابرهيم رب انهن اضللن كثيرا من الناس
فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم وقول عيسى عليه

السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت
العزيز الحكيم ثم رفع يديه وقال امتي امتي ثم بكى فقال الله عز وجل
يا جبريل اذهب الى محمد فسله ما يبكيك فاتاه فساله فاخبره
والله اعلم به فقال يا جبريل اذهب الى محمد وقل له انا سنرضيك
في امتك ولا نسوءك وقال عليه السلام اعطيت خمسا لم يعطهن
احد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر واحلت لي الغنايم ولم تحل
لاحد قبلي وجعلت لي الارض مسجدا وترابها لي طهورا فايما
رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واعطيت الشفاعة
وكل نبي بعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة وقال
عليه السلام اذا كان يوم القيمة كنت امام النبيين وخطيبهم
وصاحب شفاعتهم من غير فخر وقال عليه السلام انا سيد ولد
ادم ولا فخر وانا اول من تنشق عنه الارض وانا اول شافع
واول مشفع بيدي لواء الحمد تحته ادم ومن دونه وقال
عليه السلام لكل نبي دعوة مستجابة فاني اريد ان اخبا دعوتي
شفاعة لامتي يوم القيمة وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم للانبياء منابر من ذهب فيجلسون عليها ويبقى منبري
لا اجلس عليه قايما بين يدي ربي جل جلاله منتصبا مخافة ان يبعث

بي الى الجنة وتبقى امتي بعدي فاقول يا رب امتي فيقول الله عز وجل
يا محمد ما تريد ان نصنع بامتك فاقول يا رب عجل حسابهم فما ازال
اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد بعث بهم الى النار وحتى ان
مالكا خازن النار يقول يا محمد ما تركت للنار لغضب ربك في
امتك من بقية وقال عليه السلام اني لاشفع يوم القيمة لاكثر
مما على وجه الارض من حجر ومدر وقال ابو هريرة اتي رسول
الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه
فنهش منها نهشة ثم قال انا سيد الناس يوم القيمة فهل تدرون
بم ذاك يجمع الله تعالى الناس الاولين والاخرين في صعيد واحد
يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من
الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس بعضهم
لبعض الا ترون ما قد بلغكم الا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم
فيقول بعض الناس لبعض عليكم بادم عليه السلام فياتون ادم
فيقولون له انت ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه
وامر الملايكة فسجدوا لك اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه
الا ترى ما قد بلغنا فيقول ادم عليه السلام ان ربي جل جلاله
قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولم يغضب بعده مثله

وانه قد نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي اذهبوا الى نوح
فياتون نوحا عليه السلام فيقولون يا نوح انت اول الرسل الى اهل
الارض وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا الى ربك جل جلاله
الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي جل جلاله قد غضب اليوم غضبا
شديدا لم يغضب قبله مثله وانه كانت لي دعوة دعوتها على قومي
نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابرهيم خليل الله فياتون
ابرهيم فيقولون انت نبي الله وخليله من الارض اشفع لنا الى ربك
الا ترى ما نحن فيه فيقول لهم ان ربي جل جلاله غضب اليوم غضبا
لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله واني كنت كذبت ثلاث
كذبات ويذكرها نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى موسى
فياتون موسى عليه السلام فيقولون يا موسى انت رسول الله
فضلك برسالاته وبكلامه على الناس اشفع لنا الى ربك عز وجل
اما ترى الى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب
قبله مثله ولن يغضب بعده مثله واني قتلت نفسا لم اومر بقتلها
نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى عيسى فياتون عيسى
فيقولون يا عيسى انت رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح
منه وكلمت الناس في المهد اشفع لنا الى ربك جل جلاله الا ترى

ما نحن

ما نحن فيه فيقول عيسى ان ربي جل جلاله غضب اليوم غضبا
لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسي
نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى محمد صلى الله عليه وسلم
فياتون محمدا فيقولون يا محمد انت رسول الله وخاتم الانبياء
وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر اشفع لنا الى ربك
عز وجل الا ترى الى ما نحن فيه فانطلق فاتي تحت العرش واقع
ساجدا لربي جل جلاله ثم يفتح لي من محامده وحسن الثناء عليه
شيئا لم يفتحه على احد قبلي ثم قال يا محمد ارفع راسك سل تعطه
واشفع تشفع فارفع راسي واقول امتي امتي يا رب فيقال يا محمد
ادخل من امتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من ابواب
الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ثم قال
والذي نفسي بيده ان ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة
وحمير او كما بين مكة وبصرى وفي حديث آخر هذا السياق بعينه
مع ذكر خطايا ابرهيم وهو قوله في الكوكب هذا ربي وقوله
لآلهتهم بل فعله كبيرهم هذا وقوله اني سقيم فصل شفاعة رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولآحاد امته من العلماء والصالحين
شفاعة ايضا جى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة

بشفاعة رجل من امتي اكثر من ربيعة ومضر وقال عليه السلام
يقال للرجل قم يا فلان فاشفع فيقوم الرجل فيشفع للقبيلة
ولاهل البيت وللرجل والرجلين على قدر عمله قال انس بن
مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا من اهل
الجنة يشرف يوم القيامة على اهل النار فيناديه رجل من اهل
النار ويقول يا فلان هل تعرفني فيقول لا والله لا اعرفك فيقول
انا الذي مررت بي في الدنيا يوما فاستسقيتني شربة ماء فسقيتك
قال قد عرفت قال فاشفع لي بها عند ربك فيسال الله تعالى ويقول
اني اشرفت على اهل النار فناداني رجل من اهلها فقال هل تعرفني فقلت
لا من انت فقال انا الذي استسقيتني في الدنيا فسقيتك فاشفع لي
عند ربك فشفعني فيه فشفعه الله فيومر به فيخرج من النار وعن
انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا
اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا يئسوا لواء
الحمد يومئذ بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر وقال عليه
السلام فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم على يمين العرش ليس احد
من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري وقال ابن عباس رضي الله عنه
جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه حتى اذا

دنا منهم سمعهم يتذاكرون فتسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان
الله تعالى اتخذ من خلقه خليلا اتخذ ابرهيم خليلا وقال اخر ماذا
باعجب من كلام موسى عليه السلام كلمه تكليما وقال اخر عيسى كلمة الله
وروحه وقال اخر ادم اصطفاه الله فخرج عليهم صلى الله عليه وسلم
وقال قد سمعت كلامكم وتعجبكم ان الله اتخذ ابرهيم خليل الله وهو
كذلك وموسى كليم الله وهو كذلك وعيسى روحه وهو كذلك
وادم صفي الله وهو كذلك وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء
الحمد يوم القيمه ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع يوم القيمه ولا
فخر واول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله تعالى لي فادخلها ومعي
فقراء المومنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر

صفة الحوض

اعلم ان الحوض مكرمة عظيمة
خص الله تعالى بها نبينا صلى الله عليه وسلم وقد اشتملت الاخبار
على وصفه ونحن نرجو ان يرزقنا الله تعالى في الدنيا علمه وفي الاخرة
ذوقه فان من صفاته ان من شرب منه لم يظما ابدا وقال انس اغفا
رسول الله صلى الله عليه وسلم اغفاءة فرفع راسه متبسما فقالوا يا
رسول الله لم ضحكت فقال سورة انزلت علي انفا وقرا بسم الله
الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر حتى ختمها ثم قال هل تدرون ما الكوثر

قالوا الله ورسوله اعلم قال انه نهر وعدنيه ربي جل جلاله في
الجنة عليه خير كثير عليه حوضي يرد عليه امتي يوم القيمة آنيته
عدد النجوم، وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم بينا انا اسير
في الجنة اذا انا بنهر حافتاه قباب اللولو المجوف قلت ما هذا يا
جبريل قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك فضرب الملك بيده
فاذا طينه مسك اذفر، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما بين لابتي حوضي مثل ما بين المدينة وصنعا او مثل ما بين المدينة
وعمان، وروي عن عمر رضي الله عنه انه لما نزل قوله تعالى انا اعطينا
الكوثر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نهر في الجنة حافتاه
من ذهب شرابه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واطيب
رائحة من المسك تجري على جنادل اللولو والمرجان، وقال ثوبان
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان حوضي ما بين عدن الى عمان البلقا ماؤه اشد بياضا من
اللبن واحلى من العسل واكوابه عدد نجوم السماء من شرب
منه شربة لم يظما بعدها ابدا اول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين
قال عمر بن الخطاب ومن هم يا رسول الله قال هم الشعث رؤسا الدنس
ثيابا الذين لا ينكحون المنعمات ولا تفتح لهم ابواب السدد فقال عمر

ابن عبد العزيز والله لقد نكحت المنعمات بنت عبد الملك بن
مروان وفتحت لي ابواب السدد الا ان يرحمني الله تعالى لاجرم
لا ادهن راسي حتى يشعث ولا اغسل ثوبي الذي على جسدي حتى
يتسخ وعن ابي ذر قال قلت يا رسول الله ما آنية الحوض قال
والذي نفسي بيده لآنيته اكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في
الليلة المظلمة المصحية من شرب منه لم يظما آخر ما عليه يشخب
فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طوله ما بين عمان وايلة ماؤه
اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل وعن سمرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حوضا وانهم يتباهون
ايهم اكثر وارده واني ارجو ان اكون اكثرهم وارده فهذا رجا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فليرج كل عبد ان يكون من جملة
الواردين وليحذر ان يكون متمنيا ومغترا وهو يظن انه راج
فان الراجي للحصاد من بث البذر ونقى الارض وسقاها الماء
ثم جلس يرجو فضل الله تعالى بالانبات ودفع الصواعق الى
اوان الحصاد فاما من ترك الحراثة والزراعة وتنقية الارض
وسقيها واخذ يرجو من فضل الله تعالى ان ينبت له الحب والفاكهة
فهذا مغتر ومتمني وليس من الراجين في شي وهكذا رجا

اكثر الخلق وهو غرور الحمقى نعوذ بالله من الغرور والغفله
فان الاغترار بالله تعالى اعظم من الاغترار بالدنيا قال الله
تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور

القول في صفة جهنم واهوالها وانكالها

ايها الغافل عن نفسه المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا
المشرفة على الانقضا والزوال دع التفكر فيما انت مرتحل عنه
واصرف الفكر الى موردك فانك اخبرت بان النار مورد الجميع
اذ قيل وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم
ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فانت من الورود على
يقين ومن النجاة في شك فاستشعر في قلبك هول ذلك
المورد فعساك تستعد للنجاة منه وتامل في حال الخلائق وقد
قاسوا من دواهي القيمه ما قاسوا فبينما هم في كربها واهوالها واقفين
ينتظرون حقايق انبايها وتشفيع شفعايها اذ احاطت بالمجرمين
ظلمات ذات الشعب واظلت عليهم نار ذات اللهب وسمعوا
لها شهيقا وزفيرا وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب
فعند ذلك ايقن المجرمون بالعطب وجثت الامم على الركب
حتى اشفق البرآ من سوء المنقلب وخرج المنادي من الزبانيه

قايلا اين فلان بن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الامل
المضيع عمره في سوء العمل فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه
بعظايم التهديد ويسوقونه الى العذاب الشديد وينكسونه في
قعر الجحيم ويقولون له ذق انك انت العزيز الحكيم فاسكنوه
دارا ضيقة الارجا مظلمة المسالك مبهمة المهالك يخلد
فيها الاسير ويوقد فيها السعير فشرابهم فيها الحميم ومستقرهم
الجحيم الزبانيه تقمعهم والهاويه تجمعهم امانيهم فيها الهلاك وما
لهم منها فكاك قد شدت اقدامهم الى النواصي واسودت
وجوههم من ظلمة المعاصي ينادون من اكنافها ويصيحون في
نواحيها واطرافها يا مالك قد حق علينا الوعيد يا مالك قد
اثقلنا الحديد يا مالك قد نضجت منا الجلود يا مالك اخرجنا
منها فانا لا نعود وتقول الزبانيه هيهات لات حين امان ولا
خروج لكم من دار الهوان فاخسئوا فيها ولا تكلمون ولو اخرجتم
منها لكنتم الى ما نهيتم عنه عايدون فعند ذلك يقنطون وعلى
ما فرطوا في جنب الله يتاسفون ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم
الاسف بل يكبون على وجوههم مغلولين النار من فوقهم والنار
من تحتهم والنار عن ايمانهم والنار عن شمايلهم فهم غرقى في النار

طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار فهم بين
مقطعات النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع وثقل
السلاسل فهم يتجلجلون في مضايقها ويتحطمون في دركاتها ويضطربون
بين غواشيها تغلي بهم النار كغلي القدور ويهتفون بالويل
والثبور ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر
به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم
فيتفجر الصديد من أفواههم وتتقطع من العطش أكبادهم
وتسيل على الخدود أحداقهم وتسقط من الوجنات لحومها ويتمعط
من الأطراف شعورها بل جلودها كلما نضجت جلودهم بدلناهم
جلودا غيرها وعري من اللحوم عظامهم فبقيت الأرواح منوطة
بالعروق وعلائق العصب وهي تنش في لفح تلك النيران وهم
مع ذلك يتمنون الموت فما يموتون فكيف بك لو نظرت إليهم
وقد سودت وجوههم أشد سواد وأعميت أبصارهم وأبكمت
ألسنتهم وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم وجدعت آذانهم
ومزقت جلودهم وغلت أيديهم إلى أعناقهم وجمعت بين نواصيهم
وأقدامهم وهم يمشون على النار بوجوههم ويطأون حسك الحديد
بأقدامهم فلهب النار سار في بواطن أجزائهم وحيات الهاوية

وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائهم هذه جملة أحوالهم وانظر
الآن في تفصيل أهوالهم وتفكر أولا في أودية جهنم وشعابها فقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم إن في جهنم سبعين ألف واد
في كل واد سبعون ألف شعب في كل شعب سبعون ألف ثعبان
وسبعون ألف عقرب لا ينتهي الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك
كله وقال علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نعوذ بالله من جب الحزن أو وادي الحزن قيل يا رسول
الله وما وادي الحزن أو جب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ
منه جهنم في كل يوم سبعين مرة أعده الله تعالى للقراء المرائين
فهذه سعة جهنم وانشعاب أوديتها وهي بحسب عدد أودية
الدنيا وشهواتها وعدد أبوابها بعدد الأعضاء السبعة التي بها
يعصي العبد بعضها فوق بعض الأعلى جهنم ثم سقر ثم لظى
ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية فانظر الآن في عمق
الهاوية فإنه لا حد لعمقها كما لا حد لعمق شهوات الدنيا فكما
لا ينتهي أرب من الدنيا إلا إلى أرب أعظم منه فلا ينتهي هاوية
من جهنم إلا إلى هاوية أعمق منها قال أبو هريرة كنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة فقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم اتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله اعلم قال هذا حجر
ارسل في جهنم سبعين عاما الان حين انتهى الى قعرها ثم انظر
الى الدركات فان الاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا وكما ان
اكباب الناس على الدنيا متفاوت فمن منهمك مستكثر
كالغريق فيها ومن خائض فيها الى حد محدود فكذلك منازل
النار لهم متفاوت فان الله لا يظلم مثقال ذرة فلا يترادف
انواع العذاب على كل من في النار كيف كان بل لكل واحد
حد معلوم على قدر عصيانه وذنبه الا ان اقلهم عذابا لو عرضت
عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة ما هو فيه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل النار عذابا يوم
القيمه ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه فانظر
الان الى من خفف عليه واعتبر به من شدد عليه ومهما
شككت في شدة عذاب النار فقرب اصبعك من النار وقس
ذلك به ثم اعلم انك اخطات في القياس فان نار الدنيا لا تناسب
نار جهنم ولكن لما كان اشد عذاب في الدنيا عذاب هذه النار عرف
عذاب جهنم بها وهيهات لو وجدوا اهل الجحيم مثل هذه النار
لخاضوها طايعين هربا مما هم فيه وعن هذا عبر بعض الاخبار

حيث قيل ان نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة
حتى اطاقها في الدنيا بل صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم
بصفة جهنم فقال امر الله تعالى ان يوقد على النار الف عام
حتى احمرت والف عام حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف عام حتى
اسودت فهي سوداء مظلمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم
اشتكت النار الى ربها فقالت يا رب اكل بعضي بعضا فاذن
لها في نفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فاشد ما
تجدونه في الصيف من حرها واشد ما تجدونه في الشتاء من
زمهريرها وقال انس بن مالك يؤتى بانعم الناس في الدنيا من
الكفار فيقال اغمسوه في النار غمسة ثم يقال له هل رايت نعيما
قط فيقول لا ويؤتى باشد الناس ضرا في الدنيا فيقال اغمسوه
في الجنة غمسة ثم يقال هل رايت ضرا قط فيقول لا وقال
ابو هريرة لو كان في المسجد مائة الف او يزيدون ثم تنفس رجل
من اهل النار لماتوا وقد قال بعض العلماء في قوله تلفح وجوههم
النار انها لفحتهم لفحة واحدة فما ابقت لحما على عظم الا القته عند
اعقابهم ثم انظر بعد هذا في نتن الصديد الذي يسيل من ابدانهم
حتى يغرقون فيه وهو الغساق قال ابو سعيد الخدري قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان دلوا من غساق جهنم
القي في الدنيا لانتن اهل الارض فهذا شرابهم اذا استغاثوا
من العطش فيسقى احدهم من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه
ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وان يستغيثوا يغاثوا
بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ثم انظر
الى طعامهم وهو الزقوم كما قال الله تعالى ثم انكم ايها الضالون
المكذبون لاكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون
عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم وقال تعالى انها شجرة تخرج
في اصل الجحيم طلعها كانه رؤس الشياطين فانهم لاكلون منها فمالئون
منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم وقال تصلى نارا حامية
تسقى من عين آنية وقال تعالى ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما
ذا غصة وعذابا اليما وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لو ان قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا افسدت
على اهل الدنيا معايشهم فكيف من يكون طعامه ذلك ولذلك
قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارغبوا فيما رغبكم
الله واحذروا وخافوا ما خوفكم الله من عذابه وعقابه ومن
جهنم فانه لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي انتم فيها

جلتها لكم ولو كانت قطرة من النار معكم في دنياكم التي انتم
فيها خبثتها عليكم وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من
العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع
لا يسمن ولا يغني من جوع ويستغيثون بالطعام فيغاثون
بطعام ذي غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص
في الدنيا بشراب فيستغيثون بالشراب فيرفع اليهم
الحميم بكلاليب الحديد فاذا دنت من وجوههم شوت وجوههم
فاذا دخل الشراب بطونهم قطع ما في بطونهم فيقولون ادعوا
خزنة جهنم قال فيدعون خزنة جهنم ان ادعوا ربكم
يخفف عنا يوما من العذاب فيقولون الم تك تاتيكم رسلكم
بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا
في ضلال فيقولون ادعوا مالكا فيدعون فيقولون يا مالك
ليقض علينا ربك قال فيجيبهم انكم ماكثون قال الاعمش
انبئت ان بين دعائهم وبين اجابة مالك اياهم الف عام
قال فيقولون ادعوا ربكم فلا احد خير من ربكم فيقولون ربنا
غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها

فان عدنا فانا ظالمون قال فيجيبهم اخسئوا فيها ولا تكلمون
قال فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك اخذوا في
الزفير والحسرة والويل وقال ابو امامة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم في قوله تعالى يسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد
يسيغه قال يقرب اليه فيتكرهه فاذا ادنى منه شوى وجهه
ووقعت فروة راسه فاذا شربه قطع امعاءه حتى تخرج من دبره
تقول الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم وقال تعالى
وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه فهذا طعامهم
وشرابهم عند جوعهم وعطشهم فانظر الان الى حيات جهنم
وعقاربها والى شدة سمومها وعظم اشخاصها وفظاعة منظرها
وقد سلطت على اهلها واغريت بهم فهي لا تفتر عن النهش واللدغ
ساعة واحدة قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من اتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيمة شجاعا
اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيمة ثم ياخذ بلهازمه يعني
اشداقه فيقول انا مالك انا كنزك ثم تلى قوله تعالى ولا يحسبن
الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله الاية وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان في النار حيات مثل اعناق البخت يلسعن

اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفا وان فيها عقارب كالبغال
الموكفة يلسعن اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفا فهذه العقارب
والحيات انما تسلط على من سلط عليه في الدنيا البخل وسوء الخلق
وايذاء الناس ومن وقي ذلك وقي هذه الحيات فلم يمثل له
ثم تفكر بعد هذا كله في عظم اجسام اهل النار فان الله تعالى
يزيد في اشخاصهم طولا وعرضا حتى يتزايد عذابهم بسببه فيحسون
بلفح النار ولدغ العقارب والحيات من جميع اجزائها دفعة
واحدة على التوالي قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ضرس الكافر في النار مثل جبل احد وغلظ جلده
مسيرة ثلاث وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شفته
السفلى ساقطة على صدره والعليا قالصة قد غطت وجهه
وقال عليه السلام ان الكافر ليجر لسانه في سجين يوم القيمة
يتوطوه الناس ومع عظم الاجسام كذلك تحرقهم النار مرات
فيجدد جلودهم ولحومهم قال الحسن كلما نضجت جلودهم بدلوا
جلودا غيرها قال تاكلهم النار كل يوم سبعين الف مرة كلما
اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا ثم تفكر الان في
بكاء اهل النار وشهيقهم ودعائهم بالويل والثبور فان ذلك

يسلط عليهم في اول القايهم النار قال عليه السلام يؤتى
بجهنم يوميذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف
ملك وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل على
اهل النار البكا فيبكون حتى ينقطع الدموع حتى يكون الدم حتى
ترى في وجوههم كهيئة الاخدود لو ارسلت فيها السفن لجرت
وما دام يوذن لهم في البكاء والشهيق والزفير والدعوة بالويل
والثبور فلهم فيه مستروح ولكنهم يمنعون ايضا من ذلك
قال محمد بن كعب لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله تعالى في
اربعة فاذا كان في الخامسة لم يتكلموا بعدها ابدا يقولون امتنا
اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج
من سبيل فيقول الله تعالى مجيبا لهم ذلك بانه اذا دعي الله
وحده كفرتم وان يشرك به تومنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم
يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا فيجيبهم الله
تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني
لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين ثم يقولون ربنا اخرنا
الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل فيجيبهم الله تعالى
اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال فيقولون ربنا اخرجنا

نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى اولم نعمركم
ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من
نصير ثم يقولون ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون
فيجيبهم الله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها ابدا
وذلك غاية شدة العذاب قال مالك بن انس قال زيد بن اسلم
في قوله سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص قال
صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم قالوا سواء علينا
اجزعنا ام صبرنا وقال عليه السلام يؤتى بالموت يوم القيمة
كانه كبش املح فيذبح فيقال يا اهل الجنة خلود بلا موت
ويا اهل النار خلود بلا موت وعن الحسن قال يخرج من النار
رجل بعد الف عام وليتني كنت ذلك الرجل ورئي الحسن
جالسا في زاوية وهو يبكي فقيل له لم تبكي فقال اخشى ان
يطرحني في النار ولا يبالي فصل اصناف عذاب جهنم على
الجملة وتفصيل غمومها واحزانها ومحنها وحسراتها لا نهاية
لها فاعظم الامور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب
حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله تعالى وفوت رضاه
مع علمهم بانهم باعوا كل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة

اذلم يبيعوا ذلك الا بشهوات حقيرة في الدنيا اياماً قصيرة
وكانت غير صافية بل كانت مكدرة منغصة فيقولون في انفسهم
واحسرتاه كيف اهلكنا انفسنا بعصيان ربنا وكيف لم نكلف
انفسنا اياماً ولو صبرنا لكانت قد انقضت علينا ايامه وبقينا
الان في جوار الرحمن متنعمين بالرضى والرضوان فيا لحسرة هولاء
وقد فاتهم ما فاتهم وبلوا اما بلوا به ولم يبق معهم شيء من نعيم الدنيا
ولذاتها انهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم لكنها
تعرض فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومر يوم القيمه
بناس من الناس الي الجنه حتى اذا دنوا منها واستنشقوا
رائحتها ونظروا الى قصورها والى ما اعد الله لاهلها فيها
نودوا ان اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة
ما رجع الاولون بمثلها فيقولون يا ربنا لو ادخلتنا النار
قبل ان ترينا ما اريتنا من ثوابك وما اعددت فيها لاوليائك
كان اهون علينا فيقول ذلك اردت بكم كنتم اذا خلوتم
بارزتموني بالعظايم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين
تراوون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم
تهابوني واجللتم الناس ولم تجلوني وتركتم للناس ولم تتركوا

لي فاليوم اذيقكم العذاب الاليم مع ما حرمتكم من الثواب
المقيم وقال احمد بن حرب ان احدنا يوثر الظل على الشمس
ولا يوثر الجنه على النار وقال عيسى عليه السلام كم من
جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين اطباق النار
يصيح وقال داود الهي لا صبر لي على حر شمسك فكيف صبري
على حر نارك ولا صبر لي على صوت رحمتك فكيف صبري
على صوت عذابك فانظر يا مسكين في هذه الاهوال واعلم ان
الله تعالى خلق النار باهوالها وخلق لها اهلاً فلا يزيدون
ولا ينقصون وان هذا امر قد قضي وفرغ منه قال الله تعالى
وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة ولعمري
الاشارة به الى يوم القيمه ولكن ما قضي الامر يوم القيمه
ولكن في ازل الازال ولكن اظهر يوم القيمه ما سبق به القضا
فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشتغل بمحقرات الدنيا وانت
تدري ان القضاء بماذا سبق في حقك فان قلت فليت شعري
ماذا موردي وماذا مآبي ومرجعي وما الذي سبق به القضاء
في حقي فلك علامة تستانس بها وتصدق رجاءك بسببها
وهو ان تنظر الي احوالك واعمالك فان كلاً ميسر لما خلق له

فان كان قد يسر لك سبيل الخير فابشر فانك مبعد من النار
وان كنت لا تقصد خيرا الا وقد تحيط بك العوايق فتدفعه ولا
تقصد شرا الا وتيسر لك اسبابه فاعلم انك مقضي عليك
فان دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة
النار على الدخان فقد قال الله تعالى ان الابرار لفي نعيم
وان الفجار لفي جحيم فاعرض نفسك على الايتين وقد عرفت
مستقرك في الدارين ٥ **القول في صفة الجنة**
واصناف نعيمها اعلم ان تلك الدار التي عرفت غمومها
وهمومها تقابلها دار اخرى فتامل نعيمها وسرورها فان
فان من بعد من احدهما استقر لا محالة في الاخرى فاستثر
الخوف من قلبك بطول الفكر في اهوال الجحيم واستثر الرجا
بطول الفكر في النعيم المقيم الموعود لاهل الجنان وسق نفسك
بسوط الخوف وقدها بزمام الرجا الى الصراط المستقيم ٥
فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الاليم فتفكر
في اهل الجنة في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم
ختامه مسك جالسين على منابر من الياقوت الاحمر في خيام
من اللولو الرطب الابيض وفيها بسط من العبقري الاخضر متكين

على ارايك منصوبة على اطراف انهار مطردة بالخمر والعسل
محفوفة بالغلمان والولدان مزينة بالحور العين من الخيرات
الحسان كانهن الياقوت والمرجان لم يطمثهن قط انس
ولا جان يمشين في درجات الجنان اذا اختالت احداهن في
مشيتها حمل اعطافها سبعون الفا من الولدان عليها من طرايف
الحرير الابيض ما تتحير فيه الابصار مكللات بالتيجان المرصعة
بالدر والمرجان شكلات غنجات عطرات امنات من الهرم والبوس
مقصورات في قصور من الياقوت بيت في وسط روضات الجنان
قاصرات الطرف عين ثم يطاف عليهم وعليهن باكواب واباريق
وكاس من معين بيضاء لذة للشاربين ويطوف عليهم خدام
وولدان كامثال اللولو المكنون جزاء بما كانوا يعملون في مقام
امين في جنات وعيون في جنات ونهر في مقعد صدق عند
مليك مقتدر ينظرون فيها الى وجه الملك الكريم وقد اشرقت
في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم لا يرهقهم
قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون وبانواع التحف من ربهم عز وجل
يتعاهدون فهم فيما اشتهت انفسهم خالدون لا خوف فيها
ولا هم يحزنون وهم من ريب المنون امنون فهم خالدون يتنعمون

ويأكلون من اطعمتها ويشربون من انهارها لبناً وخمراً وعسلاً
في انهار ارضها من فضة وحصباؤها مرجان وعلى ارض ترابها
مسك اذفر ونباتها زعفران ويمطرون من سحاب فيها من ماء
التسنيم على كثبان الكافور ويؤتون باكواب واي اكواب
اكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان كوب فيه
من الرحيق المختوم ممزوج به السلسبيل العذب وكوب يشرق
نوره من صفاء جوهره يبدو الشراب من ورائه برقته وحمرته
لم يصنعه آدمي فيقصر في تسوية صنعته وتحسين صناعته
في كف خادم يحكي ضياء وجهها الشمس في اشراقه ولكن من
اين للشمس مثل حلاوة صورته وحسن اصداغه وملاحة
احداقه فيا عجباً لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن بانه لا
يموت اهلها ولا تحل الفجائع بمن نزل بفنائها ولا تنظر الاحداث
بعين التغيير الى اهلها كيف يأنس بدار قد اذن الله تعالى
في خرابها ويتهنا بعيش دونها والله لو لم يكن فيها الا سلامة
الابدان مع الامن من الموت والجوع والعطش وسائر اصناف
الحدثان لكان جديراً بان يهجر الدنيا بسببها ولا يؤثر عليها ما
انصرم والتنغيص من ضرورته وكيف واهلها ملوك آمنون

وفي انواع السرور متنعمون لهم فيها كل ما يشتهون وهم في
كل يوم بفناء العرش يحضرون والى وجه الله الكريم ينظرون
وهم على الدوام بين اصناف هذا النعيم يترددون وهم من زوالها
آمنون قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ينادي منادي ان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابداً وان لكم ان تحيوا
فلا تموتوا ابداً وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا ابداً وان لكم ان تنعموا
فلا تبأسوا ابداً فذلك قوله تعالى ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها
بما كنتم تعملون ومهما اردت ان تعرف صفة الجنة فاقرأ القرآن
فليس وراء بيان الله بيان واقرأ من القرآن قوله تعالى ولمن خاف
مقام ربه جنتان الى آخر سورة الرحمن واقرأ سورة الواقعة
وغيرها من السور وان اردت ان تعرف تفصيل صفاتها من
الاخبار فتأمل الآن تفصيلها بعد ان اطلعت على جملتها وتأمل
اولاً عدد الجنان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله
تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنتان من فضة آنيتهما
وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين
ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن
ثم انظر الى ابواب الجنة فانها كثيرة بحسب اصول الطاعات كما

النار

ان ابواب جهنم بحسب اصول المعاصي قال ابو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق زوجين من ماله في
سبيل الله دعي من ابواب الجنة وللجنة ابواب فمن كان من اهل
الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من اهل الصيام دعي
من باب الريان ومن كان من اهل الصدقة دعي من باب الصدقة
ومن كان من اهل الجهاد دعي من باب الجهاد فقال ابو بكر والله
ما على احد دعي من ابوابها ضرورة فهل يدعى احد منها كلها
قال نعم وارجو ان تكون منهم وعن عاصم بن ضمرة عن علي رضي
الله عنه انه ذكر النار فعظم امرها ذكرا لا احفظه ثم قال
وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا انتهوا الى باب
من ابوابها وجدوا عندها شجرة يخرج من تحت ساقها عينان
تجريان فعمدوا الى احديهما كانما امروا به فشربوا منها فاذهبت
ما في بطونهم من اذى او باس ثم عمدوا الى الاخرى فتطهروا
منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم تغبر اشعارهم بعدها ابدا ولا
تشعث رؤسهم كانما دهنوا بالدهان ثم انتهوا الى الجنة فقالوا
سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ثم تلقاهم الولدان يطيفون
بهم كما يطيف ولدان اهل الدنيا بالحميم يقدم عليهم من غيبة يقولون

له ابشر بما اعد الله تعالى لك من الكرامة كذا وكذا قال فينطلق
غلام من اولئك الولدان الى بعض ازواجه من الحور العين
فيقول قد جاء فلان باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا فتقول
انت رايته فيقول انا رايته وهو باثري فيستخفها الفرح حتى
تقوم الى اسكفة بابها فاذا انتهى الى منزله نظر الى اساس
بنيانه فاذا جندل اللولو فوقه صرح اخضر واحمر واصفر من كل
لون ثم رفع راسه فنظر الى سقفه فاذا مثل البرق ولولا ان الله
تعالى قدر لالم ان ذهب ببصره ثم طاطا راسه فاذا
ازواجه واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة
ثم اتكاوا فقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي
لولا ان هدانا الله ثم ينادي مناد تحيون ولا تموتون ابدا وتقيمون
فلا تظعنون ابدا وتصحون فلا تمرضون ابدا وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتي يوم القيمة باب الجنة فاستفتح فيقول
الخازن من انت فيقول محمد فيقول بك امرت ان لا افتح لاحد — فاقول محمد
قبلك ثم تامل الان في غرف الجنة واختلاف درجات العلو
فيها فان الاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا وكما ان بين الناس
في الطاعات الظاهرة والاخلاق الباطنة المحمودة تفاوت ظاهر

فكذلك فيما تجازون به تفاوت ظاهر فان كنت تطلب اعلى
الدرجات فاجتهد ان لا يسبقك احد بطاعة الله تعالى فقد
امرك الله بالمسابقة والمنافسة فيها فقال وسابقوا الى
مغفرة من ربكم وقال وفي ذلك فليتنافس المتنافسون
والعجب انه لو تقدم عليك اقرانك وجيرانك بزيادة درهم
او بعلو بناء ثقل عليك وضاق به ذرعك وتنغص بسبب
الحسد عيشك واحسن احوالك ان تستقر في الجنة وانت
لا تسلم فيها من اقوام يسبقونك بلطايف لا توازيها الدنيا
بحذافيرها فقد قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان اهل الجنة ليتراون اهل الغرف فوقهم كما
تتراون الكوكب الغابر في الافق من المشرق والمغرب لتفاضل
ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم
قال بلى والذي نفسي بيده رجال امنوا بالله وصدقوا المرسلين
وقال ايضا ان اهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون
النجم الطالع في افق من افاق السماء وان ابا بكر وعمر منهم وانعما
وقال جابر قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا احدثكم
بغرف الجنة قال قلت بلى يا رسول الله بابينا انت وامنا قال

ان في الجنة غرفا من اصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها
وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا
عين رات ولا اذن سمعت قال قلت يا رسول الله ولمن هذه
الغرف قال لمن افشى السلام واطعم الطعام وادام الصيام
وصلى بالليل والناس نيام قال قلنا يا رسول الله ومن يطيق
ذلك قال امتي تطيق ذلك وساخبركم عن ذلك من لقي
اخاه فسلم عليه او رد عليه فقد افشى السلام ومن اطعم اهله
وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد اطعم الطعام ومن صام شهر
رمضان وفي كل شهر ثلاثة ايام فقد ادام الصيام ومن صلى
العشاء الاخرة وصلى الغداة في جماعة فقد صلى بالليل والناس
نيام يعني اليهود والنصارى والمجوس وسيل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن قوله تعالى ومساكن طيبة في جنات
عدن فقال قصور من لولو في كل قصر سبعون دارا من ياقوتة
حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمرد اخضر في كل بيت سرير
على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من
فيدم الحور العين في كل بيت سبعون مايدة على كل مايدة سبعون لونا من
الطعام وفي كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المومن في كل غداة

من القوه ما ياتي على ذلك اجمع ٥ **صفة حايط الجنة**
وارضها واشجارها وانهارها تامل في صورها وتفكر في غبطة
سكانها وفي حسرة من حرم منها بقناعته بالدنيا عنها فقد قال
ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان حايط الجنه لبنه من ذهب ولبنه من فضه ترابها زعفران
وطينها مسك وسيل صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنه فقال
درمكه بيضا ومسك خالص وقال ابو هريرة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يسقيه الله الخمر في الاخره
فليتركها في الدنيا ومن سره ان يكسوه الله الحرير في الاخره فليتركه
في الدنيا انهار الجنه تفجر من تحت تلال او تحت جبال المسك ولو
كان ادنى اهل الجنه حليه عدلت بحليه اهل الدنيا جميعا لكان
ما يحليه الله تعالى به في الاخره افضل من حليه اهل الدنيا جميعا
قال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجنه شجره يسير
الراكب في ظلها مايه عام لا يقطعها فاقروا ان شيتم وظل ممدود
وقال ابو امامه كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون
ان الله تعالى ينفعنا بالاعراب ومسايلهم فاقبل اعرابي فقال يا رسول
الله قد ذكر الله في القران شجره موذيه وما كنت ارى ان في الجنه

شجره توذي صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هي
قال السدر فان لها شوكا فقال قال الله تعالى وسدر مخضود
نخضد الله شوكه فيجعل الله مكان كل شوكه ثمره ثم تفتق الثمر
منها عن اثنين وسبعين لونا من طعام ما منها لون يشبه الاخر
وقال جرير بن عبد الله نزلنا فاذا رجل نايم تحت شجره قد كادت
الشمس ان تبلغه فقلت للغلام انطلق بهذا النطع فاظله فانطلق
فاظله فلما استيقظ اذا هو سلمان فاتيته اسلم عليه فقال يا
جرير تواضع لله فانه من تواضع لله رفعه الله يوم القيمه هل
تدري ما الظلمات يوم القيمه قلت لا ادري قال ظلم الناس بينهم
ثم اخذ عويدا لا اكاد اراه من صغره فقال يا جرير لو طلبت في الجنه
مثل هذا لم تجده قلت يا ابا عبد الله فاين النخل والشجر قال اصولها
اللولو والذهب واعلاها الثمره **صفة لباس اهل الجنة**
وفرشهم وسررهم واراييكهم وخيامهم قال الله تعالى يحلون فيها
من اساور من ذهب ولولو ولباسهم فيها حرير والايات في تفصيل
ذلك كثيره واما تفصيله في الاخبار فقد روى ابو هريرة ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال من يدخل الجنه ينعم فلا يباس ولا
تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه في الجنه ما لا عين رات ولا اذن سمعت

ولا خطر على قلب بشر، وقال رجل يا رسول الله اخبرنا عن ثياب
اهل الجنة اخلق تخلق ام نسيج ننسج فسكت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وضحك بعض القوم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم مم تضحكون من جاهل يسال عالما ثم قال رسول الله بل
ينشق عنها ثمر الجنة مرتين وقال ابو هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر
لا يبصقون ولا يمتخطون ولا يتغوطون فيها انيتهم وامشاطهم
من الذهب والفضة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان
يرى مخ سوقها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض
قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة واصيلا وفي رواية
على كل زوجة سبعون حلة، وقال عليه السلام في قوله تعالى
يحلون فيها من اساور من ذهب قال ان عليهم التيجان وان ادنى
لولوة فيها تضيء ما بين المشرق والمغرب وقال عليه السلام والجنة
درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا في كل زاوية منها للمومنين
اهل لا يراه الاخرون رواه البخاري في الصحيح، قال ابن عباس الجنة
درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها اربعة الاف مصراع من ذهب قال
ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى

وفرش مرفوعة قال ما بين الفراشين كما بين السماء والارض ۝ **صفة
طعام اهل الجنة** طعام اهل الجنة مذكور في القران من الفواكه
والطيور السمان والمن والسلوى والعسل واللبن واصناف
كثيرة لا تحصى قال الله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا الى قوله
متشابها وذكر الله تعالى شراب اهل الجنة في مواضع كثيرة وقد قال
ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت قائما عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجاءه حبر من احبار اليهود فذكر سواله الى ان
قال فمن اول الناس اجازة يعني على الصراط فقال فقراء المهاجرين
قال اليهودي فما تحفتهم حين يدخلون الجنة قال زيادة كبد النون قال
فما غذاوهم على اثرها قال ينحر لهم ثور الجنة الذي كان ياكل من اطرافها
قال فما شرابهم عليه قال من عين فيها تسمى سلسبيلا فقال صدقت،
وقال زيد بن ارقم جاء رجل من اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا ابا القسم الست تزعم ان اهل الجنة ياكلون ويشربون
وقال لاصحابه ان اقر لي بهذا خصمته فقال النبي صلى الله عليه وسلم
بلى والذي نفسي بيده ان احدهم ليعطى قوة مائة رجل في المطعم
والمشرب والجماع فقال اليهودي فان الذي ياكل ويشرب يكون
له الحاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجتهم عرق يفيض

من جلودهم مثل المسك فاذا البطن قد ظمر، وقال ابن مسعود
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتنظر الى الطير في الجنة
فتشتهيه فيجي بين يديك مشويا، وقال حذيفة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة طيرا امثال البخاتي قال ابو بكر
انها لناعمة يا رسول الله قال انعم منها الذي ياكلها وانت ممن ياكلها
يا ابا بكر، وقال عبد الله بن عمر في قول الله تعالى يطاف عليهم
بصحاف من ذهب قال يطاف عليهم بسبعين صحفة من ذهب كل
صحفة فيها لون ليس في الاخرى، وقال عبد الله بن مسعود ومزاجه
من تسنيم قال تمزج لاصحاب اليمين ويشربها المقربون صرفا وقال
ابو الدردا في قوله ختامه مسك قال هو شراب ابيض مثل الفضة
يختمون به آخر شرابهم لو ان رجلا من اهل الدنيا ادخل يده فيه
ثم اخرجها لم يبق ذو روح الا وجد لها طيبا

صفة الحور العين والولدان

وقد تكرر في القران اوصافهم
وورد في الاخبار زيادة شرح فيه، روى انس عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لغدوة في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها
ولقاب قوس احدكم او موضع قدمه من الجنة خير من الدنيا وما فيها
ولو ان امراة من نساء اهل الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت ولملات

ما بينهما ريحا ولنصيفها على راسها خير من الدنيا وما فيها
يعني الخمار، وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم في قوله تعالى كانهن الياقوت والمرجان قال ينظر الى
وجهها في خدرها اصفى من المراة وان ادنى لولوة عليها لتضي
ما بين المشرق والمغرب وانه يكون عليها سبعون ثوبا ينفذها
بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك، وقال انس قال النبي
صلى الله عليه وسلم لما اسري بي دخلت في الجنة موضعا يسمى
البيذخ عليه خيام اللولو والزبرجد الاخضر والياقوت الاحمر
فقلن السلام عليك يا رسول الله فقلت يا جبريل ما هذا النداء
قال هولاء المقصورات في الخيام استاذن ربهن في السلام
عليك فاذن لهن فطفقن يقلن نحن الراضيات فلا نسخط
ابدا ونحن الخالدات فلا نظعن ابدا وقرا رسول الله صلى الله
عليه وسلم حور مقصورات في الخيام، وقال مجاهد في قوله
تعالى ازواج مطهرة قال من الحيض والغايط والبول والبصاق
والنخامة والمني والولد، وقال الاوزاعي في شغل فاكهون اي
شغلهم افتضاض الابكار، وقال رجل يا رسول الله انباضع
اهل الجنة قال يعطى الرجل منهم قوة في اليوم الواحد افضل

من سبعين منكم • وقال عبد الله بن عمر ان ادنى اهل الجنة
منزله من يسعى معه الف خادم كل خادم على عمل ليس عليه
صاحبه • وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل من اهل الجنة
ليتزوج خمسماية حورا واربعة الاف بكر وثمانية الاف ثيب
يعانق كل واحدة مقدار عمره في الدنيا • وقال النبي عليه السلام
ان في الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شرا الا الصور من الرجال والنسا
فاذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها وان فيها مجتمع الحور العين
يرفعن باصوات لم يسمع الخلايق مثلها يقلن نحن الخالدات
فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نباس ونحن الراضيات فلا نسخط
فطوبى لمن كان لنا وكنا له • وقال يحيى بن كثير في قوله تعالى في
روضة يحبرون قال السماع في الجنة • وقال انس قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الحور في الجنة يتغنين يقلن نحن الجواري
الحسان خبين لازواج كرام • وقال ابو امامة الباهلي قال
النبي صلى الله عليه وسلم ما من عبد يدخل الجنة الا ويجلس عند راسه
وعند رجليه ثنتان من الحور العين فيغنيانه باحسن صوت سمعه
الانس والجن وليس بمزمار الشيطان ولكن بحمد الله وتقديسه

بيان جمل متفرقة من اوصاف اهل الجنة

وردت الاخبار بها • روى اسامة بن زيد ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لاصحابه الا هل مشمر للجنة ان الجنة لاحصر لها هي
ورب الكعبة نور يتلالا وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد
وفاكهة كثيرة نضيجة وزوجة حسناء ناعمة جميلة في حبرة ونعمة
في مقام ابدا ونضرة في دار عالية بهية سليمة قالوا نحن المشمرون
لها يا رسول الله قال قولوا ان شاء الله قال ثم ذكر الجهاد وحض
عليه • وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل
في الجنة خيل فانها تعجبني قال ان احببت ذلك اتيت بفرس من
ياقوتة حمراء فتطير بك في الجنة حيث شئت وقال له رجل اخر
ان الابل تعجبني فهل في الجنة من ابل قال يا عبد الله ان ادخلت
الجنة فلك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك • وعن ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل من
اهل الجنة ليولد له الولد كما يشتهي يكون حمله وفصاله وشبابه
في ساعة واحدة • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استقر
اهل الجنة في الجنة اشتاق الاخوان الى الاخوان فيسير سرير
ذا الى سرير ذا فيلتقيان فيتحدثان ما كان بينهما في دار الدنيا
فيقول يا اخي تذكر يوم كذا في يوم كذا في مجلس كذا فدعونا الله

تعالى يغفر لنا ۰ وقال النبي صلى الله عليه وسلم اهل الجنه جرد
مرد بيض جعاد مكحولون ابنا ثلاثه وثلاثين على خلق ادم
طولهم ستون ذراعا عرض سبعه اذرع ۰ وقال النبي عليه السلام
ادنى اهل الجنه له ثمانون الف خادم وسبعون زوجه وينصب
له قبه من لولو وزبرجد وياقوت كما بين الجابيه الى صنعاء
وان عليهم التيجان وان ادنى لولوه منها لتضي ما بين المشرق
والمغرب وقال عليه السلام نظرت الى الجنه فاذا الرمانه
من رمانها كجلد البعير المتين واذا طيرها كالبخت واذا
فيها جاريه فقلت يا جاريه لمن انت فقالت لزيد بن حارثه واذا
في الجنه ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ۰
وقال كعب خلق الله ادم بيده وكتب التوراة بيده وغرس
الجنه بيده ثم قال لها تكلمي فقالت قد افلح المومنون فهذه
صفات الجنه ذكرناها جمله ثم نقلناها تفصيلا وقد ذكر
الحسن البصري جملتها فقال ان رمانها مثل الدلا وان انهارها
من ما غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذه
للشاربين وانهار من عسل مصفى لم تصفه الرجال ولم تسفه
الاحلام ولا تصدع الروس وان فيها ما لا عين رات ولا اذن

سمعت ولا خطر على قلب بشر ملوكا ناعمين ابنا ثلاثا وثلاثين
في سن واحد طولهم ستون ذراعا في السماء كحل مرد قد امنوا
العذاب واطمانت بهم الدار وان انهارها لتجري على رضراض
من ياقوت وزبرجد وان عروقها ونخلها وكرانيفها اللولو وثمارها
لا يعلم علمها الا الله وان ريحها ليوجد من مسيره خمسمايه عام
وان لهم فيها خيلا وابلا هفافه رحالها وازمتها وسروجها
من ياقوت يتزاورون فيها وازواجهم الحور العين كانهن بيض
مكنون وان المراه لتاخذ بين اصبعيها سبعين حله فتلبسها
ويرى مخ ساقها من ورا تلك السبعين حله قد طهر الله
الاخلاق من السو والاجساد من الموت لا يمتخطون ولا
يبولون ولا يتغوطون وانما هو جشا ورشح مسك لهم رزقهم
فيها بكره وعشيا اما انه ليس ليلا يكر الغدو على الرواح
والرواح على الغدو وان اخر من يدخل الجنه واذا هم منزله
ليمد له في بصره وملكه مسيره مايه عام في قصور الذهب
والفضه وخيام اللولو ويفسح له في بصره حتى ينظر الى اقصاه
كما ينظر الى ادناه يغدى عليهم الف صحفه من ذهب ويراح
عليهم مثلها في كل صحفه لون ليس في الاخرى يجد طعم اخره كما

بجذطع اوله وان في الجنة لياقوتة فيها الف دار في كل دار
سبعون الف بيت ليس فيها صدع ولا ثقب وقال مجاهد ان
ادنى اهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه الف سنة يرى اقصاه
كما يرى ادناه وارفعهم الذي ينظر الى ربه في الغداة والعشي
وقال سعيد بن المسيب ليس احد من اهل الجنة الا وفي يده ثلثة
اسورة سوار من ذهب وسوار من لولو وسوار من فضة وقال
ابو هريرة ان في الجنة حوراء يقال لها العيناء اذا مشت مشى
عن يمينها وشمالها سبعون الف وصيفة وهي تقول اين الامرون
بالمعروف والناهون عن المنكر وقال يحيى بن معاذ ترك الدنيا
شديد وفوت الجنة اشد وترك الدنيا مهر الاخرة وقال ايضا
في طلب الدنيا ذل النفوس وفي طلب الجنة عز النفوس فيا عجبا
لمن يختار المذلة في طلب ما يفنى ويترك العز في طلب ما يبقى

صفة الرؤية والنظر الى وجه الله تعالى

قال الله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وهذه الزيادة
هي النظر الى وجه الله تعالى وهي اللذة الكبرى التي ينسى فيها
نعيم الجنة وقد ذكرنا حقيقتها في كتاب المحبة وقد شهد له
الكتاب والسنة على خلاف ما يعتقده اهل البدعة قال جرير

ابن عبد الله البجلي كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم فراى القمر ليلة البدر فقال انكم ترون ربكم جل جلاله
كما ترون هذا القمر لا تضامون في رويته فان استطعتم ان لا
تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم
قرا فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وهو مخرج في
الصحيحين وروى مسلم في الصحيح عن صهيب قال قرا رسول الله
صلى الله عليه وسلم قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة
قال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار ينادي مناد
يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه قالوا اما
هذا الموعد الم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة
ويجيرنا من النار قال فيرفع الحجاب وينظرون الى وجه الله
تعالى فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر اليه وقد روى حديث
الروية جماعة من الصحابة وهذه هي غاية الحسنى ونهاية النعماء
وكلما فصلناه من النعم عند هذه ينسى وليس لسرور اهل الجنة
عند سعادة اللقا منتهى بل لا نسبة لشيء من لذات الجنة الى لذة
اللقا وقد اوجزنا الكلام ها هنا بما فصلناه في كتاب المحبة
والرضى فلا ينبغي ان يكون هم العبد من الجنة سوى لقاء المولى

فاما ساير نعيم الجنه فانه يشارك فيها البهيمه المسرحه في
المرعى **ختم الكتاب بباب في سعة رحمة الله تعالى**
على سبيل التفول بذلك فقد كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يحب الفال وليس لنا من الاعمال ما نرجو به المغفره
فنقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم في التفول ونرجو
ان تختم عاقبتنا بخير في الدنيا والاخره كما ختمنا الكتاب بذكر بالخير صح
رحمة الله تعالى فقد قال الله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال الله عز وجل يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب
جميعا انه هو الغفور الرحيم وقال الله تعالى ومن يعمل سوءا
او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله توابا رحيما ونحن نستغفر
من كل ما زلت به القدم او طغى به القلم في كتابنا هذا وفي ساير
كتبنا ونستغفره من اقوالنا التي لا توافقها اعمالنا ونستغفره
فيما ادعيناه واظهرناه من العلم والبصيره بدين الله تعالى مع
التقصير فيه ونستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجهه
الكريم ثم خالطه غيره ونستغفره من كل وعد وعدناه به من
انفسنا ثم قصرنا في الوفا به ونستغفره من كل نعمة انعم بها علينا
فاستعملناها

فاستعملناها في معصيته ونستغفره من كل تصريح وتعريض
بنقصان ناقص وتقصير مقصر كنا متصفين به ونستغفره
من كل خطرة دعتنا الى تصنع وتكلف تزينا للناس في كتاب
سطرناه او كلام نظمناه او علم افدناه واستفدناه ونرجو
بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولمن طالع كتابنا
هذا او كتبه او سمعه ان يكرم بالمغفره والرحمه والتجاوز
عن جميع السيات ظاهرا وباطنا فان الكرم عميم والرحمه
واسعه والجود على اصناف الخلايق فايض ونحن خلق من
من خلق الله ولا وسيلة لنا اليه الا فضله وكرمه فقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل مايه رحمه
انزل منها رحمه واحده بين الجن والانس والطير والبهايم والهوام
فبها يتعاطفون وبها يتراحمون واخر تسعا وتسعين رحمه
يرحم بها عباده يوم القيمه ويروى انه اذا كان يوم القيمه اخرج
الله تعالى كتابا من تحت العرش فيه ان رحمتي سبقت غضبي
وانا ارحم الراحمين فيخرج من النار مثل اهل الجنه وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجلى الله تعالى لنا يوم القيمه
ضاحكا فيقول ابشروا معاشر المسلمين فانه ليس منكم احد

الا وقد جعلت مكانه في النار يهوديا او نصرانيا . وقال النبي
صلى الله عليه وسلم يشفع الله تعالى آدم عليه السلام يوم القيمه
في جميع ذريته في مايه الف الف وعشرة الاف الف . وقال عليه
السلام ان الله تعالى يوم القيمه للمومنين هل احببتم لقاي يقول م
فيقولون نعم يا ربنا فيقول لم فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك
فيقول قد اوجبت لكم مغفرتي . وقال عليه السلام اذا اجتمع
اهل النار في النار ومن شاء الله معهم من اهل القبله قال
الكفار للمسلمين الم تكونوا مسلمين قالوا بلى فيقولون ما اغنى
عنكم اسلامكم اذ انتم معنا في النار فيقولون كانت لنا ذنوب
فاخذنا بها فيسمع الله عز وجل ما قالوا فيامر باخراج من كان
في النار من اهل القبله فيخرجون فاذا راى ذلك الكفار
قالوا يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما اخرجوا ثم قرا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين .
وقال عليه السلام لله ارحم بعبده المومن من الوالده الشفيقه
بولدها . وقال جابر بن عبد الله من زادت حسناته على سياته يوم
القيمه فذلك الذي يدخل الجنه بغير حساب ومن استوت
حسناته وسياته يوم القيمه فذلك الذي يحاسب حسابا

يسيرا ثم يدخل الجنه وانما شفاعة رسول الله صلى الله عليه
وسلم لمن اوبق نفسه واثقل ظهره . ويروى ان الله تعالى
قال لموسى يا موسى استغاث بك قارون فلم تغثه وعزتي
وجلالي لو استغاث بي لاغثته وعفوت عنه . وقال سعد بن
بلال يومر باخراج رجلين من النار فيقول الله تعالى بما
قدمت ايديكما وما انا بظلام للعبيد ويامر بصرفهما الى النار
فيعدو احدهما في سلاسله حتى يقتحمها ويتلكا الاخر
فيومر بردهما ويسالهما عن فعلهما فيقول الذي عدا الى النار
قد حذرت من وبال المعصيه ما لم اكن اتعرض لسخطك ثانيه
ويقول الذي تلكا حسن ظني بك يشعرني ان لا تردني اليها
بعد ما اخرجتني منها فيامر بهما الى الجنه . وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ينادي منادي من تحت العرش يوم القيمه اما
ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوا
وادخلوا الجنه برحمتي . وروي ان اعرابيا سمع ابن عباس
يقرا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها فقال الاعرابي
والله ما انقذهم منها وهو يريد ان يوقعهم فيها فقال ابن عباس
خذوها من غير فقيه . وقال الصنابحي دخلت على عبادة بن

الصامت وهو في الموت فبكيت فقال مهلا لم تبكي فوالله ما
من حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه خير
الا حدثتكموه الا حديثا واحدا وسوف احدثكموه اليوم وقد
احيط بنفسي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من
شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله حرم الله عليه النار
وقال عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله تعالى سيخلص رجلا من امتي على رؤوس الخلايق
يوم القيمه فينشر عليه تسعه وتسعين سجلا كل سجل مثل مد
البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول
لا يا رب فيقول افلك عذرا فيقول لا يا رب فيقول بلى ان لك
عندنا حسنه فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقه فيها
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فيقول يا رب ما هذه
البطاقه مع هذه السجلات فيقول انك لا تظلم قال فتوضع
السجلات في كفه والبطاقه في كفه قال فطاشت السجلات
وثقلت البطاقه فلا يثقل مع اسم الله تعالى شي وقال عليه
السلام في اخر حديث طويل يصف فيه القيمه والصراط ان الله
تعالى يقول للملايكه فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير

فاخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر
احدا فيها ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال
نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون
ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم
في قلبه مثقال ذره من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا
ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا وكان ابو سعيد يقول ان لم تصدقوني
بهذا الحديث فاقروا ان شيتم ان الله لا يظلم مثقال ذره وان
تك حسنه يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما قال فيقول
الله تعالى شفعت الملايكه وشفع النبيون ولم يبق الا ارحم
الراحمين فيقبض منها قبضه فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا
قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في افواه الجنه يقال له
نهر الحياه فيخرجون منه كما تخرج الحبه في حميل السيل الا
ترونها تكون مما يلي الحجر او الشجر ما يكون الى الشمس اصفر وابيض
وما يكون منها الى الظل ابيض قالوا يا رسول الله كانك كنت ترعى
بالباديه قال فيخرجون كاللولو في رقابهم الخواتيم يعرفهم اهل
الجنه يقولون هولاء عتقاء الله الذين ادخلهم الله الجنه بغير عمل
عملوه ولا خير قدموه ثم يقال ادخلوا الجنه فما رايتم فهو لكم

فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول الله
تعالى لكم عندي افضل من هذا فيقولون يا ربنا اي شي افضل
من هذا فيقول رضاي فلا اسخط عليكم ابدا رواه البخاري بعده
ومسلم رحمهما الله في صحيحيهما ، وروى البخاري ايضا عن ابن عباس
قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال
عرضت علي الامم فمر النبي معه الرجل والنبي ومعه الرجلان
والنبي ليس معه احد فرايت سوادا كثيرا فقيل لي هذا عيسى
وقومه ثم قيل لي انظر فنظرت فرايت سوادا كثيرا قد سد الافق
فقيل لي انظر هكذا وهكذا فرايت سوادا كثيرا فقيل لي هولاء
امتك ومع هولاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب
فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكر
ذلك اصحابه فقالوا اما نحن فقد ولدنا في الشرك ولكن
قد آمنا بالله ورسوله هولاء هم ابناونا فبلغ ذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا
يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة فقال ادع الله
تعالى ان يجعلني منهم يا رسول الله فقال انت منهم ثم قام اخر
فقال مثل ما قال عكاشة فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبقك

بها عكاشة ، وعن عمرو بن حزم الانصاري قال تغيب عنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثلثا لا يخرج الا الى الصلاة المكتوبة ثم
يرجع فلما كان اليوم الرابع خرج الينا فقلنا يا رسول الله احتبست
عنا حتى ظننا انه قد حدث حدث قال لم يحدث الا خيرا ان
ربي عز وجل وعدني ان يدخل الجنة من امتي سبعين الفا لا حساب
عليهم واني سالت ربي في هذه الثلاثة الايام المزيد فوجدت ربي
جل جلاله واجدا ماجدا كريما فاعطاني مع كل واحد من
السبعين الفا سبعين الفا قال قلت يا رب وتبلغ امتي هذا
قال اكمل لك العدد من الاعراب ، وقال ابو ذر قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عرض لي جبريل في جانب الحرة فقال بشر
امتك انه من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة فقلت يا
جبريل وان سرق وان زنا قال نعم وان سرق وان زنا قلت
وان سرق وان زنى قال وان سرق وان زنى وان شرب الخمر
وقال ابو الدرداء قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن خاف
مقام ربه جنتان فقلت وان سرق وان زنا يا رسول الله
قال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنا وان سرق
يا رسول الله قال وان رغم انف ابي الدرداء ، وقال عليه السلام

اداكان يوم القيمه دفع الى كل مومن رجل من اهل الملك فقيل له هذا فداوك من النار، وروى مسلم فى الصحيح عن ابي بردة انه حدث عمر بن عبد العزيز عن ابيه ابى موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يموت رجل مسلم الا ادخل الله مكانه النار يهوديا او نصرانيا فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذى لا اله الا هو ثلاث مرات ان اباه حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف له، وروى انه وقف صبى فى بعض المغازى ينادى عليه فيمن يزيد فى يوم صايف شديد الحر فبصرت به امراة فى خبا القوم فاقبلت تشتد واقبل اصحابها خلفها حتى اخذت الصبى والصقته الى بطنها ثم القت ظهرها على حر البطحاء وجعلته على بطنها تقيه الحر وقالت ابنى ابنى فبكى الناس وتركوا ما هم فيه فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف عليهم فاخبروه الخبر فسر برحمتها ثم بشرهم فقال اعجبتم من رحمة هذه بابنها قالوا نعم قال ان الله تعالى ارحم بكم جميعا من هذه بابنها فتفرق المسلمون على افضل السرور واعظم البشارة فهذه الاحاديث وما اوردناه فى كتاب الرجا تبشرنا بسعة رحمة الله تعالى ونرجو الله تعالى ان لا يعاملنا بما نستحقه ويتفضل علينا بما هو اهله بمنه وسعة جوده ٥

253

آخر كتاب احيا علوم الدين فنسال الله تعالى ان يوفقنا وساير المسلمين للعمل بما يرضى به عنا انه خير مسئول واكرم مامول ٥

بمنه وكرمه ٥

ووافق الفراغ منه يوم الثلثا ثامن شهر جمادى الاول سنة خمس وستين وسبعماية احسن الله عاقبتها ٥